[...]سلة الثقافية

١١

الصناعات
والحِرف البغداديّة

تاليف

الشيخ جلال الحنفي

بغداد
١٩٦٦

تصدرها وزارة الثقافة والأرشاد في الجمهورية العراقية

السلسلة الثقافية
١١

الصناعات

والحرف البغدادية

تاليف

الشيخ جلال الحنفي

تصدرها مديرية الفنون والثقافة الشعبية
في وزارة الثقافة والارشاد

دار الجمهورية
بغداد
١٩٦٦

مُقَدِّمَة

هذا بحث معجمي في الكلام على عدد من الصناعات والحرف البغدادية مما أدركه أهل هذا الجيل وما لم يدركوه بسبب انقراضه وزواله ، يضاف الى ذلك ما كان قد جد من صناعات وما اتخذت الناس بعد الحرب العالمية الاولى من وسائل للتكسب والحصول على لقمة العيش بسبب ما وصل الى العراق من المكائن والآلات وتنوع اسباب الارتزاق ..

وقد رأت مديرية الفنون والثقافة الشعبية في وزارة الثقافة والارشاد أن تعهد الى الشيخ جلال الحنفي أحد العاملين فيها أن يضع كتابا يبحث فيه الصناعات والحرف البغدادية فاثبت بعض ذلك فيما أثبته من أسامي تلك الصناعات والحرف التي يتكسب منها أصحابها ويتعيشون بمواردها ..

ومن المهم في هذا المؤلف انه استوعب جمهرة كبيرة

من الالفـاظ والمفردات العامية الاصطلاحية التي آل فريق عظيم منهـا الى الانقراض والخروج عن نطاق التداول .. وفي هذا خدمة للفولكلور اللغوي ظاهرة الفائدة في مباحث تأصيل الألفاظ وتخريجها ..

والصناعات هي ما كان من نوع الحدادة والنجـارة والخفـافة ، مما يستعان على تعـاطيه وممارسته بالآلات والأدوات ويكون تلقيه عن دراسة عملية .. أما الحرف فهي ما يتعاطاه المتكسبون من وسائل البيع والشراء من نحو البقالة والعطارة والتجول بالسلع وغير ذلك مما لا يحتاج فيه لآلات وادوات وأعمال هندسية وميكانيكية ..

وقد آثر المؤلف أن يكتبه بلغة بسيطة سهلة لتكون أقرب الى طبيعة هذا الموضوع الفولكلوري الشعبي المزدحم بالمصطلحات والتعابير ..

وبعد أن تم انجاز فصول الـكتاب عهـد بها الى الاستاذ عبدالحميد العلوچي فقام بمهمة تنسيقه وتبويبه ..

وهو على أي حال ليس الا بحثا في الصناعات والحرف ملخصا ، لم يكن المجال يتسع لاكثر مما تهيأ في صدده ..

مديرية الفنون والثقافة الشعبية
في وزارة الثقافة والارشاد

الباعة المتجولون ..

يؤلف الباعة المتجولون وكان يقال لأمثالهم في القديم « الطوّافون » .. عدداً عظيماً من أصحاب الحرف والمهن في كثير من المدن والبلدان ..

وعندنا في بغداد جمهرة عديدة من متجولي الباعة أوجز القول عليهم في هذا المجال فمنهم باعة المآكل من نحو باعة اللَّبْلَبي وهو الحُمُّص المسلوق بالملح والمصبوغ بالكُرْكُمْ يوضع في قدور فيتجول بها البائع في الطرقات وهو يحمل قدره على رأسه وتكون معه كاسة صغيرة جداً يتخذها مقياساً للمقادير المبيوعة ؛ وكل شراته من الصبيان الصغار .. ومما ينادي به باعة اللبلبي قولهم : « مالح وطيِّبْ لبلبي » .

وفي هذه الأيام تطورت مسألة اللَبْلَبِي فأصبح باعَتُه يبيعونه في قدور كبيرة محمولة على عربات خشبية تدفع باليد ، ومن مستغرب ما أدخله

باعة اللبلبي من تطور على عملهم أن يضعوا في القدر دجاجة مسلوقة وشيئاً من الفلفل الأحمر ؛ ويرى الناس من كبار وصغار وهم مقبلون على بائع اللبلبي هذا ، يرشفون من مرق قدره ويأكلون من حُمُّصِه ..

◆ ومن هؤلاء الباعة من يبيع الباسَوْرَكْ في سَدّ فخاري أي نَجّانة ؛ وهو ثمرة تنقع بالملح أياماً معدودة فيكون لها مذاق خاص حيث تكسر قشرة الباسورك ويستخرج منهــا لبّ يأكلونه .. وهي من مآكل الصبيان في الغالب ..

◆ ومن باعة الأطعمة المتجولين باعة الشَلْغَمْ في الشتاء يبيعونه في قدور كبيرة تحملها عربات خشبية تدفع بالأيدي ويكون تحت القدر موقد نفطي مستمر الاشتعال .. وهؤلاء يأخذون بالتجوال في الطرقات والشوارع في الليل على الأخص ..

◆ ومنهم باعة الدَوْنْدِرْمَة وكانوا قديماً يحملون علبة الدوندرمة ومعه سطل الماء والأواني برمح غليظ يتعاون على حمله صاحب الدوندرمة وصانع يكون معه ، كل منهما يمسك طرفاً من ذلك الرمح .. حيث تعلق العلبــة والسطل بالرمح ، وكانوا ينادون على الدَوْنْدِرْمَة بلفظ «قَيْمَاغْلي»..

وقد تطورت صناعةالدوندرمة واحتراف حرفتها ، فأصبحت لها حوانيت كبيرة يجتمع الناس فيها فيأكلون الدوندرمة التي بدأوا يصنعونها بوسـائل مختلفة وبأشكال وأنواع شتى من المواد ..

◆ ومن الباعة المتجولين بائع « العَنْبَرْ وَرِدْ » وهو رجل بيده رمح غليظ يكور عليه كميةً من العَلُوجَة التي يسمونهـا « عنبر ورد »(*) وتكون مصبوغة بأصباغ شتى ويكون من شأن بائعها ومن طبيعة عمله أن يسحب بيده طرفاً من هذه الحلوى المعلقة على رأس الرمح كقطعة العجين فاذا جاءت بيده من أثر السحب عاد فردّها الى رأس الرمح وهكذا يستمر على الأخذ والردّ وهو يتغنى بألفاظ ينادي بها على سلعته ويرغّب الصبيان في شرائها والاقبال عليها ..

ومن هذا النمط من الباعة أولئك الذين يبيعون « الجَقْجَقِدِرْ » وهو نوع من « العنبر ورد » مصبوب في أواني خاصة يتجول بها البائع في الطرقات لبيعها على الأطفال وغالباً ما يضعها بائعها في « چَنْبَرْ » مستدير مقسم الى أربع خانات أو أكثر من ذلك وفي كل خانة نوع من الجقجقدر ملوّن بلون يخالف ما في الخانة الأخرى من چقچقدر ذي لون آخر .. وينادي البائع على ذلك بقوله «چقچقدر يا مَعْجَوْنْ » ..

◆ ومنهم باعة الپالوتة وهي عبارة عن النشا يخلط بالسكر ويطبخ ويصب في صينية فسيحة ، وتكون مع البائع سكين خاصة يقطع بها الپالوتة الى قطع فيبيعها لمن يقبل على شرائها من الصبيان .. وأحياناً يصبغون الپالوتة ببعض الأصباغ ..

ومنهم من يضع الپالوتة في أوانٍ صغار يبيع كل اناء منها على حدة .. ومن باعة الپالوتة مَنْ يتخذ له مكاناً في السوق يقيم فيه فيبيع سلعته ..

(*) ومن أسمائها : عنبرلي ورد ، وعنبرلي شكر ..

◆ ومن الباعة المتجولين باعة النّامْلَيت ْ وسواه من المرطبات التي يسمونها نامْجوز أو لايمْجوزْ وسِفَوّنْ ، وغيرها من المرطبات •• كالأوَرنْجْ والجنْجر ْ والسَوْدَة ••

وهم يحفظون ألفاظاً يكررونها في نداءاتهم ، يغلب على بعضها الهزل والدعابة كقولهم « ناملیت بارِدْ یخَلّي العَجُوز تطاردْ » ••

وهي أشربة غازية يضع البائع قنانيها في براميل أو صناديق يكون معها كثير من الثلج فتبرد فيشربها الناس ولاسيما في أيام الصيف ••

وقد انتشرت في هذه الأيام مؤخراً أنواع شتى من الأشربة الغازية منها الكَوْكَا كَوْلا والبِپْسي كولا والمِشِنْ والسَفِنْ أَپْ والسينالكو والفِنْتَا ، وغير ذلك من الأسماء التجارية المتعددة ••

وفي بغداد معامل كثيرة تشتغل في تعبئة هذه الأشربة التي تباع في قناني مغلقة ••

وأول عهدنا بالنّامْلَيت ْ انه كان يباع في قنينة تغلق من داخلها بدُعْبُلَة زجاجية ، فاذا أريد فتحها وضع في فوهتها ابهام اليد اليسرى ثم ضغط عليه بطريقة خاصة كأن يضرب باليد اليمنى فتتزحزح الدُعْبُلَة عن مكانها وتنزل الى رفٍّ معدٍّ لها في رقبة القنينة وبذلك يتاح تناول ما فيها وشربه ؛ وقد زال هذا النوع من القناني ولا عهد للناس به اليوم ••

ومن باعة هذا الصنف من المواد من يضع عدّةً من القناني في سَطل مع شيء يسير من الثلج فيعرضه للبيع في محطات القطارات ونحوها ••

◆ ومن الباعة المتجولين باعة تكون معهم قرابات وأوعية فيها الهندبا وماء الورد والقداح وقد وضعوها على الحمير وذهبوا يتجولون في الأزقة ينادون على سلعتهم هذه ..

◆ ومنهم باعة الكُبَرْ وهو أغصان نبتة يقال لثمرتها الشَّفَلَّحْ ..

وهذا الكبر يملح بماء الملح فيأكله من يأكله من النـاس ويشربون ماءه .. ولباعته ألفاظ يكررونها عند بيعه حيث يقولون في وصفه انه يقتل الدود ويُحمِّر الخدود ويمَتِّنْ الزِنود الى غير ذلك ..

◆ ومن الباعة المتجولين باعة النَبُكْ وهو ثمر شجرة السدر وأغلب باعـة النبك من أهالي الكرّادة ومن عـادة هؤلاء أن يضمنوا أشجار النبك الموجودة في المسـاجد والبيوت وغـيرها ، فيما اذا وافق أصحاب هذه الأشجار على ضمانها بأثمان مقبولة يتفقون عليها ..

ويضع باعة النَبُكْ كمية منه في طبق يحملونه على رؤوسهم كما يضعون كمية أخرى في زَنْبِيلْ يحملونه معلقاً بأيديهم ..

والنبك أنواع غـير أن الباعة ينـادون عليـه بقولهم « خستْاوي النَبُكْ » ..

وللناس في النبكة رأي ينحو نحو التقديس فهم يقولون في أمثـالهم « اليقطع النبكة مَيِنْكَى » .. يحرّمون بذلك قطع النبكة .. ومن تقاليد العـامة أن كل نبكة لابدّ أن تقوم على حراستها حيّة .. وفي الـكنايات

البغدادية يقال في الفتاة المفرطة الحياء والتخدّر « تِستِحي من عصافير النبگة » ..

ومن المهمّ الاشارة الى أن أغلب من يشتري النبگ في بغداد هم الصبيان ..

وكانت في جامع الوزير في بغداد سدرة ذات نوع من النَبُگْ لم أجد له مثيلاً وهو في الغالب أخضر اللون حتى في حالة نضجه ، وقد قطعت تلك السدرة اذ كان الجامع نفسه قد هدم وكان ذاك سنة **١٩٣٧**م ..

ومنهم باعة الحبّ المْگَلّى - بتفخيم اللام - أي المحَمَّس بالصاجْ حيث يحمل البائع كمية من الحب في طبق على رأسه فيتجول في الشوارع والأماكن المكتظة بالناس ويغشى المقاهي وغيرها لبيع ما عنده من الحبّ ويكون معه وعاء صغير من التَنَك يتخذه مقياساً لوزن الكميات التي يبيعها.. وهم ينادون عليه بقولهم « لَوْزْ ياحَبّْ » و « حبّ يالوز » و « حَبّْ تِكْرِيت » والحبّ الذي يختارونه هو حبّ الرگّي يملّحونه بالماء المملح ثم يقلونه على الصاج ومنهم من يبيع حبّ الشجر بالاضافة الى حبّ الرگي..

◆ ومن الباعة المتجولين باعة الخَسّ في الشتاء يضعونه في أطباق كبيرة يحملونها على رؤوسهم وغالبهم من أهالي الكرادة .. وهم ينادون عليه بقولهم « أبو الطَوْبَة ياخَسّْ » وغالباً ما يلفظون لفظة الخس «خَيسْ» .. ومن باعة الخس من أخذ يضعه على عربة يدفعها بيده ..

والخسّ أنواع أعلاها أبو الطَوْبَة وأدناها ما يقال له «العَرَاگي»..

وبعض باعة الخسّ يتخذون لهم أماكن معينة يبيعون فيها سلعتهم ومن بعض هذه الأماكن أرصفة شارع أبي نؤاس ..

وكانت في بغداد بستان كبيرة يزرع فيهـــا الخس يقال لها « بستان الخسّ » وقد أدركناها وكان كثير من الناس يغشون هذه البستان فيشترون الخسّ فيأكلونه وهم جلوس فيها . ومنذ زمن غير قليل أصبحت بستان الخس محلة مأهولة بالسكان ومن بعض مواقعها ساحة النصر وشارع تونس وغير ذلك ..

◆ ومنهم باعة الفجل ومن عادة هؤلاء أن يكون تجولهم لبيعه بعد العصر اذ كان أهل بغداد يستطيبون أكل الفجل مع العَشاء لا سيما اذا كان عندهم مع طعامهم طبيخ التمن ..

◆ ومن الباعة المتجولين باعة « بَيضْ اللَكَلْكْ » وهو نوع من حلوى الأطفال يكون على شكل قطعة مستطيلة تملأ اليد غير انها اذا عصرت بالأصابع أصبحت هباءاً ، واذا وضعت في الفم ذابت بمجرد لمسها الشفتين لأنها ليست غير َوغَف ِ منفوخ يصنعونه من عِر ْك الحلاوة وروح الشَكَرْ ..

ويضعه بائعه في سلة كبيرة مصنوعة من أرواط الرمان ونحوه ، وقد غطاها بقطعة من الشاش من جانب واحد ليمنع عنها الحرّ وذلك أن الحر يذيب هذا البيض العجيب ..

ومما يغري الصبيان بشراء هذا البيض انه يكون مصبوغاً منقشاً بشتى الألوان ؛ ومما يغريهم ـ كذلك ـ بشرائه أن بائعه ينادي عليه بألفـــاظ

مسجعة مشوقة من نحو قوله « اللَكْلَكْ عَلَكْ وطار وكَرْ بْبَيْتِ المُخْتَارْ » الى غير ذلك ..

◆ ومن باعة الأطعمة المتجولين من يبيع اللُوبْيَة الطرية المسلوقة تكون معها الطماطة والبصل .. وكان عدد من باعة اليهود في سوق قَنْبَر علي يتخذون لهم أماكن على الأرض وبين أيديهم قدورهم الملأى باللوبية الدقيقة الناعمة وقد أحسنوا سلقها وعرضوها لمن يشتريها من الآكلين .. وكذلك يسلق بعض الباعة اللوبية اليابسة ويتجول بها أو يتخذ له مكاناً في السوق فيبيع منها للناس ..

وهناك من يسلق الباگلة الطرية وهي في موسمها فيبيعها في قدر معه لمن يود أن يتغدّى منها أو يتعشّى .. ويتخذ منها السكارى مَزَّةً لهم عند معاقرتهم الخمرة ..

◆ ومن الباعة المتجولين باعة السِمِسْمِيَّة وهم يضعون سِمِسْمِيَتَهم في طبق صغير يحملونه باليد بحيث يراه الرائي ومنهم من يبيع السمسمية موضوعة في طبق يحمله على رأسه .. وهو ينادي عليها قائلا « طَيْبَة السمسمية » .. وكان غالب باعة السمسمية من اليهود ..

والسمسمية المعروفة نوعان النوع الأول صلباً هشّ القضم تحت الأسنان وأحياناً محمّصاً من أثر لسع النار وهذه تصنع من السكر . والنوع الآخر يكون ليناً يتمطى تحت الأسنان ويعلك في الفمّ ؛ وهي تصنع من الدبس ..

وهناك ضرب آخر من فصيلة السمسمية يقال له « لَذيذة » ويكون أشبه بلقمة صغيرة وهي من الدبس وتكون صفراء اللون يلتصق عليها كمية من السمسم ..

◆ ومما يبيعـــه المتجولون « خْلال الطَوْش » وهو الخلال الأخضر ينضج نضجاً خاصاً فيكون هشّ المأكل رغم خضرته وكان اليهود يعنون به كثيراً على أنه في العادة من مآكل الصبيان ..

◆ ومن الباعة المتجولين باعة التين يضعونه في أطباق كبيرة « طبْاگَة » ويتجوّلون به في الطرقات وهم ينـــادون عليه بقولهم « لاُوي ياُتين » « وَز يري ياتين » .. ومنهم من يقتعد له مكاناً في الأسواق لاسيما سوق « المَصْبَغَة » .. وربما قام ببيع التين بعض البقالين في دكاكينهم ..

والتين نوعان الأصفر والأسود .. وفي الألفـــاظ البغدادية يوصف الشيء يكون ناضجاً ليناً بأنّه « صاُير تين » ..

◆ ومن الباعة المتجولين باعـة الشْماُطَة وهو خيـار يكبس بماء الملح ويوضع ما ينضج منه في سِداد يطوف بها الباعة في الطرقات وهم ينادون على ذلك بقولهـم « شْماُطَة ياخْيار » ويرشون على الخيار الكُرْكُم والكْرَفُز وهو في الغالب مما يتعشق أكله الصبيان ويكون مع البائع كوز صغير من قشرة جوز الهند يضع فيه ماء الخيار فيشربه من يرغب في شربه من مِشْترِيته ..

◆ ومن الباعة المتجولين باعة الخيار التازة وهو أنواع منه خيار التَعْروزي ويسمى أيضا « خيْار تَرْعوزي » ومنه خيار المَيّ - بتفخيم الميم - وخيار مَقْلَعْ ..

وباعة الخيار يضعونه في أطباق يحملونها على رؤوسهم ويتجولون في الطرقات وهم ينادون على سلعتهم قائلين « خيار الشْواطي ياخيْار » و « إقْلام المُلاّ ياخيْار » ..

◆ ومن هؤلاء الباعة من يبيع الزَعْرورْ يضعه في طُبَكْ كبير فيحمله على رأسه أو يضعه في عَرَبْانَة خشبية يطوف بها في الطرقات والشوارع منادياً عليه بقوله « زَعْرور الجبَلْ يا زعرور » وذلك أنه مما يجلب من المناطق الجبلية في العراق .. والزعرور من مأكل الصبيان وهو ثمرة أشبه شيء بالنَبُكْ ..

◆ ومن الباعة المتجولين جماعة يبيعون أنواعاً من الشَرابت ومنها « شربت زبيب » ومن هؤلاء من يتخذ له مكاناً في الاسواق المشهورة فيبيع الشربت بطاسات نحاسية مبيّضة حيث كان عدد كثير من أصحاب الحرف وعمال البناء يشربون الشربت في الصباح مع الخبز كريّوك لهم؛ ومنهم من يتجول بسطل الشربت فاذا باع ما فيه عاد فملأه من جديد بالشربت وخرج لبيعه .. ومن أنواع الشرابت شربت التَمْرْهِنْدْ وهناك نوع آخر يقال له شربت بَلَنْكو . وهذه كلها تباع ويتكسب بها . وفي الأيام الأخيرة أصبح هناك من يبيع اللبن الشنين وشربت الرمان والبرتقال وان

كانت نسبة الماء في هذه الأشربة الى الأصل نسبة عالية جداً .

وكذلك بدأنا نشاهد بعض القادمين من الموصل يبيعون شربت عِرِكْ السوس في القرب الجلدية ..

◆ ومن الباعة المتجولين باعة الشامية ويقال لها أيضاً « إذرة الشام » يضعها البائع أو البائعة – وهي عادة امرأة عجوز – في زنبيل فتتجول في الطرقات منادية على سلعتها التي يرغب فيها الأطفال والصبيان ..

وتقلى الاذرة في أماكن الشكرجية ثم يشتري منها الباعة المتجولون ما يبيعونه على الناس ..

وفي أيامنا هذه أصبحت الاذرة تقلى وتحمص بآلات كهربائية وتباع في بعض الحوانيت والمخازن وأخذ كثير من الشباب يشترونها وكأنها ضرب من النقل يتنقلون به ..

◆ ومنهم باعة المريس .. وهو رغيف ابيض صغير الحجم ، يخلط عجينه بشيء من السمن ، ثم تصنع منه رقاقات صغيرة ، يتألف الرغيف الواحد من عدة منها حيث يفرش بعضها على بعض ثم تخبز في الفرن ، وتباع بسعر أغلى من سعر الخبز ونحوه ..

ويتجول باعة المريس بمريسهم في طبق يحملونه على رؤوسهم فيغشون المقاهي وغيرها من مجتمعات الناس ، فيشتريه من يرغب في أن يأكل أكلة خفيفة من دون ادام .. والمريس لذيذ على أي حال ..

◆ ومن الباعة المتجولين باعة السميط وهو نوع من الخبز يكون على شكل حلقة مبرومة ويكون عليه نثار من السمسم .. وهنالك من الباعة من يبيع الـ « أبْيَضْ وبَيضْ » وهو أكلة شعبية بسيطة ملاكها رغيف من الخبز تكون فيه قطع من البيض المسلوق والطرشي وغير ذلك.. ومنهم باعة العَنْبَة وغيرها من المآكل والمشارب ..

◆ ومنهم باعة الكَهْوة المتجوّلون ، وهؤلاء يأخذ أحدهم بيده جوزة الگهوة وقد أنضجها ، فيطوف بها على الناس في الأسواق وفي دوائر الحكومة ، فيسقيهم عدة فناجين منها لقاء شيء يسير ينضّ لهم من المال .. ومنهم من يتجول في الليل أيضاً على ادارات الصحف والمطابع وغيرها ممن تستمر أعمالهم الى الليل ..

أما جوزة الگهوة هذه فتكون على شكل خاص أشبه شيء بالسَماوَرْ ، اذ يضعون في داخلها الفحم الذي يستمر متقداً فلا تبرد الـگهوة التي في الجوزة .. كما يكون مع هذا « الگَهَوْجي » الدوّار عددٌ من الفناجين ، وعلبةٌ فيها قهوة مطحونة ، وشيء من الفحم يضعه في كيس صغيرة وكل هذه يعلقها بجوانب من حزامه ..

والأصل في الجوزة انها « الدلّة » وانما سمت بالجوزة ، لأنهم كانوا يضعون فيها مع القهوة شيئاً من جوزة البوّة .. •

ولا عمل لهؤلاء غير حرفتهم هذه يتعيشون منها العام كله ، ويكون لكل منهم معاميل وزبائن يتردد عليهم في كل يوم ..

◆ وممن يلحق بالباعة المتجولين جماعة يمتهنون مهنة شراء العتائق من الثياب وغيرها ، فالذين يتجولون في الأزقة وهم ينادون بصوت مرتفع عن رغبتهم في شراء الثياب والأفرشة والأحذية الخلقة المستعملة يقال لهم اَيسْكيِّة وأحدهم أبو الأَيسْكي وكانوا قديماً من اليهود ..

وهناك من يتجول في الطرقات يشتري العتائق والقراضات من القدور النحاسية ونحوها .. ومنهم من يشتري القناني الفارغة والشيَشْ ..

◆ ومن جماعة الباعة المتجولين اناس يتخذون لهم چنابر يضعون فيها حاجات متفرقة من نحو أدوات الحلاقة ومواد الزينة وغيرها يتجولون في المقاهي والأماكن العامة من أجل بيعها ..

ومنهم من يتخذ الچنابر وفيها السگاير والشخاط لا يكون له عمل غير التجول بها وبيعها .. وهناك من يتخذ له چمبراً يضع فيه السگاير فيجلس في بعض أركان السوق أو على مقربة من الدوائر يبيع ما عنده وعلى الأخص ان كان من الطاعنين في السن .

◆ ومن حرف المتجولين حرفة خياطي الفَخْفوري وهي من الحرف التي يغلب تعاطيها لدى غرباء العجم يحملون معهم كيساً فيه مطارق حديدية صغيرة وأسلاك ومگاصيص وسندان وشيء من البورگ ومزارف يثقبون بها القطع الخزفية المتكسرة عند معالجة ربط بعضها ببعض وتكون معهم كذلك قطع من التنَكْ الخفيف يتخذون منها أحزمة للقواري والكاسات امعاناً في ضبطها وشدّ ازرها اذا كانت قد تكسرت وأعيد جبرها ..

ويجلس خياط الفخفوري على الأرض عند باب الدار التي يدعى الى اصلاح ما تكسر من أوعية أصحابها •• وهي صناعة كانت موضع حاجة الناس يوم كانت الأواني والقواري غاليـة الثمن لا يمكن التفريط فيهـا واهمالها الا بعد اصلاحها عدة مرات فاذا أعيا أمرها على المصلح ، تركت واستعيض عنها بشراء آنية جديدة ••

◆ ومن الباعة المتجولين باعة الصابون الركي حيث يجعلون منه كمية في كيس من الخام يحملونه على أكتافهم كما يضعون عدداً من قوالب الصابون في عبوبهم ويحملون بأيديهم بعض هذه القوالب لتراها الناس وهم يتجولون بذلك في الطرقات وبين المساكن •• ينـادون على الصابون بألفاظ منهـا « صابون حلب » « صـابون أبو الهيـل » و « زنابيلي » وغـير ذلك من الألفاظ ••

◆ ومن المتجولين باعة النفط الأبيض يضعونه في حياض مغلقة تركب على عجلات فيطوفون بها في الطرقات حتى اذا شاء أحد شراء النفط جاء بوعاء أو تنكة فصبّوا فيها من النفط الذي في الحوض عن طريق حنفية فيه يفتحونها فينسكب النفط منها •• ومن باعة النفط من يأتون بالتنكات واليبـابة الملأى بالنفط وقد وضعوها في عربة خشبية يدفعونهـا بالأيدي ويمشون في الطرقات يجهزون البيوت بحاجتها من النفط •

◆ ومن الباعة المتجولين باعة الأحطاب يحملونها على ظهورهم أو على الحمير وبعض هؤلاء أعـراب يأتون من الأرياف يجلبون معهم الشـوك

يبيعونه للخبازين والخبازات ومنهم من يبيع العاگول وجـــذور الشوك لاستعمال ذلك وقوداً ..

◆ وكنا نرى بعض الاعرابيات يتجولن في الطرقات وهن يبعن القـير الأسود ينادون عليه قائلات « جيرة يابنات جيرة » حيث يشتريه البعض لسدّ خرق في الأواني ونحوها .. وكان من النساء من تعلك الجير الأسود أسوة بالعلك الأبيض ..

◆ وكان الگيمر يباع من قبل بائعات أعرابيات من المعدان في الغـــالب يتجولن في الطرقات وعلى رأسهن طبق معدني يقال له انكري فيه الگيمر يبعنه للناس وهن ينادين على ذلك قائلات « گـيمَـرْ يَـوْ » .

◆ ومن البـــاعة المتجولين بعض الأعراب الذين يستخرجون الملح من المستنقعات التي كانت محيطة ببغداد ويجلبونه في عدول على الحمير يبيعونه في أزقة بغداد بثمن رخيص فيقبل على شرائه بعض الأسر الفقيرة ..

على ان بيع الملح محصور ببعض العلاوي المأذون لها بتعاطي بيعه .. وقد أسست في بغداد معامل لسحن الملح وبيعه ناعماً في علب من الكارتون وأكياس من النايلون وكان الملح يباع قديماً خشناً ذا فصوص غليظة ..

◆ وباعة الفرارات كانوا الى وقت قريب يتجولون في الطرقات والأزقة الشعبية يبيعون للأطفـــال والصبيان مجموعة شتى من المَلاعيب أشهرها الفرّارات ـ جمع فرّارة ـ يعلل بها الصبيّ .. ويعتبر بائع الفرارات

من ذوي الحذق في رأيهم ؛ وفي كناياتهم «بايِع فرارات بْخُبُزْ» يريدون به الرجل الماكر الحاذق في اكتساب رزقه ، ويبدو أن هذه المهنة اتخذت في أيام المجاعات فيعت الفرارات للصبيان لقاء أرغفة أو كسرات من الخبز ..

ومن الجدير بالذكر ان الميجر فيلبي والميجر ليجمن الانكليزيين قد باعا الفرارات قبل الحرب العالمية الاولى في عانة بصفتهما من الدراويش المغتربين وذلك بأرغفة من الخبز .. قاله الاستاذ خاشع الراوي ..

◆ ومن جماعة المتجوّلين أولئك الذين يرقصون الشُوادي في الساحات والشوارع حيث يجتمع الصبيان فيتفرجون على ذلك لقاء أجور خفيفة ..

وصاحب الشادي يخاطبه بألفاظ معينة فيسأله : ان كان قد أعطاه رجل شيئاً من النقود فماذا يصنع ؟ فعند ذاك يضع الشادي يده على رأسه علامة السلام والتقدير ، وحين يسأله عما اذا بخل أحد أن ينفحه شيئاً من مال فماذا يصنع ؟ وآنذاك يضع الشادي يده على عجيزته استخفافاً وازدراءاً بالبخل وذويه ..

ويسأله كيف تنام العجوز فيبدأ بمحاكاتها في طريقة نومها ، ويسأله كيف يصنع الراعي وهو مع غنيماته فيتناول الشادي عَصا صاحبه ويمسكها بيديه من وراء ظهره كأنه يتسردح في مشيته ..

ومن دأب الصبيان اذا رأوا الشادي يقوده صاحبه في الطريق أن يتصارخوا عليه مجتمعين ومتفرقين « شادي وَراك الحيَّة أرْكُضْ وانْطيكْ شاهيَّة » ..

ويستغل أصحاب الشوادي أيام الأعياد خاصة لاظهار بضاعتهم هذه والتكسب منها ، وهي عيشة ظاهرة الضنك والخصاصة ..

◆ ومما يستغل في الأعياد من وسائل التكسب أن يأتي الأعرابي من الريف ومعه رُبَابته فيطوف على أبواب البيوت فيتخير منها ما يجلس عند عتبته وهو يعزف على ربابتـه فينفحه أهل تلك البيوت شيئاً أو يصرفونه عن بابهم ..

◆ ومن المتجولين جماعة الفَتَّاحْفَوْلِيَّة الذين يطوفون في الطرقات والأزقة الشعبية ومعهم دفاترهم وكيس فيه رمل" يضربون عليه « تَخَتْ رَمُلْ » وربما نادتهم امرأة لينظروا في أمرها حيث يقرأ لها « الفَتَّاحْ فالْ » في كتابه ويكتب لها حجاباً أو يصنع لها سحراً أو بُطْلَةً ويكشف لها عن شيء سرق أو عن كلام قيل فيها أو يحلّ المربوط الذي حُبِسَ عن الوصول الى النساء ولا سيما ليلة الدَخْلة ؛ أو يخبرها عن غائب متى يَحضر وعن مريض متى يشفى أو عن حبالة متى تكون الى غير ذلك مما يتكسّب الفتاحفولية ـ وأغلبهم من الأعاجم ـ من تلفيقه واختلاقه والشعوذة فيه ..

غير ان هناك جماعة من النساء يتعاطين أخذ الخيرَة في الطرقات ، وأدواتهن في ذلك الوَدَعْ والخرَزْ وكسارات الخزف وغالبهن من الكاوْليَّة ونساء الأعراب ..

وعرفت في بغداد غير واحدة من النسوة البغداديات تتعاطى أخذ

الخيرة وهي في بيتها ، يأتي النساء اليها والرجال لاستكناه غيوب الحوادث..

وينبغي على من يريد أن يأخذ الخيرة أن يقدّم « النِّيـاز » ، وهو مبلغ من النقود يضعه على كتاب الخيرة ويضع يده على الكتاب كذلك وهو ينوي النيّة التي يريد اكتشاف سرّها ، واذا لم يكن هناك كتاب وانما كان ودع وخرز وفحوف فانّ النية مطلوبة ولكن من دون وضع يد على شيء ..

◆ ومن الباعة المتجولين باعة أنواع البخور من الصندل وغيره ، وغالب هؤلاء من الهنود يجلبون عيدان بخورهم من الهند ..

وينـادي بائع البخور اذا كان بغـداديا « بخور : اللّيلَة جِمْعة والصَّلاة على النَّبي » ..

◆ ومن الباعة المتجولين من يبيع البرتقال والتفاح والموز يتجول بهـذه الفاكهة وغيرها في عربة من خشب يدفعها بيده وكثـير منهم يتخذون لهم مواقع في الشوارع وعلى رؤوس الأسـواق لتصريف سلعتهم وبيعها .. وأغلب هؤلاء من جماعة الشروگية ..

◆ ومما يرتزق منـه بعض النـاس ولا سيما الصبيان ـ من الشروگية ـ والعجزة من الرجال ، بيع أوراق اليانَصيب المعروفة اليوم في بغداد ، حيث يتجول بائع هذه الأوراق ومعه عدد منها فيشتري من ذلك من شاء من منتظري اشراقة الحظ والمتفائلين باقبال الأيام .. ويكون للبائع شيء يسير من الأجر المخصص لمثله يتقاضاه من متعهدي بيع هذه الأوراق ..

ويكثر وجود هؤلاء الباعة في الباب الشرقي وفي جهة جامع مرجان حيث تقع هناك شوارع البنوك، والشورجة، وأسواق الأقمشة وغير ذلك..

وبالامكان عدّ هؤلاء البـاعة في أصحاب الحرف التهريجية اذ انهم يعتمدون في تصريف مبيعاتهم على الصراخ والاعلان عن أوراق اليانصيب بأصوات عالية ..

◆ ومن الباعة المتجولين باعة الكُبَّة يصنعونها في بيوتهم من الجِريشْ ويحشونهـا بشيء من اللحوم المثرومة وبعض الحباشات الأخرى وقلّما يكون حشو الكبة من اللحوم الطيبة ..

ويضع البائع الكُبّة في سلة مغلفة بالخام ، ويغطيها بشيء من قماش فيتجول بها في الطرقات أو يتخذ له مكاناً في السوق .. ومن دأب باعة الكبة أن يكون نداؤهم عليها بلفظ « يا دايِمْ » ..

◆ ومنهم باعة الچِرَكْ يضعونه في طبق يرفعونه على رؤوسهم فيتجولون به في الطرقات ، أو يجلسون في مكان يتخذونه في الأسواق .. وباعتـه ينادون عليه بلفظ « يا كَريم » فاذا سمعت الناس هـذا اللفظ علمت أن البائع ينادي على الچرك وما اليه .. غير أن منهم من ينادي باسم السلعة من نحو الچرك والبَقْصَمْ والبيتة اُمّ الجِبِنْ والشكَرْلَمَة وغيرها ،وقد ينادي البائع كذلك بلفظ « عَمولة » و « مَعْمول » ..

◆ ومنهم باعـة التُكّي .. وهم من أهالي الـكرّادة ، يحملون على رؤوسهـم أطباقاً كبـيرة يملأونها بالتُكّي فيتجـولون في الطرقـــات

•• والتكي هو التوت في الفصيح ، ويقال لشجرته « تُكَّيَّة » وكذلك يقال لها « تونة » •• وأشجار التكي كثيرة في بغداد ، ومنها ما يزرع في البيوت ••

وباعته ينادون عليه بقولهم « بارِدْ العِنَبْ » وهم يبيعونه بالعيار المسمى « عيار الجِبير » ••

◆ ومنهم باعة تكي الشام •• وهو ضربٌ من التكي شديد الحمرة تصطبغ اليد بصبغته ولذلك يوضع في سدّ فخاري مغطىً بأوراق العنب ، وتكون مع البائع كمية من السُلاء وهي أبر السعف ، يعطي منها واحدةً لكل من يشتري من ذلك التكي لكي يستعين بها على التقاط التكية فيأكلها دون أن يلمسها بيده •• وهو الفرصاد في الفصيح ••

ويتجول بائعه في الأسواق والطرقات وعلى رأسه السدّ الفخاري ، وقد يجلس في بعض المواقع البارزة ويكون معه ميزان صغير من الأطباق المنسوجة ، ومعه عيارات يعيّر بها ما يبيعه •• وهذا النوع من التكي يباع بعيار اصطمبول ••

ومن الناس من يشتري شيئاً كثيراً فيصنع منه الشربت المبرَّد •• وموسم التكي أوائل الصيف عادة ••

◆ ومنهم باعة « الجُمّارْ » وهو رأس النخلة ومنبت سعفها ، فاذا قطعوا النخلة أخذ رأسها نزع منه السعف وبيع ما فيه من الشحم جذاذات خفيفة ••

المهن المؤقتة..

هناك مجموعة من المهن يمتهنها بعض المتكسبين في أوقات ومناسبات خاصة فيتعيشون من مواردها •• ومن هذه المهن ما نشير اليه :

١) اقامة دواليب الهَوَا والمَرَاجيح وأنواع أخرى من وسائل الترفيه والتسلية ، وذلك في أيام الأعياد حيث يتجمهر الصبيان والأطفال فيخرجون الى الساحات المشهورة ــ ومن أشهرها في الجيل الماضي منطقة الشيخ عُمَرْ ــ ومعهم عيدياتهم وما يكونون قد حصلوا عليه من نقود من أهليهم فينفقونها في ركوب دواليب الهوا ــ واحدها دِيلاب هَوَا ــ والمراجيح ــ واحدتها مَرْجُوحَة ــ •• واعتاد أصحاب المراجيح أن يلهجوا بألفاظ محفوظة يتغنّون بها على لحن خاص فيدخلون بذلك شيئاً من السرور على قلوب الصغار •

ومن هذه الألفاظ أنشودة مشهورة شائعة ، الا أنها في طريقها الى الزوال وهي :

نَوَّطْ شوط عيده

وجَمَّلَه وزيده

واچْفي عليه المُنْخُلْ

نُنْخُلْ ننخل بالمنخل

وجِرْبَوْاتي ورايه

ويلگطَنْ من خرايه

خرايه حَبَبْ رُمَّانْ

وفرگَه عالجيران

كُل ناسْ حَبَّة حبة

والواوي تَرْسِ الدَّبَّة ..

وكان عدد من المراجيح يدار من قبل بعض النساء المسنّات ينتفعن من مواردها .

ولكن مكوث الصبي أو الصبية لا يطول في المرجوحة ، فسرعان ما ينزلونه منها ، من أجل أن يدفعوه الى معاودة الجلوس فيها بأجر جديد ، وكذلك القول على راكبي « ديلاب الهوا » فان الديلاب لا يجول بهم في الهواء غير جولتين أو ثلاث جولات حتى ينزلهم صاحب الدولاب من

كراسيهم • وقد كانت هذه الملاعب مما لا يتحرج رجال القوم وشبابهم من تعاطيها في القديم •• فاذا اوشكت ايام العيد أن تطل الناس بادر أصحاب المراجيح ونحوها بنصب مراجيحهم وأشيائهم فاذا انتهت أيام العيد نقضوا أخشابهم وفلّشوا مراجيحهم وجمعوا أشياءهم ليحتفظوا بها الى عيد آخر •• وعند ذلك ينصرف هؤلاء الى وسائل أخرى للتعيش والتكسب •

ومما يمتهن في العيد استغلالاً لأيامه أن بعض الحمّالين من أصحاب العربانات الخشبية التي ينقلون عليها أمتعة الناس وأشياءهم في سائر الأيام يعمــدون الى استخدامها في العيد بنقــل الصبيان الصغار والأطفــال حيث يكدسونهم فيها تكديساً ثم يدفعونها ليجتازوا بهم مسافة قصيرة فينزلونهم أو يأخذون منهم أجوراً أخرى ليعيدوهم من حيث أتوا •• ومن عادة الصبيان أن يجدوا في مثل هذه النقل متعة وابتهاجاً ••

٢ ـ باعة الشلغم في أيام الشتاء ولياليه •• فان هناك من يمتهن مهنة شراءالشلغم وتنظيفه وسلقه في قدور كبيرة ، فاذا نضج أخرجوه الى الشارع وتجولوا به في الطرقات حيث ينادون عليه بأصوات ملحنة وألفاظ معينة وقد يكون البرد قارساً خلال ذلك فتخرج الناس لشراء شيء من ذلك الشلغم الساخن اذ أن البِرْيَمِزْ يلبث تحت القدر في جوف العربانة التي يدفعها بائع الشلغم بيده •

ومن نداءات باعة الشلغم قولهم « دَرْمان الصَدِرْ يا شلغم » ومنها « مايعْ وحَلُو » وهناك كذلك من يأخذ الشلغم والشِوَنْدَرْ الى

مواقد الحمامات فيضعها في رماد الموقد حتى الصباح فتنضج فيجلبها الى السوق ثم يبيعها بالمفرد حيث يزيح رماد الطَمَّة عن الشَلْغَمايَه أو الشوندراية ثم يقشرها ويدفع بها الى الشاري الذي يأخذ بقضمها وهو في مكانه متلذذاً بسخونتها ، ولا يكون ذلك الا في الشتاء حيث موعد ظهور الشلغم والشوندر ، وحيث الحاجة ماسة الى مثل هذه المآكل ابتغاء الدفء خاصة ..

وهي كذلك من مهن المتجولين ، وان كان بعضهم يتعاطاها في حانوت يتخذه في سوق أو في شارع ..

٣ ـ باعة الركَي .. وذلك حين يقبل الصيف ويأتي موسم الركَي ، يقوم عدد من البقالين وغيرهم بالاتفاق فيما بينهم على جلب الركَي وبيعه في الأسواق ونحوها من الساحات المكشوفة في الشوارع والطرقات المأهولة بالناس والمارة ، وهم يتخذون لذلك الجَراديغ من الحصران ويطرحون على الأرض شيئاً من حصران الكَصب ليلقوا عليه الركَي حماية له من الأرض والتراب ..

ويباع الركَي بطريقة يقال لها « شَرْطْ السِجِّينْ » وهي أن يشتري الشاري الركَيَة على شرط أن تكون حمراء اللِبَّة ، وأنّ على البائع أن يشقها بعد الفراغ من وزنها فاذا كانت قُطيرة غير ناضجة تركها واختار غيرها حتى تجيء على الشرط المطلوب ..

فاذا انتهى موسم الركَي تفرق باعته متخذين لأنفسهم وسائل أخرى

للتكسب غير أن أرباحهم من بيع الركّي قد تكون حسنة طيبة ، فينتفعون منها في وجوه العيش التي يتخيرونها فيما بعد ..

٤ ـ ومما يتعاطى بيعه في مواسم معيّنة البقلاوة والزلابية وشعر البنات والقطايف والبُرْمَة وصُرّة العروس وذلك في ليالي رمضان خاصة اذ لم تكن الناس تعنى بشراء هذه الضروب من الحلويات في غير أيام رمضان ..

ولذلك ينشط لها جماعة الشكرجية فتخرج أفرانهم مئات الأطباق والصواني من البقلاوة وما اليها ، فيشتريه منهم جماعة المتكسبة الذين يتخذون لهم منضدة في رأس المحلة أو عند الأرصفة التي يكثر مرور الناس منها وفي الأسواق الأخرى ، ثم يقطّرون صوانيهم ويضعون ميزانهم فيأخذون ببيع حلوياتهم حتى منتصف الليل ..

وبعض أولئك في الغالب ممن يتعاطى مختلف الأعمال والمكاسب بالنسبة لاختلاف المواسم وتبعاً لظروفهم واستعداداتهم المهنية ..

وربما كان فيهم من لم يعتد بيع شيء خلال أيام السنة وانما يستغل مقدم شهر رمضان فيتعاطى بيع الزلابية إمضاءاً للوقت وتشاغلاً بالبيع وانتفاعاً بمورد حسن لا بأس به ..

٥ ـ ومما يتعاطى بيعه في مواسم خاصة ، الهريسة التي يتخذ لقدرها الواسع بناءً ودكةً عالية ، • ويلبث صاحب الهريسة يعمل في انضاجها من أول الليل ، حتى اذا طلع الفجر تداعت عليه الناس يشترون من الهريسة

ما يأكلونه في الصباح ويجدون فيه الدفء ، • اذ ان الهريسة لا تصنع الا في الأيام الشاتية ••

اما مادتها ، فالحَبِّيَّة المتخذة من الحنطة ، ويكون معها في القدر مقدار من اللحم الذي ينهرس انهراساً لطول مقامه على النار من الليل حتى الفجر ••

فاذا أُفرغ في وعاء المشتري شيءٌ من الهريسة ألقي عليه يسير من الكَمُّون والدارْسينْ المسحوق ، تطييباً لطعم الهريسة •• وهناك من يضع السمن المغلي عليها عند تفريغها في اناء فتكون ألذ مذاقاً ، وكذلك جرت عادة البعض أن يذروا السكر الناعم عليها •• وفي أيامنا أوشكت الهريسة أن تزول وتنعدم ••

وتصنع الهريسة في البيوت في بعض المناسبات ومنها يوم عاشوراء وربما وزعت مجاناً ••

٦ ـ باعة الثلج •• وهم يمتهنون مهنتهم هذه أواخر موسم الربيع وأوائل موسم الصيف حتى أواسط الخريف ••

وذلك أنهم يشترون الثلج من معامله ، فيودعونه في مخازن خشبية خاصة أشبه بالدواليب يقيمونها في رؤوس الأزقة أو يتخذون لهم حوانيت في الأسواق يبيعون فيها ثلجهم هذا •• وكانت عادة بائعي الثلج قديماً أن يأتوا بالثلج فيضعوه في صندوق خشبي مفتوح مملوء بالتبن وهم ينادون بصوت مرتفع « اللَّيلَة وَغَرْ َة يا ثَلِجْ » ، فاذا جاء من يشتري من الثلج

قطعة ، أعطوه قليلاً من التبن يضعه في راحة يده وعليه قطعة الثلج لئلا تتأذى يده من شدة البرد ..

ويتفق الناس مع باعة الثلج على تزويد بيوتهم بربع قالب من الثلج ، يؤتى بها الى بيوتهم كل صباح لقاء مبلغ شهري وحين يشتد الحر ينسلخ كثير من باعة الثلج عن اتفاقهم مع الناس فلا يلتزمون بشيء من شروطهم واتفاقهم وبهذا يكثر سخط الناس على هؤلاء الباعة الذين يستغلون شدة الحر ورغبة الناس في شراء الثلج فيبيعونه بأكثر من أثمانه لمن ليس بينهم وبينه اتفاق .

على أن وجود الثلاجات الكهربائية في البيوت خفف من هذه الأزمة شيئاً كثيراً ..

٧ ـ باعة الورد الجُوري .. وهم من الكَرّادة ، يجلبون معهم في الصباح زَنْبيلاً يضعون فيه ما اقتطفوه من الورد الجوري المختلف الالوان، من أحمر وأصفر وأبيض فيصنعون منه باقات كبيرة وصغيرة، يضعون خلالها أوراق اليُاسْ وما كان من نحوه ، ويشدّونها بالخوص فيشتريها منهم هواة الأزهار من المترفين خاصة ..

وقد يشتري منهم من شاء من الناس أوراداً مفردة أو باقات صغيرة كل الصغر .. أما غالب أماكن هؤلاء الباعة فأنها تكون في الأسواق المشهورة ، وعند رؤوس بعض الشوارع .. وفي هذه الأيام يرى بعضهم

يتعاطى عمله على مقربة من بعض الفنادق الكبيرة في شارع الرشيد ، خاصه ما يقع منها في منطقة « السِنَكْ » ..

على أن بيع الورد لم يعد يُتَعَاطى الا في نطاق ضيّق محدود ، ومما ينبغي الاشارة اليه أن الناس في بغداد لم يعرفوا بعد وجود حوانيت لتربية الأزهار وزراعتها وبيعها واقتنائها بنطاق واسع ، كما هـو الحال في بعض البلاد العربية الأخرى ..

وتسمى باقة الورد عندهم « شَدَّةْ وَرِدْ » وجمعها « شَدَّاتْ وَرِدْ » ..

الصياغة والحدادة والتعدين

◆ الصـــياغة ..

هي مهنة صياغة الحليّ من الذهب والفضة .. والغالب في هذه الحلي أن تكون نسائيـــة من نحو الحجول والخلاخيل والتراچي والسْوارات والخزّامات والگلايد والمْحَابِس والزَ رْدات وغيرها .. وهناك ضروب من الحلي خاصة بالأطفال منهـــا « المَاشَا اللّه » والجناجل الذهبية التي يعلقونهـــا على مذاكير الصبي الرضـيع ؛ ومن الحلي الخاصة بالرجال ، الخواتيم والزردات والكوستكات وأزرار الثياب ..

ومما يصنعه الصاغة أيضاً القواشيغ والچـطَلات وأواني الطعام يتخذها السروات في بيوتهم ..

وكذلك يصوغون الحُبُص وقابات القرآن وغير ذلك من مصوغات الذهب والفضة ..

وترصّع أنواع معينـــة من الحلي بالفصوص المتخذة من الشَذَرْ والياقوت والألماز ، وشاع عندهم في الأيام الأخيرة استعمال اللؤلؤ الصناعي بكثرة ..

ومن صناعة الصاغة « الكَنْكَرات » الفضية وهي الاقفاص المشبكة التي تتخذ للاضرحة المعروفة ..

وعلى ضريح الشيخ عبدالقادر الگيلاني قفص مصنوع من الفضة صنعه الصائغ في خان جغان ببغداد الحاج علي عزيز الكربلائي المتوفى سنة ١٩٣٠ وهو والد الاستاذ عزيز علي المنلوجست العراقي ..

وكنا أدركنا الصياغ في بغداد وغالبيتهم العظمى من اليهود ، وفوق ان حوانيتهم متناثرة في أرجاء بغداد ومحلاتها فلقد كانت لهم سوق كبيرة خاصة بهم هي سوق خُانْ جِغْانْ التي هدمت مؤخراً واتخذت بدلاً عنها سوق حديثة لبيع الأقمشة يطلق عليها اليوم اسم سوق دانْيال وتقــع هذه في الشمال الشرقي من المستنصرية جنوبي سوق الصفافير ..

أما سوق الصاغة اليوم فلها مدخلان من جهة سوق السراي ومدخل آخر من الجهة التي يقع فيها مسجد عثمان اَفَنْدي ، في جهة الأكمكخانة..

وبعد تسقيط جنسيات اليهود العراقيين تداعى على هذه الصناعة عدد كبير من المسلمين والصابئة ، وكان الصابئة ولا يزالون يتعاطون مهنة صياغة

الحلي الفضية المطعمة بالمينا ، وتقع حوانيتهم في شارع المستنصر الذي كان يسمّى أول الأمر « شارع النهر » •• وصناعة المينا هذه تتناول مواد شتى منها السكاكين المتخذة للزينة ، وعلب البَرْنوطي والجگاير ، والمزهريات وأشياء كثيرة ••

وهم يرسمون على مصنوعاتهم صور المآذن وقباب المساجد والمناظر السياحية الشهيرة كطاق كسرى والنخيل وغير ذلك •• وهي صناعة لاتعرف في غير جماعة الصابئة ••

وقد جاء في رحلة « تكسيرا » الرحالة البرتغالي الذي قدم بغداد سنة ١٦٠٤م الاشارة الى وجود سوق كبيرة في بغداد لصاغة الذهب والفضة الذين كانوا كلهم من المسلمين •• وذكر « تكسيرا » ان هؤلاء الصاغة كانوا يصنعون الكثير من المصوغات والمصنوعات الثمينة والغريبة ••

أما أدوات الصاغة فأشهرها البُطْقة والمُنْفاخْ والسِنْدان والمطرقة ، وآلة لصنع الأسلاك الذهبية وهي عبارة عن لوحة مثقبة من الحديد يوضع فيها السلك الذهبي ثم يجرّ بالچلاّبْتَينْ وعند جرّه يَدِقُّ على نحو مايتهيأ له من الدقة المتناسبة بالثقب الذي يمرر منه، ثم يوضع في ثقب غيره أكثر دقة فيجرّ منه وهكذا يتنقلون به من ثقب الى آخر في تلك اللوحة حسب المقاييس التي فيها ••

وعندهم لوحات فيها معالم ونقوش وجداول يستعملونها لصب الذهب فيتخذ الأشكال المراد طبعه عليها ••

◆ القَشّاعَة ..

هذه مهنة من المهن المحدودة ، كان يتعاطاها بعض اليهود في بغداد حيث يراجعون الصائغ فيشترون منه كناسة دكانه في وقت ما ، لقاء ثمن يتفق عليه ..

وتكون مهمة القَشّاعْ أن يكنس الدكان فيجمع تراب الأرض وكناستها ، ثم يخرج بها فيعالجها فيما بعد بالغسل والتذويب في بودقة الصياغة فيستخلص من ذلك كله شيئاً يسيراً من الذهب ينتفع به ..

وهي مهنة قديمة أوردها كُتّاب الحسبة ..

◆ الكُنْدكارِيَّة .

هي صناعة صبّ قراضات النحاس وردّها الى قطع معدنية صالحة للاستعمال من جديد ..

وصاحب هذه الصناعة والعامل فيها يقال له الكُنْدكارْ .. وأصل اللفظ من الفارسية « كُنْتْ » بمعنى القالَبْ والصبّ ..

ان هذه الصناعة انقرضت من بغداد نهائياً وكانت الى وقت قريب تعرف في الحلة وكربلاء ثم انتهى أمرها كذلك فلا وجود لهـا اليوم في العراق أصلاً ..

أما آلة الكندكارية فهي كورة تبنى على دكة حيث يعقد عليها بالجِصّ والطابوق ثم تقوّر في أرضيتها حفرة على شكل النِجّانَة أو الكاسة ويسَع

جدارها الداخلي بدقيق العظام المخلوط بميّ الطين أي الطين الأحمر المخمر ..

ويرتبط بالكورة منفاخان اثنان يقومان خلف الكورة مباشرة اذ يكون فيها انبوب من صفر تدخل فيه المنافيخ يقال له « بَلُّوغْ » ..

وللكورة فتحة أمامية يلقى منها فحم الطَرْفَة والشوك لايقادها ..

وتسع الكورة من القراضات المذابة ما يبلغ أحياناً الثلاثة أمنان ..

ومن أدوات الكندكارية القوالب الطينية تتخذ من الطين الأحمر تفخر به فتكون كالقحوف وهي أنواع منها الصغار ومنها الكبار حيث يصبّ فيها ذائب النحاس ..

ولهم جواكيج شتى الضروب والأسماء يطرق بها على الصبابة الجامدة ستةُ عمالٍ يتداعون على الطرق بشكل رتيب جميل حيث يحيطون بالقرص المراد طرقه وتوسيعه ..

أما ملاك هذه الصناعة فلا بدّ أن يكون من أحد عشر عاملاً ، ستة يطرقون والسابع يوقد الكورة ويسمى « كَلْطاوْ » أي الوقاد واثنان ينفخان في الكير وهما الهَوَادارِيَّة ويقال لأحدهما « هَوَدارْ » .. وعامل آخر يقص زوائد الكَلَّة، وحتاريفها .. والكلة هي القرص المطروق ..

ومن ألفاظهم لفظة الطاوْ وتعني هذه الدستةَ التي تحتوي على عدة قطع من الأقراص المطروقة .. ومن جواكيج الكندكارية جاكوج بالة

ـ بالباء العريضة واللام المفخمة ـ ويكون الضرب بهذا الچاكوج على وسط القـــرص •• وچاكوج آخـر يقـــال له « نَرِي » ويستعمل للتغميج والتعميق ••

وچاكوج آخر يقال له « شيش بُكْ » ويكون الطرق به على طرف القرص ••

وكانت في سوق الصفافير كورتان للكندكارية ، وكان آخر كندكار اشتغل في هذه الصناعة في بغداد هو الحاج صادق عمران وهو بغدادي ولد في بغداد سنة ١٣٠٤هـ ـ ١٨٨٤م ـ وقد ترك صناعته هذه سنة ١٩٤٧م ••

وكان من أسباب انقراض هذه الصناعة أن حصيلتها لا تسدّ تكاليفها ، ثم أن الحاجة اليها أصبحت منتهية من أجل توفر ألواح النحاس المستوردة من الخارج •• وكانوا قديماً لا يتوفر لهـــم ذلك دائماً فـكانوا يشترون القراضات القديمة والخَشْالات والقدور والأواني التي لم تعـــد صالحة للاستعمال فتذاب بهذه الوسيلة ثم تتخذ قرصاً يطرق فيكون أشبه باللوحة يباع للصفارين فيصنعون منه القدور وغيرها من جديد ••

◆ چِرْاريخ السِچْاچين

وأحدهم الچَرّاخ ومهمته شحذ السكاكين والمكْاصيص والسْواطير بآلة تكون معه وهي عبارة عن چرخ حجري خاص مركب على مدار يدور حوله وقد ربط بعجلة يلتف حولها سير من جلد وتدور هذه العجلة بواسطة الأقدام •• وهذه الآلة يصنعها النجارون في بغداد ••

أما الجراريخ فغالبيتهم العظمى من جاليات الأزبگ الذين كانوا يتخذون مقامهم في جامع الأزبگ ، ويخرجون خلال النهار الى سائر محلات بغداد سعياً وراء رزقهم ..

وفي بعض الأوقات يرى أناس من العراقيين يتعاطون هذه الحرفة ..

◆ مبيّض الجدور

المبيّض ويقال له في جنوب العراق رَبّاب وجمعه ربابيب .. وكذلك نسميه المْبَيَّضْچي وجمعه مْبَيَّضْچيَّة ..

وتكون مهمته تبييض القــدور والطِشُوت والطاوات والجِماچير والأواني النحاسية والقَرَوايِنْ ، وغير ذلك من الأوعية التي تتخذ من النحاس .. ولابدّ من تبييض القدور بين كل فترة وأخرى اذ قد يتسبب من اهمالها التسمم ؛ وفساد الطبيخ ..

ولابد في كل دكان من دكاكين المبيضين أن تكون هناك حفرة" الى حد الحزام ينزل المْبَيِّضْ فيها فيظل واقفاً يؤدي عمله ، وتسمى هــذه الحفرة بالجُفْرَة ..

وهناك ما يسمى بالجُومَة وهذه منخسف في الأرض يقوم العامل فيه بجلف الأواني والقدور بحركات يتحركها ، حيث يضع الاناء على الأرض ثم يضع رجليه فيه فيدلكه ويجلوه برمل الأحجار بطريقة خاصة..

وكذلك يستعملون في جلاء الأواني النحاسية التيزابْ والبَطَشْ اذ لابد من وجود حِبّ في الدكان يكون فيه التيزاب فينقعون فيه القطعة

النحاسية اذا اقتضى الأمر ذلك •• ويضعون البَطَش في قدر خاصة فيذيبونه بالماء ليستعملوه في صقل الأواني ••

ومن أدواتهم التي يستعينون بها على صناعتهم العَنْبُور والحَلْقَة والنُص حَلْقَة ••

ولابد من كُورة تنصب في الدكان توقد بالمنافيخ حيث يحمى عليها القدر ثم يذاب عليه القَلاي ـ وهو القِصْدير ـ بالطريقة المعروفة عندهم ••

ومما يستعملونه من المواد اللازمة لتبيض القدور « الشَنَاذِر » ويكون مطحوناً ناعماً ، ومنها القطن اذ يحملون بقطعة منه منفوشة شيئاً من الشناذر فاذا أذابوا القَلاي على الجانب المحمى من القدر أخذوا بمسحه بقطعة القطن التي يكون عليها الشناذر ••

والقلاي الجيّد يسمى « قَلاي حُرّ » وهو القصدير واللفظ في الأصل « القصدير القَلْعي » نسبة الى جهة معينة ••

وتلفظ لام القلاي بالتفخيم ••

والقلاي المغشوش يقال له « قاخْشور » وهو أن يخلط الرصاص والقلاي ومعدن التُوتْيَة فتبيض بذلك القدور عند الشح على أهلها بالقلاي الحرّ •• وفي سامراء يخلطونه بالرصاص وحده ويسمّى خاشْكُور ••

ولابد في كل دكان من حفرة يضعون فيها ماءاً اعتيادياً لغمس الأواني فيه بعد الفراغ من عملية التبييض ..

ويحتاج المبيضون الى القير الأسود ليقيروا به جعْوب قدور الحَمّام ، ويضعوا كذلك شيئاً منه في أسافل قعر بعض الأباريق .. وكذلك يحتاجون الى مادة الزِرْنَيْقيّون الحمراء التي ينقشون بها أفواه الأباريق وأطرافها..

وتكون دكاكين المبيضين ملأى بالهيس وهو الهباب والسخام الذي يتراكم على الجدران والسقف ويزعمون ان هذا الهيس يفيـــد في معالجة القروح ..

وكان المبيضون قديماً كثيراً ما يطوفون في الأزقة يعلنون للناس عن استعدادهم لتسلم القدور من البيوت والذهاب بها الى حوانيتهم لتبييضها ومن ثم اعادتها الى ذويها تسهيلاً لأمرهم ..

وكانت دكاكين هذه الصناعة منتشرة في أسواق بغداد وأزقتها غير انهم اليوم قليلون جداً لأن الناس تداعت على القـدور المصنوعة من الفافَوْن الذي لا شأن له بالتبييض والمبيضين ..

ويكون مع المبيض عددٌ من العمال والمساعدين .. وفي ايقاد الـكورة يستعملون نوى التمر الذي يشترونه كل تَنَكَة ملأى بمبلغ يسير ؛ ومنهم من يستعمل الفحم ..

وفي سوق الصفافير اليوم أربعة من مبيضي القدور ، أشهرهم جليل ابن خضر بن أحمد القيسي وقد توارث مهنته من آبائه وأجـداده الذين

كانوا يتعاطون تبييض القدور منذ دهر طويل •• وقد كان عدد المبيّضين في السوق قبل اليوم ثمانية فتناقص الى أربعة كما أشرنا الى ذلك قبل هذا ••

◆ الصفافير ••

جمع صَفّار وهو من يتعاطى الأعمال النحاسية التي يطلق عليها لفظ « الصِفِرْ » في بغداد فيصنع منها القدور والطشوت والسَفَرْطاسيّات ومواعين الصِفِر وقابْات الشَوْرْبة والأَنْكَرْيّاتْ وصِفاري الهريسة وهذه أشبه بأناجين العجين الا انها تكون كبيرة واسعة ، وصفاري الدِبِسْ والكِماكُمْ وباتيلاتْ الشكرجية ورَكّيّات الحمّام وسْطول الآبار والطاوات والجفاجير والجَمْجات والدِكْبَراتْ والجدور وهي أنواع منها ما يقال له جِدِرْ عَرابي وأخرى يقال لها جدر كَمَجْدون وكذلك صنف يقال له قُوشْخانَة ومنهم من يسميها قوزغانة وقدور العساكر المعروفة بضخامتها •• ومما يصنعه الصفافير أميال المنابر وقدور الحمّامات وقواطي الدَوْنْدِرْمَة والصواني – جمع صينية – وهي أنواع منها الصغار ومنها الكبار وقد يكون قطر الصينية خمسة فوتات ؛ ومن ذلك التَبْسيات والتكَنيّات والأباريق واللِكَنات والبادِيّاتْ وغير ذلك ••

وللصفافير عدد من الجُواكيجْ لها أسماؤها الخاصة منها النَري و « النَري قَدْ » والدُبَحْلي •• ولهم من العنابير – جمع عَنْبُورْ – وهي الكمّاشات أنواع ذات أشكال مختلفة ••

ولهم كذلك من السنادين ضروب وأنماط لها أسماؤها ومن بينها المَخْليمَة والكَلا بِيَة والعِجْمِيَّة والمخليمة زارات والناي وهو حديدة كالشَفْت الطويل •• وهناك كرسي خشبي له قائمتان يوضع فيه أيّ من هاتيك السنادين فيكون لهما بمثابة رجل ثالثة وهي في نفس الوقت سندان تجرى عليه أعمال معينة •• ويقال لهذا الكرسي « دَرْناي » ••

ومن أدواتهم عود صغير طوله فوق الشبر تلفّ على رأسه خرقة صغيرة يغمسونه بالماء ثم يمسحون به مشابك القدور والقَوّارات ونحو ذلك يقال له « سِياهي » ••

ومنها الجَخْمة وهي قالب حديدي مثل الكليشة فيه علامة نجمةبارزة يكبس بها بالمَنْكَنَة على جعوب اللِكَنات فينطبع عليها شكل النجمة ••

وللصفافير سوق خاصة يقال لها سوق الصفافير لها أكثر من مدخل واحد ومن مداخلها ما يكون من جهة باب الآغا •• وكانت هذه السوق قبل جملة كبيرة من السنين لا يشغلها الاّ جماعة الصفافير والمْبَيَضْجِيَة غير أنها اليوم مأهولة بعدد كبير من أصحاب الصناعات والباعة ولا سيما من الجهة المتصلة بسوق البزّازين فلقد اتخذت هناك عدّة من الحوانيت لبيع الأقمشة والخامات ••

انّ سوق الصفافير لا تزال تؤدي مهمتها في صناعة كثير من المواد كما كانت في القديم رغم انتشار قدور الفافون وأواني البلاستك ••

وأغلب هذه المعلومات تلقيتها من الحاج كاظم عزيز أحد تجار الصفر في السوق .

وفي فصل آخر من هذا الكتاب اشارة الى سوق الصفافير عند الكلام على عدد من أسواق بغداد ..

◆ التَنكْجيَّة ..

واحدهم « تَنكْجي » وهو من يشتغل في أعمال التنك والجينكو يصنع منهـا الأباريق والرِحْاتيـَّات والادْارْات وطشوت الجينكو والسطول والقعّادات والأنابيب التي تتخذ بَوْجات للمواقد والمصالخ وهي جمع مُصْلْخ ويكون عبارة عن برميل من التَنَكْ أو الجينكو يملأ بالماء وفيه حنفية تفتح وتسدّ عند غسل اليدين والوضوء ونحو ذلك ..

وتكون مع التنكجي عدّة خاصة من مطارق وأخرى خشبية يقال لها الطخاميخ ـ واحدها طُخْماخْ ـ وتكون معه كذلك طابوقة منقورة من منتصفها يوضع فيها شيء من الرصاص والشناذر وهناك كورة ومنفاخ ومكواة وشَفْتْ حديدي ضخم تسوّى عليه صفائح التنك والجينكو ..

ويسمّى التنكجي كذلك بالسَمْكَري وجمعه سَمْكَرِيَّة .

◆ التُكْمَجيَّة ..

واحدهم « التُكْمَجي » وهو من يقوم بصب الفافون والنحاس وغير

ذلك في قوالب خاصة على أشكال مطلوبة من نحو المفاتيح وغيرها يملأ القالب بالرمل الرطب ثم يدس المفتاح المراد اتخاذ نظير له في ذلك الرمل فيرتسم شكله فيه وحينئذ يصب في الفراغ المتخذ من شكله النحاس أو غيره وبعد ذلك يعود عليه بشيء من الصقل والتهذيب على المادة المصبوبة حتى تأتي طبق الأصل ..

وأماكن هؤلاء التكمجيّة في سوق الصفافير ..

النجارة وما إليها

◆ النجاجير ..

جمع نَجّار وهم أصناف وأنواع منهم من يشتغل في أعمال البناء حيث يصنع الأبواب والشبابيك ويعاون البنائين في تركيب السقوف والجسور والكتائب ويعمل الصَچَغات والمْحَجَّرات ونحوها ؛ ويرقم السقوف بالألواح ..

وهناك نجارون يصنعون الصناديق وكراسي الحباب والدواليب والكَوارِيكْ والتِوابيت والقَباقيب التي يتنعّل بها ..

وهناك نجارون يصنعون الجَراجير والجُواوين والمياجين .. وهناك من كان يصنع التِكَمْ والدَلَگاتْ يركب عليها من أنواع النقش والريازة

ما يجعلها في عداد التحف وقد انقرضت هذه الأنواع من الأعمال ..

وعرفت في وقت متأخر في بغداد صناعة المَوْبِلْيات وهي من نحو الكَناتير ومَيزات التُواليت والجَرْپايات وغير ذلك من ضروب الأثاث الخشبي الذي يباع بأثمان عالية ..

ومن النجاجير من لا يزال يصنع المرافع - جمع مَرْفَع - وهو خزانة ذات شكل خاص يتخذها الأعراب للأثاث ، ويعادل المرفع عندهم ما عندنا من الكناتير والدواليب ..

◆ الجِراخة ..

الجراخة : صناعة الجرّاخين ، وهي من الصناعات التي يمكن الحاقها بالنجارة اذ ان مادتها الخشب .. والجراخون أنواع فيما يتعاطونه من هذه الصناعة اذ يختص كل فريق منهم بفريق من الجراخة ومنهم من يلمّ بكل أنواعها فيتعاطاها جميعا ..

أشغال الجراخة هذه وأصنافها خمسة - على ما أحصاها لي الجراخ « تُرْكي » وهو من مشاهير ذويها -

١ - الخُرْده‌كار .. اي الاشياء الناعمة والمخططة .

٢ - الفَرَنْجي .. اى اعمال الموبليات .

٣ - المُغْزَلْجي .. أي صناعة المغازل والبكاكير ..

٤ - صناعة اليدات والبكرات والطخاميخ ..

٥ - اللاشْ .. أي صناعة الكواريك ورُمّانات التخوت وصناديق

القبور وشمعات الكواريك وسَرْكَلاّت المْحَجَّرات ..

وللجراخين آلات خاصة تسمى الأوزار وهي تختلف باختلاف نوعية الخشب المستعمل في الصناعة .. ومن أدواتهم « التياغة » وهي جمع « تِيغ » وهذه أنواع شتى منها :

١ ـ تيغ حَفُرْ غُمُجْ ، وتحفر به الهاونات الخشبية ..

٢ ـ تيغ چِكْلي العُرُضْ

٣ ـ تيغ چِكْلي الغُمُجْ والقَطِعْ .. ويكون رأس هذا التيغ كثير الميل والانحناء .. كأنه منقار النسر ..

ومن أهم عُدد الجراخين « المِشْبْايةَ » وهي عبارة عن قضيب حديدي يسند الى ما يسمى بالخَدَّين اللذين يكون أحدهما ثابتاً والآخر متحركا..

والمِشْبْايات أنواع من حيث طولها وثقلها .. وهي تجلب من ايران وقد تصنع أحياناً في بغداد .. ويركب على كل خدّ من ذينك الخدّين ما يسمى بالسَرْميل وكذلك يقال له « سَنْتَرْ » وجمعه سَراميل ، وتكون في أدنى الخدّ المتحرك مسطرة من خشب مثقبة يسمونها « تيرْ » ويقال لها أيضا « مادود » ، وتكون مهمة التير توسيع مساحة التختة على مقدار ما يوضع بين السرميلين من أشياء يراد جرخها ..

وتسمى هـذه العُدّة بمجموعها « التِزگاةْ » كمـا تسمى ايضا « الجرخ » ..

وهناك الگوّز الذي يكون له الدور البارز في عملية الجراخة ومـا

اليها •• ويتألف الگوز ـ وأصل لفظه القوس ـ من عـود مقوّس بعض التقويس ، طوله نحو المتر ويتخذونه من الرُمّان او النومي او التـوت • ويشدّ الى هذا العـود وَتَر" متـين ، ولعـدم وجود الوتر فانهم استعاضوا عنه بحبل رقيق •• ويكون هناك ما يسمى « القَبْزة » ـ بترقيق الباء والزاي ـ وهي ترتبط بشيء يكون في أحد طرفي القوس يقال له « الاذِن » ويدخل الخيط من جهته المرسلة في ثقب القبزة ثم يلف عليها بمقتضى ما ينبغي من الشدّ والارخاء وذلك عند ارادة العمل والقيام بجرخ ما يراد جرخه ••

ومن عدد الچراخين وأوزارهم ما يسمى بالعَريضة وهذه نوعان :

١ ـ العريضة العَدْلَة ، وتسمى أيضا « المسّاحة » •

٢ ـ والعريضة العَوّجة ، وتسمى كذلك « پولاْدْ كَجْ » أو مساحـة عَوّجَة •• وهناك مساحة يقال لها مساحة متوسطة ••

ومن عددهم المداوير ويقال لها ايضا « الكواريد » ـ واحدها كارود ـ وهي أنواع منها :

المِدْوَرْ الكبير وهو من حيث شكله يشبه المُحْفاره التي تستعمل في المطابخ لحفر البيتنجان والخيار ونحوهما •• ويكون رأس هذا المدور مسنّناً حادا ••

والمِدْوَر الوسطاني وهو أصغر من المدور الكبير •

والمِدْوَر الصغير ••

ولابدّ من وجود منشارين احدهما كبير والآخر صغير ..

ويعتمد الجرّاخ في غالب عمله على قدميه واصابع قدميه وقبضة يده ولذلك كانت هذه الصناعة قليلة المتخصصين لما يغلب على القائم بها من الجهد والمشقة ..

والچراخة في الحقيقة من أعمال الزينة والريازة فهي اكثر الطاطاً بالفنّ منا بالصناعة العادية البسيطة ..

ومن صناعات الچراخين أن يثقبوا العيدان الطويلة التي تتخذ چُبُغات ومشارب للنَوارْگيلْ ،كما أنهم يثقبون الأمْزُگاتْ التي تستعمل للتدخين، ويخططون ظاهر هذه المشارب والچُبُغاتْ ويحفرون فيها أخاديد وتقاطيع لكل منها أسماء ومصطلحات كالذي يبدو في رسم هذا الشكل من التسميات التي منها القازْ ، والتُنْگْ والسراحي والدُگْمةَ العدسية ..

ومن أعمالهم صناعة المصارع التي يلعب بها الصبيان وهي أنواع منها الناعوري والوَنّاني ...

أما الناعوري فيصنع من التوث أو النارِنْجْ ويكون مثقوبا من جانبه الاعلى بثقب صغير يوضع فيه الشيرج ويكون مثقوبا من الجانب الاعلى الثاني بثقب كبير واسع يحفر فيه بعمق سانتيم أو أكثر ، ثم يغطى بقطعة خشب يقال لها « فِلِسْ » .. ومنهم من يضع الفلس في ثقب يحفر في سطح المصرع ويقال عندئذ ان فلس المصرع من « الچاكْ » ..

وفي ذنب المصرع يوضع ما يسمى بالنَبْلة وهي دبّوس غليظ من حديد .. ومن المصارع ما يصنع من خشب القَوَغ ويلوّن بالأحمر

والأخضر وغير ذلك ..

وهناك نوع من المصارع يقال له « مُصْرَع ْ أبو الشَّاخَة » يكون في سطحه عودٌ بطول فِتِرْ يثبت في ثقب يثقب في منتصفه ، ويكون للعب به نمطٌ خاص وقد انقرض هذا النوع من المصارع ..

ومن اعمالهم المهمة صناعة « الكَنَاكِرْ » أي الاقفاص الخشبية المشبكة التي تكون على الاضرحة وهذه أنواع منها ما هو ذو طابع عربي كالقفص الذي على قبر محمد الفضل في جامع الفضل ببغداد وقد صنعه أسطة كاظم القيسي الجراخ وهو جد تركي الجراخ ..

◆ صانعوا المَنَاخِلْ والغرابيل ..

ولهم حوانيت في الشورجة وأماكن أخرى في بعض أسواق البلد .. وتكون مع العامل تِزْكَاة خاصة يصنع عليها المناخل ـ جمع مُنْخُلْ ـ وهو ما تتخذه الناس لنخل الدقيق ونحوه ..

والمنخل بلام مفخمة ، وكذلك لام المناخل ..

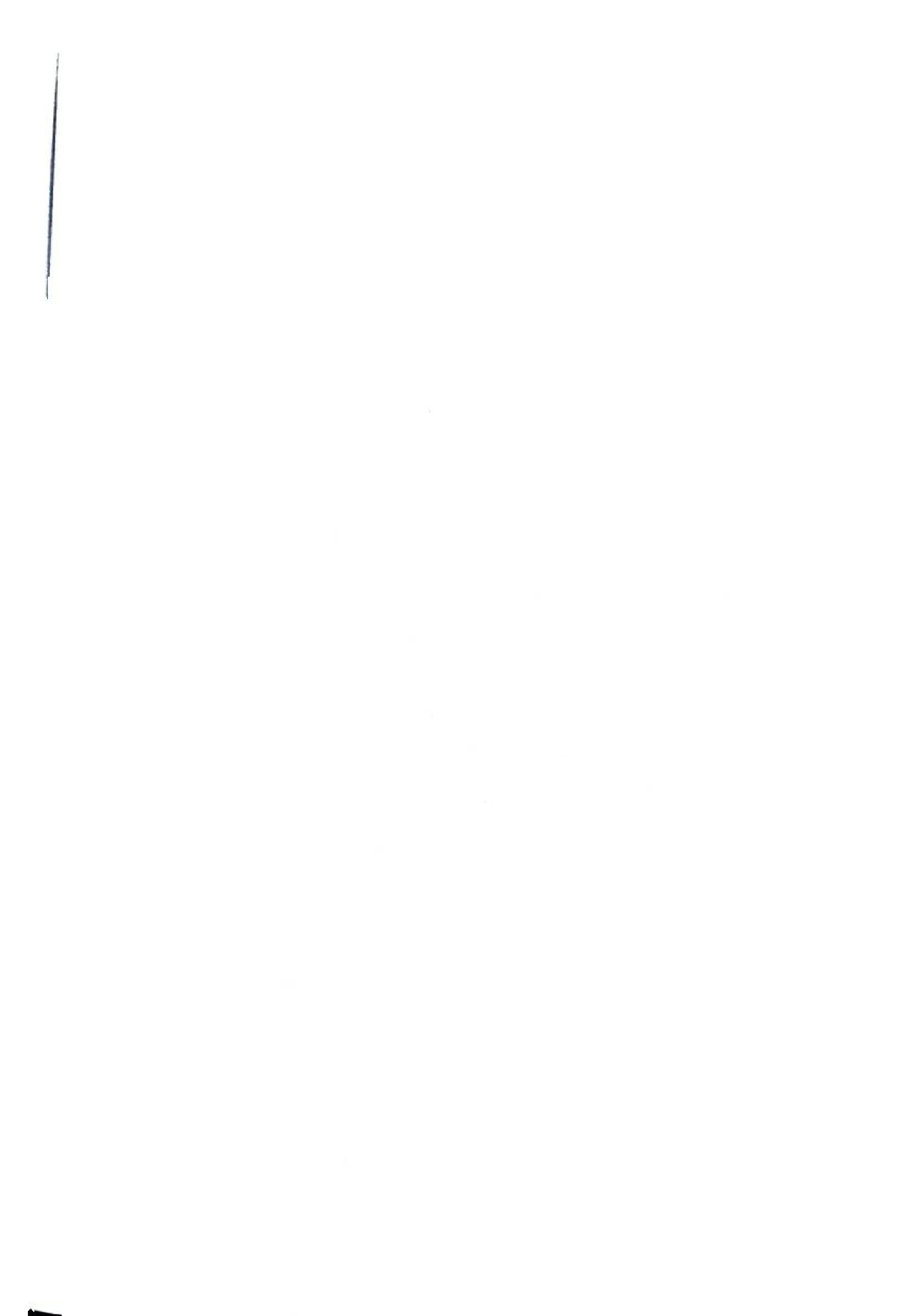
وهو عبارة عن اطار دائري من رقيق خشب التوت المنقع بالماء والمَلْوي ـ على شكل دائرة ـ بالوسائط البدائية المعروفة لديهم ، ثم يضعون على احدى فوهتيه مشبكاً من التَيلْ يدقونه بمسامير صغيرة ناعمة ويضعون على حاشية الغَرْبيل حاشية دقيقة من الخشب ، تقوية للتيل وحماية لليد من التعرض للتخديش .. وتيل المناخل لابد أن يكون رقيقاً صغير الفتحات ملوناً بالصفرة أو الخضرة ..

وكذلك يصنع أهل المناخل الغرابيل وتكون فتحات الغربيل أكثر اتساعاً •• والغرابيل أنواع منها ما هو كبير ووسط وصغير ويستعمل أصحاب العلاوي هذه الأنواع الثلاثة وهي تتفاوت في سعة خروقها وثقوبها •• وتستعمل الناس في البيوت النوع الصغير من بينها •• اما خيوط الغرابيل فانها في الغالب من الاوتار تشد على محيط الاطار ثم تعالج بالنسج والتشبيك ••

◆ الدَوْشَمَْچي •

وجمعه دَوْشَمَْچِيَّة •• وهو من يشتغل بتحشية الأرائك والقَنَفَاتْ ومقاعد السيارات التي يقال لها كُشِنَاتْ ـ واحدها كُشِنْ ـ وهم يوجدون دائماً متهيئين لأعمالهم في المحلات التي تصنع فيها الموبليات ••

وكذلك يراد بالدوشمچي من يشتغل بكل أعمال الخياطة الخاصة بالسيارات •• وكانت السيارات أول اشتهارها في بغداد تسقّف بالتَنْتَاتْ التي تصنع من القماش الصفيق من نحو الخاكي والكتّان كما كانت متكآتها الداخلية تغلف بالقماش وتحشى باللِّيف والقطن وغير ذلك ، ومن أجل هذا كانت حرفة خياطي السيارات رائجة ولهم منها معاش" لا بأس به •• وكان لابد من وجود دوشَمْچي في كل گَراجْ من گراجات السيارات•• ويقال له أيضاً « دَوْشَمَچي » بفتح الميم ••



الحفارون والمنظفون

◆ طماميس البير ..

هذه مهنة انقرضت بأهلهـــا وبآبارها ، حيث كانت الناس تعتمد في الحصول على الماء من آبار تحفر في البيوت ، وكان اذا سقط في البئر شيء من أشيائهم وأوعيتهم جاءوا بشخص يمتهن مهنـــة النزول في قعر البئر واستخراج ما وقع فيه ، وربما وقع فيه حيوان أو صبي .. ويقال لمن يمتهن هذه المهنة « طَمّاسْ بيرْ » وكثيراً ما كان طُماميس البير يتجوّلون في الطرقات وهم ينادون على مهنتهم لعل هناك من يستدعيهم لاستخراج أشـياء سقطت في بئره ..

وقد يتعرض طماس البئر أحياناً للموت خنقاً بغاز « الميثين » وربما مات من نزل وراءه يحاول انقاذه واخراجه ..

ومن أدوات هؤلاء آلة يسمونها « شَيخ الجِناكِيل » ، وهي سلسلة من الحديد في أحد طرفيها عدة كلاليب ، اذا ألقيت في البئر تعلق بها ما يكون في قعرها من سقيط ، وبذلك تستخرج سقائط الآبار ..

◆ النِزازيح ..

جمع نَزّاح وهو الذي يقوم بنزح المراحيض والبلاليع وكانت هذه المهنة من اختصاصات التِركيف لا يمارسها غيرهم .. وكثيراً ما يرى واحدهم متجوّلاً في الطرقات والأزقة يحمل على كتفه مَرّاً ويمسك بيمناه سعفة نخل مجرودة من الخوص يقال لها جِريدة .. وهو ينادي قائلا « نَزّاح نَزّاح » وربما قال بعضهم « نَزّاح طَهايِر » ـ الطهاير جمع طَهارة وهي المرحاض ـ .. ومن أدوات النزازيح الأخرى عدد من الصْلوخ ـ جمع صَلِخ وهو قربة من جلدٍ تملأ بالمياه المنزوحة ـ تحمل على الحمير ويُمْضى بها الى خارج بغداد حيث تلقى في العراء ..

وحين تجفّ هذه المياه تتخذ سماداً يطلق عليه اسم « خَنَس » ..

ولابد أن يتعرّى أحد جماعة النزازيح فينزل الى تَنّورة المرحاض ومعه شيء من الرماد في طُبْگيّة من الخوص صغيرة ليخلطه بما يكون هناك من ماء يسير فيجعل منه كتلاً يضعها في السلة فترفع من بين يديه كلما امتلأت اذ تُجَرّ بحبل مربوط بها .. وقد يختنق هذا الرجل ان لم يتداركه أصحابه فيجذبوه بأقرب وقت ..

◆ حفاروا البْلاليع والآبار ••

وهؤلاء جماعة يختصون بحفر البلاليع في ساحات البيوت فاذا أتموا حفرها بنوا في حفيرتها بنـــاءاً مستديراً من الحجارة والطين تكون قاعدته فسيحة ثم تلتمّ حتى تضيق عند جهة العنق ، ثم يدفنون ما حولها بالتراب ويضعون على فوهتها طابوقة ينقرون في منتصفها تجويفاً مستديراً ، ليكون ذلك حَلْگ البلوعة ، يدخل اليها الماء عن طريقه ••

وهنـــاك من يحفر الآبار ـ البْيارة جمع بيرْ أي البئر ـ وتكون الآبار عميقة كثيرة العمق واذا اكتفوا من تعميقها بدأوا بناء أصلها بالطابوق والنورة المخلوطة بالرماد وهي عملية شاقة ، وقد زالت الآبار من بغـداد وانقرض بُناتها الأولون ••

الترفيه الاجتماعي

◆ المَزِيقَجيَّة ..

هم جماعة يحترفون حرفة العزف على أنماط من الآلات الموسيقية التي كانت تستعمل في الجيش العثماني سابقا .. وقد جرت عادة الناس في الأعراس وحفلات الختان أن يستدعوا جماعة المزيقەچية للعزف في تلك الحفلات .. وكذلك يفعلون عند تشييع جنازة شاب أو شابة حيث تسبقهم اليها جماعة المزيقەچية بأناشيدهم التي يسمونها حَزايْني ..

وكانت معزوفات هؤلاء محدودة غير انهم بدأوا يعزفون عددا من الأغاني الشائعة التي يعجب بها الناس وبذلك تطورت حرفتهم بعض التطور ..

ويطلق المزيقمجية على أنفسهم اليوم اسم الجوق الأهلي ولهم حانوت في الميدان اتخذوه لهم مكتباً يراجعون فيه ..

◆ صندوگ الوْلايات ..

الولايات جمع وْلاية وهي الاقليم والمدينة .. وهذه حرفة من الحرف التي يتعاطاها فريق من طبقة الباعة المتجولين في الأزقة والطرقات حيث يحمل الرجل عادة على ظهره خزانة عرض مصنوعة على شكل خاص ، ولها واجهة أشبه بواجهات أبواب الأسوار القديمة ، وقد أودع خزانته هذه طوماراً من التصاوير ألصق الواحدة منها بالأخرى وقد ثبّتها بالشِريس على قطعة طويلة من الخام ؛ فاذا أراد تشغيل صندوقه أخذ بادارة الطومار وفَرّه الى الجهة الأخرى ثم يعيد عمليته هذه مراراً وتكرارا ..

وتكون معه مصطبة صغيرة نحيفة يضعها على الأرض ليجلس عليها الصبيان والأطفال الذين يرغبون في مشاهدة ما في صندوگ الولايات من الصور والمناظر لقاء أجور يسيرة وخلال وقت محدود اذا جاوزوه لزمهم ان يدفعوا لصاحب الصندوق أجراً جديدا .. وكذلك يكون معه كرسيَ يضع عليه صندوقه عند المباشرة بعرض الصور على زبائنه المشاهدين .

ويتطلع أولئك الصبيان الى الصور المصوّرة في الجهاز المذكور وهم جلوس على مصطبة قلقة لا يرتاح الجالس عليها عادة فقد يكون في الصبيان الطويل والقصير غير انهم يستمرئون هذا العناء من فرط تشوقهم الى المناظر المغرية في الصندوق بالاضافة الى ما يتغنى به صاحب الحرفة من أغان يشرح

بها تفاصـــــيل وقائع الصور المستعرضة التي يتطلع اليها الصبيان من وراء عدسات مكبرة تتضح بها معالم المدن والجبال والأشخاص ••

ويحفظ الرجل ألفاظاً مسجعة معدودة يكررها على أسماع النظّارة الصغار بنغمات خفيفة وهو يكرر بين كل لحظة وأخرى قوله « شُوفْ عِنْدَكْ يَسَلَامْ ، بصبص بعينك تمام » •

ومن بين صور الأشخاص المرموقين صورة عنتر بن شداد وصورة أبو زيد الهلالي ، ومن صور المدن صورة مكة المـكرمة والمدينـة المنورة واصطمبول وهناك كذلك صور مجموعة من مشاهير ملكات الجمال والمغنيات المصريات والحلبيات •• وصور سـلاطين آل عثمان وبعض المعـــارك بين الجيوش العثمانية واليونان • ومن دأبه أن ينادي على ذلك خلال تجواله في الطرقات قائلاً « صندوگ الولايات ، صندوگ الولايات » ••

ومن الصور المعروضــة في الصندوق صورة رَحْلو وطَيرة وخانـم وهن راقصات سوريات وصور ملكات الجمال في القرن التاسع عشر ومن ألفاظهم في ذلك شوف عينك هذي بدرية ، شوف عينك هذي بَهِيَّة شوف بدر البدور وشمس الدهور •

وقد أورد مؤلف قاموس الصناعات الشامية وصفاً لصندوگ الولايات آثرت اقتباسه فيما يلي :

(عجايبك عجايب :

يحترف صاحب هذه الحرفة بأمر معاشه بواسطة صندوق مستطيل

مزخرف ظاهره بأنواع الدهان وبأحد وجوهه ثلاثة أو أربعة أثقاب متقاربة لبعضها يفصل بين كل واحدة مقدار ربع ذراع ، والأثقاب مستديرة على حجم العين ، مركب عليها بلور من الذي يستعملونه للمنظار لأجل تجسيم المنظور اليه ، وبطرفي الصندوق من الداخل لولبان ، بكل طرف لولب ، خارجة رؤوسهما من أعلى الصندوق ، ملصوق بهما طرفا قطعة من الورق القوي الشديد المصور بالصور المشكلة ، طولها عشرة أذرع بعرض الصندوق ، تلتف على أحد اللولبين ، فاذا أدار اللولب الثاني يدور الأول وتلتف تلك الصور على الثاني ، وهلم جرا ..

فيحمل صاحب هذه الحرفة صندوقه ـ الذي هو رأس ماله ـ ويجلس به في مجتمع العامة ، فيهرع اليه الاولاد الصغار والبعض من العوام والفلاحين يتفرجون على هذه الصور من الأثقاب المار ذكرها ، وهو يدير أحد اللولبين الفارغ ، حتى اذا مرت تلك الصور بأجمعها والتفت على اللولب الثاني انتهت الفرجة ، حينئذ يلقي ستائر على الأثقاب من داخل الصندوق فتحجب به الأثقاب والصور ، فمن رغب أن يعيد النظر أو ينظر يدفع له الأجرة سلفاً ، ومن اكتفى ذهب لسبيله . والأجرة لا تزيد على خمس بارات .. » انتهى كلام القاسمي ..

◆ الگَهَوْچِيَّة والچايْچِيَّة ..

الگهوچية جمع گَهَوْچي وهو من يكون صاحب گَهْوة ـ أي مقهى ـ وهي عبارة عن ناد تصف فيه التخوت التي تعد للجلاس ويكون

في المقهى أوْجاغْ لصنع القهــوة والچاي والحامُضْ .. فاذا جلس الجليس على التخت جاءه الساقي وهو المسؤول عن الچاي فسأله عما يرغب في شـــربه من الأشـــربة الساخنة والمرطبـــة كأنواع النامْلَيتات والشَر ابِتْ ..

ويدور صاحب المقهى على الجلاّس بين فترة وأخرى وبيده جَوْزة القهوة يسقيهم بالفَناجين رشفات قليلة ..

ولجليس المقهى أن يمكث جالساً ما شاء من الوقت حتى اذا قام ليغادر المقهى دفع لصاحب المقهى « گَهاوِيَّه » أي أجور المقهى ..

ويجلس صاحب المقهى ويقال له الـگهوچي كما يقـال له « أَبُـو الگهوة » في مدخل المقهى وبين يديه صينية تلقى عليها النقود .. وكان قديماً يتخذ له مجلسه أمام المقهى وبيده كيس نقوده وهو يكثر من تنبيه الصنّاع الى واجباتهم ويكثر من استحثاثهم على خدمة المِشْتِرِيَّه ..

ويحتفظ صاحب المقهى بعدد من النوارْگيل التي يقوم صانع خاص عنده باعـــدادها لمن يتعاطى تدخين النوارگيل .. وكذلك يعدّ للنـــاس مجموعة من أدوات اللعب واللهو من نحو الطاوْلي والدَوْمْنَه ..

وعند ظهور الفَنَغْرافْ كان بعض أصحاب المقاهي يضعون جهاز الفنغراف في مكان بارز من المقهى ومعه عددٌ من الاسطوانات حيث يقوم عامل خاص باشغال الفنغراف واسماع الجلاس بعض الاسطوانات المحتوية على الأغاني والمقامات العراقية ..

وعندما ظهر التِلِفِزْيَوْنْ في أيامنا هذه أصبح من الحاجات التي ينبغي تزويد المقاهي بها ..

ومن القديم عرف في المقــاهي اجتماع المغنــين وأصحاب الآلات الموسيقية وقيامهم بالغناء والعزف ، والى وقت قريب كان قراء المقام العراقي من أمثال رشيد القندرچي يغنون في بعض المقــاهي على أجواق الچالغي البغدادي ولا سيما في ليالي رمضان ..

وكانت في كل محلة من مَحَالِيلْ بغـــداد قهوة واحدة أو أكثر تختص بسكانها وقلما يجلس في هذه القهاوي أناس من أبنــاء المحلات الأخرى والغالب على أصحاب المقاهي أن يكونوا أكثر معرفة بالناس من ساكني تلك المحلات ..

وفي بغداد اليوم عدد كبير جداً من المقاهي والچايخانات تعد بالمئات وكانت سنة ١٣٠١هـ على ما جاء في سالنامة بغداد ١٨٤ مقهى ..

وطريقــة تخدير الشاي في المقــاهي وتوزيعه على الجلاس هو أن توضع كمية من الچاي اليابس في القوري ويصب عليه الماء الساخن من سماورات خاصة فيمكث القوري قريبا من جمر الفحم فاذا مرّ عليه وقت فاسودّ وخدر صبّوا منه في الاستكانات وقدموه لشاربيه .. ويلبث القوري على النار يشربون منه حتى ينفد ..

ويقال للچاي « سَنْگِينْ » اذا كان قاتم اللون ، وكذلك يقـال له « طَوْخْ » أيضاً ..

وفي أوساط المقاهي تشيع ألفاظ ومصطلحات خاصة ، منهـــا لفظة « الوَيْرْ » ، ومعناها أن يدفع أحد الجلاس أجور المقهى عن آخرين ، وذلك بأن ينادي على صاحب المقهى عند جلبه الشاي الى شخص ما ، قائلا « وَيْرْ » كناية عن ان حساب ذلك الشخص سيدفعه هو عنه ، وهنا يرد عليه صاحب المقهى قائلاً « جَبَا » ..

ولفظة وير كلمة تركية بمعنى اعط .. واما لفظة جبـا فقد عرف استعمالها قديماً ..

وعرفت في بغداد مجموعة من المقاهي المشهورة منهـــا « گَهْوَةْ الشَطْ » التي لا تزال قائمة حتى اليوم في منطقة المَصْبَغَة ، وكانت مجمع التجار ورجال الأدب والسياسة في أيام سلفت .. ومنهـا « گهوة البَيرُوتي » في الكرخ وكانت تقع على شاطىء دجلة وقد هدمت هي وما حولها من المباني أوائل سنة ١٩٦٥م ، ومنها « گهوة الشَابَنْدَرْ » وتقع في الأكمكخانة ، وگهوة « حَسَنْ العِجْمي » في الحيدرخانة ..

وتحمل بعض المحلات اسماً مقروناً بلفظة الگهوة ، منها « گَهْوَةْ شُكُرْ » في جهة باب الشيخ و « گَهَاوي عْگَيلْ » في الـكرخ ، و « گَهْوَةْ حُوري » ، في الجوبة و « گهوة حجّي عزيز » قرب محلة المجارية ..

أما الچَايْخَانَاتْ فهي مقاهي صغيرة ولكنها لا تدار فيها القهوة ، وانما يكتفى فيها بتوزيع الچاي على الجلاس ..

وكثير من الجايجية يتخذون لهم أماكن في رؤوس الأزقة ، وبعض جوانب الأسواق ، وعلى مقربة من الدوائر الحكومية ..

وهناك من يتعاطى صنع الجاي وبيعه في المدارس والدوائر وغيرها .. كما أن بعض الجايجية كانوا يحملون معهم صندوقاً من التَنَكْ يكون في داخله الفحم ، وقد صُفَّتْ عليه قواري الجاي ، وتكون فيه رفوف خاصة، وحيثما شاء الجايجي وضع صندوقه على الأرض وبدأ يصبّ الجاي في الاستكانات لمن يشاء من شاربيه .

◆ المغنون ..

يتعيش كثير من المغنين من أعمال وحرف يحترفونها ، غير أن هناك من لا حرفة لهم سوى الغناء ، وبعضهم يستعين بالغناء على تدبير أمر المعيشة اضافة الى أعماله المعتادة .. ومن المغنين من ترك حرفته القديمة وأمسك بالغناء يتعيش منه ، وكان من هؤلاء رشيد القندرجي مثلاً ، فانه كان يتعيش من قراءة المقام العراقي في حفلات الجالغي التي تقام في البيوت والمقاهي ، ومن الغناء في الاذاعة العراقية ، وتسجيل الاسطوانات لقاء أجور ومكافآت مالية ؛ وهكذا القول على الآخرين من ممارسي صناعة الغناء ..

ومن المواقع التي دبّ اليها دبيب الغناء حفلات المولد النبوي اذ أصبح وجود المغني بين جماعة قراء المنقبة النبوية شيئاً مطلوباً ، ففي خلال تلاوة المولد يتعيّن على المغني الموجود بينهم أن يغني شيئاً من المقامات العراقية

بطريقة تختلف بعض الاختلاف عن الأسلوب الذي يتغنى به المقـــام في حفلات الجالغي ..

وفي بغداد اليوم قلة من مغني المقام العراقي يتعيشون من الغناء في الاذاعة وفي الحفلات الأخرى على النحو الذي سلفت الاشارة اليه ..

◆ الشِعاعير ..

وهم جمع شَعّار وهو في الألفاظ البغدادية ، رجل متخنث يحاكي النساء في أزيائهن وميوعة كلامهن وتقاليدهن ، وغالب أعمال هؤلاء الشعاعير الرقص في حفلات الأعراس والجالغيات وفي بعض الزفات العامة ، وذلك لقاء أجور معينة وهم يلبسون في أصابع أيديهم « الجمبارات » وهي صنوج صغيرة يحركونها فتحدث منها أصوات متناسقة .. وهؤلاء رغم أن الناس تستدعيهم للرقص في المناسبات فانهم يعدون من الحثالات ووضعاء الناس ..

وكثيراً ما ينشأ الشعّار منـــذ صغره على تلك الخصـــال النسائية المتخنثة فيشب عليها ..

البناني و العمّالة..

◆ العَمَّالة ..

هم ممتهنوا أعمال البناء ، ويتألف مجموعهم من « أُسْطة » يرأس العمل ويشرف عليه ويجمع العمال من أول الصباح ، ولكنه لا يباشر عمل البناء الا في أحوال نادرة اذ ان مهمته تعـادل مهمة المهندس ، فهو الذي يرتب شكل الدار ونمط البناء بمحض رأيه ومشيئته ؛ ويكون تحت يده خَلْفات ـ جمع خَلْفة ـ وجماعة من المْرَبّعچيّة والجَبّانة والمْجَدّمْچيّة وغيرهم ..

وقد أورد فيلكس جونس في تقريره سنة ١٨٤٦م نصاب عمال البناء مع بيان أجورهم اليومية وذلك على النحو التالي :

قرش

٣٠	معمار
٢٥	خلفة
٢٠	مناوش
١٥	هزاز(*)
١٢	مرار
٨	مقدمجي
٦	طيان

وكان عمال البناء يخرجون قبل طلوع الشمس الى أماكن في الأسواق يسمونها المصَاطْبْ – جمع مَصْطَبَة – حيث يقبل عليهم الأسطة فيتخير من بينهم العدد الذي يحتاج اليه من العمال والخلفات ، ويأتي غيره فيختار حاجته منهم ، ويعود الآخرون الى بيوتهم دون أن يحصلوا على عمل ..

وكان العمال اذا باشروا أعمال البناء باشروها مع الشمس وواصلوا عملهم حتى مغيبها الا فرصة الغداء في وقت الظهر .. واعتاد العمال أن يتناولوا طعام الغداء من طعام يطبخ لهم أو يعدّ على حساب صاحب البناية المبنية ؛ وقد تبدلت هذه المراسيم والتقاليد منذ مدة بعيدة فأصبح العمال هم المسؤولين عن تدبير طعامهم ..

(*) جاءت اللفظة مغلوطة اذ اوردت بلفظ « هزار » كما اوردت اللفظة التي تلتها وهي مرار مغلوطة أيضا حيث جاءت بلفظ « مزار » .

وبحكم القوانين التي حددت ســاعات العمل ، أصبح عمال البنــاء لا يعملون أكثر من ثماني ساعات في اليوم الواحد ..

وأدركنا ضروباً من أعمال البناء التي انقرضت بالمرّة ولم يعـد لهـا وجود في بغــداد ، فمن ذلك أنهم كانوا يخمرون النورة تخميراً بالماء في حياض خاصة ويخلطون منها بالرماد الأسود المستخرج من الحمامات فيبنون بهذا الخليط ما يبنون الآن بالسمنت .. ثم أخذوا يستعيضون عن الرماد بالرمل في خليطهم هذا وذلك لتبدل الطريقة التي كان أصحاب الحمامات يوقدون بها حماماتهم فلم يعد هناك مصدر للرماد المطلوب للبناء .. فلما ظهر السمنت انتقلوا اليه ..

وكان من بين عمال البناء عامل يمسك بيده عموداً خشبياً يضرب به على الخِشْانَة وهي ما يبقى من الجصّ بعــد غربلته ، فاذا دُقّ عليهـا بالخشبة تحصّل منها شيء من الجصّ عند الغربلة ، حتى اذا لم يبق في حصى الخشانة رجاءٌ ألقوه جانباً .. وكان الجصّ في هاتيك الأيام يبـاع مخلوطاً بحصاه ، وذلك لأنهم كانوا يحرقونه في القــديم بوسائل بدائيـة بسيطة .. ثم بدأت محارق الجصّ ومطاحنه تنتجه مغربلاً ليس فيه من الحصى والمواد الغريبة شيء ..

وكذلك ندر جماعة الكُواصيص الذين كانت مهمتهم قصّ الطابوقة الى قطعتين أو أكثر ، وعلى أشكال مختلفة منها المثَلّث والكالوك والمربّع والقِيناص .. ويكون مع الكواصيص ـ واحدهم كاصوص ـ منشار ذو

يدّتين وتزگاه تركب عليه الطـــابوقة المراد قصّها • ومبرد يشحذون به أسنان المنشـــار ، حيث يجلس رجلان وبين يديهما تلك التزگاه فيقصّان الطابوق ••

والمْثَلّثْ أن تقطع الطابوقة الى ثلاث قطع متساوية ، والمْرَبّعْ أن تقصّ الى أربع قطع متساوية ، والقِيناصْ أن تقطع الطابوقة من زاويتين متقابلتين فتكون منهما قطعتان مثلثتا الشكل ••

ومن عمال البناء المْقَرْنَصْچي وهو من يشتغل في الريازات المقرنصة، والخُرْدَه‌كارْ وهو الذي يركب الزخارف ويصبها ، والعگّادْ وهو من يبني العقائد والدِلانات وهي الأطواق بين الدَنَكْ ، والمْداواچي ومهمته سدّ ما بين سوف البنـــاء من تجاويف ، والمْبَيّضْچي وهو الذي يبيّض الجدران بالجصّ ، والداروز وهو الذي يسدّ التجاويف والخطوط بين كل ساف وآخر بالسمنت أو النورة ، والنـــاجور وهو الذي يقوم بتقطيع الطابوق على الأشكال المطلوبة وحكّه وصقله ؛ واللبّاخ وهذه من أعمال البناء التي لم تكن معروفة قبـــلاً حيث تسيّع الجدران الخارجية بالسمنت ويسمّى عملهم هذا باللّبُخْ ••

ومن عمال البناء المرّار الذي يهـــدم الجدران ويحفر الأرض ويلم التراب ويلوخ الطين•• والهزّاز وهو الذي يحمل التراب بالهزة على ظهره•• والطيان وهو الذي يحمل الطين بالطاسة على رأســه و « المْناوِشْچي » وهو الذي يقذف بالطابوقة الى الخلفة القائم على الجدار بمقتضى طلبــه ؛

و « الجَبّانْ » وهو الذي يخلط الجصّ بالماء ويعدّه للبناء .. وصنعته « الجِبْانَة » ..

ومن عمال البناء ـ وهم جميعا يطلق عليهم عمال طين ـ اولئك الذين يرشقون السطوح بالطين الأحمر اذ يخمرونه بالماء عدّة أيام بعد خلطه بالتبن ليقلّ بذلك تشققه كأن التبن يمسك الطين ويقوّيه ..

ولعمال البناء بالنسبة للطابوق والحجارة تسميات ومصطلحات منها « الحَشْري » وهو كِسَرُ الطابوق اذا كانت خَشْنَة أي من نحو ثلث الطابوقة ويقال للواحدة « حَشْرِيَّة » و « جِبَلْ سْطَيحي » وهو للطابوقة تكون مساحتها ثمانية انجات مربعة ويكون ثخنها نحو انجين وكان هذا النوع من الطابوق يفخرفي كور النجف وكربلاء .. و « المْحَيَّرْ أبو العشرة » ومساحة طابوقته عشر اِنْجاتْ مربعة وثخنها انجان .. وهناك من أنواع الطابوق : الوَسْطاني والبابْلي والماطْلي والسَمّاقي.. وكل أنواع الطابوق في بغداد كان مربع الشكل ثم شاع في أيامنا هذه الطابوق المسمى بالسْمَيچي فكان على شكل متوازي المستطيلات فهو بمثابة نصف طابوقة غير انها ثخينة ، وكان البناؤون اذا بنوا البيوت قُصّ لهم الطابوق نصفين فبنوا به وحين ظهر طابوق السميچي استغنوا به عن الطابوق القديم الذي لم يعد يصلح الاّ لتطبيگ الأرض أو بناء التِيَغْ أحياناً ..

والجدران المبنية أنواع متعددة لها أسماؤها منها البناء العادي ومنها البناء المنجور حيث يكون الجدار أملس لا يحتاج الى بياض بالجصّ ومنها

« الجَفْ قِيمْ » وهو أن يكون الطابوق محكوكا وأن تكون المُونَة مخفية داخل السُوف بطريقة خاصة وبذلك لا تداوى سُوف البناء ..

ومن أنواع البناء بالنسبة للجدران ما يبنى منها بـ « حْجَار طَبُكْ » وهو أن تنجر أطراف الطابوقة على شكل خاص بحيث تخرج لها حوافٌ من جوانبها الأربع ، فاذا وضعت طابوقة على أخرى اختفى ما يوضع بينهما من طين اذ تغطيه تلك الحوافّ ، فيكون الجدار كأنه قطعة واحدة لا خطوط بينها ولا فراغات ..

ومن مصطلحاتهم في أسماء الطابوق « الشَدّ » للطابوقة الثخينة و « السَبُطْ » للطابوقة التي هي قليلة الثخن .. و « اللاش » وهو الطابوق العادي ..

ولعمال الطين مصطلحات وألفاظ كثيرة تتصل بأدواتهم ومواد بنائهم فمما يتصل بأسماء الأدوات الفاس والفاس ام راسين والمَرْ والقَزْمَة والهِزَّة وهي الكُونِيَّة التي يحمل بها الهَزَّاز التراب ونحوه ، والمُالَجْ وهو الذي يستعمل في التبييض والازارة ، والجَمْجَة التي يحمل بها البنّاء السمنت والنورة حيث يأخذ بها شيئاً بعد شيء مما يضعه على الطابوقة فيبنى به .. وقريباً دخلت المَسَاحي والكَرَكَاتْ في أدوات أعمال البناء ..

والبناؤون أصناف وأنواع وطبقات فمنهم من يبني البيوت وما اليها ، ومنهم من يبني المساجد ذات القباب والحمامات ، ومنهم من يختص ببناء

المَنَايِر° وهي المآذن وهناك من يبني الآبار ، ومنهم من يكون عمله قاصراً على بناء البلاليع ، ومنهم من يكون اختصاصه في أعمال الريازة والنقوش ٠٠ فإنّ كل هؤلاء ومن يكونون دونهم يعدّون في العمّالة وشواغيل الطين ٠٠

وغالبُ ما كانوا يستعملونه في البناء من مادةٍ هو الطين الأسود العادي يبنون به الجدران العريضة ، والطين الأسود هو طين الأرض العادية حيث يأخذون التراب فيسردونه سرداً خفيفاً أي يغربلونه بغرابيل واسعة الثقوب والفتحات ثم يلوخونه بالماء فيبنون به ٠ فاذا بنوا من هذا الطين عدّة سُوف° جاؤا على سافين فبنوهما بالجص ، كأنهم بذلك يقوون الجدار ويشدون أزره ٠٠ وهكذا يستعملون الجُص° في كل سافين من بين عدّة سُوفٍ غير قليلة ٠٠

وكذلك كان غالب بنائهم بالأحجار المتكسرة يشترونها من النكاكيب الذين يكلفون نقل الأنقاض من دار تَمّ بناؤها لقاء أجور يستلمونها ، غير أنهم يبيعون تلك الأنقاض الى من يعتزم بناء داره أو ترميم جداره ، كما أن النكاكيب اذا لم يجدوا من يشتري هاتيك الأنقاض تركوها في بعض الخرائب الموجودة في أنحاء البلد ليرجعوا اليها عند الاقتضاء ٠٠

وهناك من ضروب البناء بالحجارة ما تكون حجارة البناء ضئيلة صغيرة ممعنة في الصغر بحيث يمكن أن تمسك بين اصبعين ، وعلى هذا فما كانت تفلت من بين يدي البناء حجارة واحدة دون أن يكون لها موقعها في ظاهر الجدار ٠٠ وعملٌ مثل هذا يتطلب مهارة خاصة في البناء وطول نفس وصبر ٠٠

وقد شاهدنا بعض الجدران المبنيّة على هذا النحو فألفيناها جميله النمط والمنظر ، على أن الحجارة الصغار المختلفة في الشكل والبعثرة يتخذونها في البناء بين وجهي الجدار وهو ما يسمى بالتَرْبيع حيث يربّعون - بصغار الحجارة التي يسمونها « الاشْگـنّگ » - الفراغ الذي يكون بين طرفي الساف المبنيّ عادة بحجارة خشنة أو بشيء من الطابوق ..

وقد زال هذا النمط من البناء في هذه الأيام .. وكانت بغداد قديماً اذا طرقها طارق الفيضان تداعت دورها المبنيّة بالطين جملة واحدة ..

وكان ذوو اليسار يبنون أصول بيوتهم وأساساتهم بخليط من الرماد والنورة والطابوق ، فاذا ارتفعوا ببنائهم شيئاً يسيراً عن الأرض بدأوا فبنوا طرفي الساف بالجصّ ، وما بينهما يربّعونه بالطين والاشگنّگ ..

أما تيغْ السطوح فلابدّ أن تبنى بالجصّ والطابوق المربع الذي يركزونه على حوافّه فتتألف كل تيغة من عرض ثلاث طابوگات تقام بين دِنگْ صغيرة ..

وكانت في بعض المحلات والأسواق أماكن ومخازن تتخذ في الخربات ونحوها يباع فيها الطابوق والجصّ والنورة والأخشاب التي تستعمل في السقوف ومنها الخشب المسمى بالأحمدي الذي يجلب من الموصل ويكون طويلا وفيه استقامة ، وكذلك الخشب البغدادي الذي يجلب من كَوْيات ديالى.. ويقال لهذه المخازن سكالّ وسكاليل وسكلاّت وهي جمع سكلة .. وهذه من المهن الممتهنة ويكون في جانب منها عدد من الحمير لتنقل الطابوق والجُصّ وغيره الى بيوت الناس ممن يشترونه ..

ومن موادّ البناء التي كانت قبل اليوم من مهمات حاجاتهم رماد الطمّة وهو رماد الحمامات الأسود الضارب الى زرقة خفيفة تقوى به أسس الجدران اذا خلط بالنورة وخمّر بطريقة معهودة عندهم ، • وذلك بعد غربلة الرُّمادْ بِسَرَد وخلطه بالنورة المفسَّرة ، بنسبة خمسة من الرماد الى واحد من النورة ••

وهناك نوع آخر من الرماد يستعملونه في أمور أخرى هو رماد التنانير – جمع تنور – على ان يكون من رماد البعرور المحروق ، يخلطونه بالنورة بنسبة واحد الى اثنين ويخلطون معه « الطَّرَّيْشْ » فيبيضون به بعد جنه وخلطه بالماء ازارات الحمامات والشذروانات وفي خلال البياض يلقون عليه شيئاً من ماء الپاچة •• ويكون ذلك ضرباً من الصاروج الذي كان يتخذ لمثل هذه المقاصد قديما •

أمّا الطرَيْشْ هذا فانه شيء كالقطن يتناثر من أشجار الغَرَب أيام الصيف ، وتنبت أشجار الغرب في أماكن منها ضفاف نهر ديالى ••

ويقال لمن يبيع النورة أو تكون عنده كُوَرْ ومحارق لهما « نُورەچِي » ••

وتحتاج أعمال البناء الى ضروب من الأخشاب منها ما يشتغله النَجّارْ من نحو الأبواب والشبابيك والصَچَفاتْ •• ومنها ما يشتغل به البناء نفسه كأخشاب السقوف وما يسمى بالجسور وما يتخذ في طيّ الجدار من دِفين وهو مَرْدي خشبي مختلف الطول والقصر والانحناء والعوج

يدس في الجدار أثناء البناء يزعمون أنه يشدّ أزر الجدار ويقوّي البناء فيستقيم طويلاً ، في حين أن هذه الدفائن الخشبية تتأكل فتتلف فيحدث بذلك في الجدار فراغ وتجويف لا سيما اذا جفّ الطين من حول الخشبة وتقلص على نفسه ..

ومن الأخشاب التي يستعملونها في الجدران مايسمونه النِعِلْ وواحدها « نَعَلْ » ، وهي قِطَعٌ خشبية تثبت في بعض الأركان لتشدّ عليها البيبان أو تعلق عليها بعض الأشياء أو تُقَوّى بها بعض الأركان ، وتكون هذه النعلْ واضحةً في ظاهر الجدار ومن أبرز مواد البناء : الحِصْران والكَصَبْ يتخذون ذلك للتسقيف اذ يثبتون الأخشاب التي هي مرادي غليظة على جانبي الجدار يوزعونها على مسافات معينة بحيث يكون بين المردي والآخر نحو شبر أو أكثر ثم يضعون الحصران على تلك المرادي ويضعون فوق الحصران حِزَماً وباكُاتْ من القصب توزع توزيعاً تاماً ، ثم يلقون الحصران ثانية على هذا القصب وبعد ذلك يضعون الطين الأسود العادي على هذه الحصران ثم يهوّرون عليها التراب وبذلك ينتهي أمر التسقيف ، غير أنهم اذا قرب أوان الشتاء رشقوا السطح بالطين الأحمر المخلوط بالتِبِنْ ليمنع نزول الماء من خلاله ..

ومعظم الأخشاب المستعملة في التسقيف غير منتظمة الشكل وقد تكون فيها انحناءات والتواءات تمنع استقرار الحصير عليها ، فيعمد البنّاء الى وضع عدّة أحجار صغار في منحنى الخشبة يشدّها بالطين حتى تصل الى مستوى الحصير فتسنده ، ويقال لهذه العملية « تَرْحيلْ » ، وكان هناك من

يعمد الى تغطية هذه المرادي التي تبدو مشوهةً من داخل الغرف بطريقة في البياض يقال لها « البَغْدادي » وذلك بشدّ مجموعة من أحزمة القصب تحت أخشاب السقف بصورة مستقيمة ثم يعمدون الى سدّ خروق القصب بالجصّ ومن ثَمَّ تبيضه كما يبيض الجدار فيكون له في الغرفة رونق ، ومنهم من ينقش في وسط هذا البياض نقوشاً يسمونها صينيّة أو پقلاوة ..

وبعض البيوت تسقف غرفها بجذوع النخل وهي بيوت الاعراب .. وتسمى هذه الجذوع ونحوها من المرادي في عدد من المدن العراقية بالجوايز ـ جمع جايز ـ ..

وأما جماعات الموسرين فانهم يسترون هذه المرادي بألواح وتزويقات زجاجية رائعة ..

وقد تبدلت هذه الأساليب والوسائل كلها وأصبحت الناس تتخذ السقوف من العقائد التي تعقد بالطابوق ..

وكان هناك من يرقم ألواحاً على أخشاب السقف فيبدو لها من داخل الغرف والطَرامي والأواوين شكل حسن لاسيما اذا صبغت بالدهان ..

◆ بناة المناير ..

جمع منارة وهي المئذنة .. والمناير البغدادية تستقل عن غيرها من منائر البلاد الاسلامية في طريقة بنائها وشكلها .

وكان معروفاً في بغداد خلال الأربعين سنة الماضية رجلٌ واحد

يشتغل في بناء المناير واليه تعزى كل المناير البغدادية التي بنيت خلال تلك الحقبة ، هو الحاج عبود •• وبعد وفاته ظهر في بغداد عدد من بناة المناير يعملون اليوم في هذه النواحي منهم الاسطه حمودي باچايه ••

وكان من نوادر الحاج عبّود انه يستخدم كل يوم أحد صغار الحمّاميل لينقل اليه الحجارة والجصّ ، فاذا بنى يومه سافين أو أكثر صرف ذلك العامل وجاء في اليوم الثاني بغيره ، يخشى أن يتلقى صانعه هذه الحرفة فيتقن فنّ بناء المناير •• ولم يكن الأسطة عبود ليبني في اليوم الواحد اكثر من سُوفٍ قليلة معدودة بحجة أن التعجيل في بناء المنارة يجرّها الى السقوط ••

◆ الـكاشي ••

أنشئت في بغداد بعد الحرب العالمية الأولى معامل لصنع الكاشي الذي أخذت الناس تستعمله في تبليط الأرض ، ومادة هذا الكاشي عبارة عن رمل وسمنت حيث تكبس كمية من خليطه في قوالب ذات مقياس اعتيادي •• ثم تلوّن الكاشيّة بألوان ثابتة منها ما يكون « سادة » ومنها ما يكون على شكل أوراد ودوائر ومخططات ورسوم يراد بها تزيين شكل الأرض •• ثم تطورت هذه الصناعة فأصبحت تصنع بطريقة الموزاييك ••

وفي بغداد اليوم عدد كبير من هذه المعامل وذلك لاقبال الناس على تبليط بيوتهم بالكاشي دون الطابوق القديم ••

وهناك نوع آخر من الكاشي وهو ما يستعمل في واجهات المساجد وفي اكساء المآذن وغيرها ويكون هذا الكاشي برّاقاً وتكتب عليه كذلك الكتابات والنصوص .. وتختلف صناعة هذا النوع من الكاشي عن النوع الذي مرّ القول عليه ، فذاك يصنع بطريقة الكبس والضغط من الرمل والسمنت ، وهذا يصنع من الطين بطريقة الفخر بالمفاخر .. وكذلك يختلف صبغ هذا عن ذاك اختلافاً كبيراً ..

وليست في بغداد كور لصناعة الكاشي الذي نشير اليه في هذا الجانب من الحديث ، انما يجلب من كربلاء حيث توجد فيها كور ومعامل خاصة بهذه الصناعة ، يراجعها ذوو الحاجات في هذا الموضوع فتلبي رغباتهم على النحو الذي يقترحونه ويريدونه ، وأشهرها معمل السيد ابراهيم اسطه خليل النقاش .. ويحتفظ هؤلاء بأسرار الأصباغ التي تستعمل في صبغ الكاشي وطلائه ، ولا يطلعون أحداً على نسبها ..

وكان أصحاب الكاشي - هذا - اذا عرضت لهم أعمال واسعة تتعلق ببناء مآذن وقباب ونحو ذلك ، نصبوا لهم كورة موقتة قرب الأماكن التي يجري فيها البناء ..

وفي سنوات سلفت حاولت الأوقاف انشاء كورة لصناعة الكاشي في بغداد واقامة معمل لتعليم أبناء الميتم الاسلامي ولكن النتيجة لم تكن ذات جدوى .. وهكذا ترك المعمل وهدم .. وكانت ادارته قد عهد بها الى السيد ابراهيم النقاش ..

أما الكاشي الذي تطلى به البساتيك ونحوها فقد جاء الكلام عليه في الفصل الخاص بالكيزان البغدادية ..

والاسم العلمي الحديث لصناعة الكاشي هو السيراميك وقد أدخل كفن من الفنون الجميلة في بعض الكليات ومن بينها كلية البنات .. واتخذت لذلك كور كهربائية ..

الدلالة والصيرفة
وأعمال التعهد

◆ الصرايف ..

جمع صرّاف - وهو الصيرفي في الفصيح - وعمله الصرافة .. وكان يتعاطى هذه الحرفة جماعة من اليهود يجلس واحدهم في مدخل السوق الكبير وفي يده مجموعة من النقود يهيلها من يدٍ الى اخرى بطريقة خاصة تحدث معها تصديات" موسيقية رائقة في السمع كأنه يتشاغل بذلك أو يلفت أنظار الناس اليه ..

ومهمة الصرّاف أن يستبدل النقود على اختلاف مصادرها وأنواعها .. وقد انقرض هذا الصنف من الصراريف اذ حلّ محلهم أناس يتعاطى بعضهم الصيرفة في حوانيت يتخذونها ، وخزانات زجاجية يضعون فيها أنواعاً شتى من نقود الدول المختلفة من معدن وورق ..

وأماكن الصيارفة المعروفة اليوم تتجمع في شارع السموأل وهو شارع يقع قبالة الشَوْرْجَة ..

وأورد فيلكس جونس في تقريره عن بغداد المؤرخ سنة ١٨٥٥م قائلا « واليهود هم أهم الصرافين وتستخدمهم جميع الطبقات في معاملة النقود »..

◆ القنطرجية

واحدهم قُنْطَرْجي ويقال له مُقاوِلْ وجمعه مقاولين.. وهم أصناف وأنواع منهم من يتعهد القيام بأعمال البناء حيث يتفق مع من يريد بناء دار على بنائها بمبلغ مقطوع وينبغي على صاحب الدار ان يقدم للقنطرجي شيئا من المبلغ المتفق عليه قبل البدء بالعمل وكلما قطع القنطرجي مرحلة في البناء لزم صاحب الدار ان يدفع اليه قسطا من الأقساط حتى اذا أكمل الدار استحق البقية الباقية من قيمتها المقطوعة ..

ويكون تحت يد القنطرجي عدد من الأُسْطَوات والبنائين وتكون له صلات وتعامل مع باعة الجص والطابوق والرمل والحصى وغير ذلك من مواد البناء تجهز اليه بسعر الجملة فيكون له في الغالب من ذلك ربح حسن اذا نصح في عمله ؛ واذا غشّ فيه فانه يربح فوق مايستحق الا انه يخسر من سمعته الشيء الكثير ..

ومن القنطرجية من يتعاقدون مع دوائر الحكومة على أعمال البناء في صفقات كبيرة ..

وهناك من يشتغل في تجهيز الأرزاق للدوائر الحكومية من نحو المدارس

والمستشفيات ودور العجزة والمياتم والأقسام الداخلية التي يسكنها الطلاب والسجون والجند وغير ذلك فيهيء لهم كل صباح المواد الغذائية المطلوبة من لحوم وحبوب وخضروات وفاكهة وأشياء أخرى حسب الاتفاق المثبت في عقد يوقعه القنطرچي مع الجهة الرسمية ..

ومن القنطرچية من يشتغل في اعداد الملابس لطلاب المدارس والشرطة وغيرهم فيتفق على خياطتها لقاء أجور وأثمان رخيصة اذ انه يقتّر في اقمشتها ويستخدم في ذلك صغار الصناع من ذوي الأجور القليلة فيجهدهم في العمل ليسنح له من كل ذلك شيء من الربح الذي يرتضيه ..

◆ الدّلاْلة ..

ومن الحرف المحترفة « الدّلاْلَة » ويقال لمتعاطيها « الدَلاّلْ » وجمعه « دَلاّلِينْ » ، وهم أصنافٌ أشهرهم الدلاّلون في سوگ الهَرَجْ وهؤلاء يبيعون عتائق الملابس والأثاث وما الى ذلك مما يضطر الناس الى بيعه في هذه السوق استغناءاً عنه أو احتياجاً الى ثمنه ..

فاذا أقبل رجلٌ او امرأة الى سوق الهرج بشيء من ثياب أو متاع أو قدور أو أفرشة وأسِرَّة ونحو ذلك ، بادر الدلالون فتلاقفوا ذلك بين أيديهم وهرعوا ينادون عليه بألفاظ خاصة وبصوت عالٍ مرتفع ، فما يزال اصحاب الرغبة في الشراء من المتجمهرين في السوق يزيدون في الثمن حتى يستقر الأمر على آخر مزايد فيعلن الدلال الانتهاء من المزايدة وتسليم المشتري المواد المبيوعة ، •وقد يقع هذا التصرف من الدلال من دون موافقة

البائع الذي يجد أنه غبن كل الغبن في تلك البيعة .. بل أن صاحب المال قد يرغب في البيع ولكن الدلال لا يرغب ولذلك جاء في أمثالهم « أبو المال يبيعْ والدلال مَيْبيعْ » ..

ويغلب على الدلالين الكذب وحلف الأيمان التي لا أصل لها ولا أساس وكثيراً ما تواطأوا على الاضرار بمصلحة صاحب المال المطلوب اليه بيعه والتدليل به والاعلان عنه ..

ولذلك كان الدلال وما زال موضع سخط الناس ونقمتهم وقد اورد الغزالي في ذلك قوله « لعل السبب - في كراهة الدلالة - عدم استغناء الدلا عن الكذب والافراط في مدح السلع لترويجها » ..

ومن ألفاظ الدلالين ومصطلحاتهم قولهم « هَيرْ ياجْ » .

ومن أصناف دلالي سوق الهرج أن يأخذ أحدهم بيده الساعة والتوب فيتجول بذلك على أصحاب المخازن والحوانيت ومَنْ هنالكَ من الناس فيعرض لهم ما عنده من دون تهريج ولا ضجيج .. حتى اذا باع بيعته تناول عليها أجره والا ردها على أصحابها ..

ومن أنواع الدلالين دلالوا البيوت وهؤلاء يعملون في الطابو فكان أحدهم يقف في الأسواق الكبيرة وأمام المقاهي فيعلن عن الدار التي يراد بيعها ويذكر أوصافها وموقعها وهكذا يتجول من مكان الى مكان وهو يؤدي مهمته هذه وله على ذلك أجور يتقاضاها من كل من بائع الدار وشاريها ..

ومن الدلالين دلالوا الحمير وكانت لهم أسواق منها سوق خارج باب المعظم يجتمع فيها أصحاب الدواب وجماعة الدلالين ويقبل الاعراب من

الأرياف والمدن الأخرى لشراء دابة لهم فيجدون من أنواع الغش والتحايل ما لا يستطيعون توقيه لدقة حيل الدلالين وفرط خبثهم ..

ومن الدلالين المحدثين جماعة يبيعون الأراضي والبيوت ونحوها ،وقد اتخذوا لهم مكاتب يديرون فيها أعمالهم ..

وعرف في بغـــداد قديما نسوة يسـعين في تزويج الأيامى والعوانس بالعزاب من الرجال ويتناولن على ذلك أجوراً وجعالات يتعيشن بها ..وهي نوع من اعمال الدلالة ..

ومن أنواع الدلالة أن يفقد قوم صبياً أو دابة فيكلفوا بعض الحمالين بالمناداة على ضائعهم فيتجول هذا في الطرقات والأزقة يعلن عن الشيء المفقود وهو يشير الى اوصافه البارزة من نحو ما يكون الصبي يلبسه يوم ضياعه مع الاشارة الى طوله وقصره ولونه وكذلك توصف الدابة اذا كانت حمـــاراً وبكونه حساوياً ومحنى الذيل وغير ذلك ، وكـــذلك يعلن الدلاّل عن « الحَلْوالُغْ » الذي سيعطى لمن يدلّ على المفقود .. على أنه لابدّ من منح الدلاّل شيئاً من نقدٍ في كلتا حالتي عثوره على المفقود وعدم عثـوره عليه ..

ومن الألفاظ المعتاد استعمالها في هذه المنـــاداة قولهم « وَيْنْ ابن الحَلالْ چَسَّابْ الأجِرْ والثواب اللّي لِگِى جْاهِلْ — أي طفل — عمره كذا وكذا وأوصافه كذا وكذا » ..

وهناك دلاّلون محدثون عملهم البيع في المزادات العلنية في أيام معينة

حيث يلتمّ الناس في مواقع هذه المزادات وقد اجتمعت فيها مواد شتى وأثاث وغير ذلك فيأخذ الدلاّل بالاشارة الى كل مادة من تلك المواد فيدلل عليها حتى اذا رست على أحد المشترين سكت الدلال عن المناداة ..

وقد يؤتى بأمثال هؤلاء الدلالين الى البيوت عند ارادة بيع اثاثها فيعلن عن ذلك في الصحف وغالباً ما يكون ذلك صباح الجمعة وعندئذ يدلل الدلال على المواد المراد بيعها ..

ومن أنواع الدلالة بيع الكتب وذلك حين يتوفى أحد الشخصيات العلمية ممن تكون في تركتهم مكتبة كبيرة فانها تعرض في المزاد فيقوم دلال خاص من المشتغلين في بيع الكتب عادة فيشير الى الكتب بأسمائها وبعض أوصافها ويعلن عن سعر تقريبي لها فيتداعى هواة الكتب على المزايده عليها وتكون الكتب عادة بين أيديهم يتصفحونها وينظرون فيها ..

وكان من أشهر هؤلاء الدلالين السيد عبدالحميد زاهد الكتبي في سوق السراي ..

الـزجاجُ وملحقاته..

◆ أبو المِري ••

هو من يشتغل في صناعة المِرِي ـ جمع مْرايَة أي مرآة ـ يؤتى أحيانـاً بالزجاجة فيضع عليها مادة خاصة فـاذا جفت أخذها أصحابهـا مرآة حسنة ، وهم يسمّون المادة التي يضعونها على أحـد جانبي المـرآة « مَيْ » بتفخيم الميم ••

وباعة المري يبيعون منها شتى الأصناف من كبار وصغار •• والمرايا الكبيرة من الحاجات الظاهرة للحلاقين •• وبعض أصحاب المقاهي يضعون عـلى جدران مقاهيهم المرايا الفخمة يزينون بها تلك المقاهي ، ويفعل مثل ذلك بعض أصحاب المطاعم •• وتكون هذه المرايا مؤطرة بأطارات من خشـب الصاج المنقوش ••

وللمرآة عند العـامة عقيـدة يعتقدونهـا ، فهم اذا انتقلوا الى دار بدأوا قبل كل شيء بادخال المصحف والمرآة .. كما أن بعضهم اذا استيقظ من نومه صباحاً بادر الى المرآة فنظر فيها مستفتحاً بوجه نفسه خشية أن يعرض أمامه من يستفتح بوجهه فيكون شؤماً عليه ..

وكانوا يضعون مع كل مُكْحَلَة من القماش قطعة مرآة يخيطونها بها فاذا اكتحلت المكتحلة كانت مرآتها قريبة اليها .. فتنظر الى ما صنعه الكحل من تجميل عينيها ..

وقد أصبحت المرايا تركب على ظواهر الكنتورات وبواطنها فهي على أي حال من الحرف المربحة لاسيما اذا علم انها عرضة للكسر والتهشم .. فما تزال الناس تشتري منها ما تشتري عوضاً عما تكسر ..

وعلى أي حال فان صناعة المري من بعض أعمال الجامْجِيَّة الذين يعملون في بيع الجام والاتجار به ..

◆ صناعات الزجاج ..

كانت هذه الصناعة معروفة في بغداد من وقت بعيد وقد وردت الاشارة اليها في تذكرة شعراء بغداد في كلام المؤلف على « صافي مصطفى خروس » اذ قال « فذاك الوقت أمره داود پاشا بمباشرة العمل فقام المرقوم وباشر بأسباب عملية الكيمياء فراح الى عمالين الزجاج فعمل زجاجات مختلفة الأشكال » .. وكانت وفاة المترجم له في سنة ١٢٣٥هـ ..

والمظنون أن محلة « الآتون » أخذت تسميتها من هذا المعنى اذ كانت فيها كورة لصنع الأدوات والأواني الزجاجية ..

ومن مصنوعات الزجاج البغدادي ، رأينا قناني ماء الورد وفناجين المصابيح الزيتية التي كانت معروفة في بغداد أوائل هذا الجيل ..

وفي أيام الحرب العالمية الثانية عادت هذه الصناعة الى الوجود فأقيم لها مصنع في بغداد ، وكانوا يجمعون كسارات الزجاج فيعيدون سبكها وصنع فناجين القهوة منها وأقداح الماء وغير ذلك ولكنها لم تكن متقنة الصناعة ، وسرعان ما عدل عنها أصحابها .. وبعد انتهاء الحرب عاد التجار الى استيراد الحاجيات الزجاجية من الخارج ..

◆ الجامْچي ..

وهو من يشتغل في أعمال الزجاج حيث يزجج شبابيك الدور والبيوت وتكون معه « ألْماْزة » يقطع بها ألواح الزجاج على المقادير المطلوبة .. ومنهم من يصنع المرايا .. وفي بغداد طريق في باب الآغا يصل بين شارع الرشيد وشارع الجمهورية يقال له « عگْدِ الجامْ » يباع فيه الزجاج .. وفي هذا العگدْ يقع جامع أغازادة ..

وممن يلحق بالجامچية جماعة يقومون بمسح زجاج البيوت وهم يبادرون الى اظهار عملهم قبل موسم الشتاء فاذا دعتهم الناس الى تنظيف زجاج الغرف والشبابيك في البيوت جاءوا بسلالم طويلة عالية يصعدون عليها وبأيديهم الخرق فيمسحون الزجاج مما يكون قد علق به من الأوساخ والأتربة فيعود وهو صاف نقي ..

وكان هناك ما يصح أن يسمى ريازة الجام حيث تتخذ لشبابيك البيوت الفخمة والقصور قطع من الزجاج الملون فيكون لتلك الشبابيك

شكل جميل ورونق زاهٍ ،، وكان ذلك صناعة رائجة معروفة ..

وقد أصبحت أعمال الزجاج ذات نشاط في مجـال البيع والتركيب اذ ان أصحاب المكاتب أخذوا يضعون لوحاً من الزجاج الثخـين على مناضدهم ، كما أن أصحاب المخازن أصبحوا يضعون لواجهات مخازنهم ألواحاً من الزجاج الثخين واسعة الحجم ..

والزجاج اليوم مما يجلب من بلاد الغرب بسـائر أنواعه ومختلف أصنافه ..

◆ صانعوا الچراچيب ..

هم الذين يؤطرون الصور والقطع المكتوبة بالخطوط النفيسة ، حيث يضعون لها چَراچيب أي اطارات ـ واحدتها چَرْچُوبَة من الفارسية چِهارْچُوبْ بمعنى أربعة خشبات ـ وهذه الچراچيب ذات منـازل من حيث القيمة والنفاسة ونوعية الأخشاب ،، وبمقتضى ذلك يتناول صانع الچراچيب أجرته .. ولابدّ من تغطية الصورة بزجاجة خفيفة ويتخذ لها من الجانب الآخـر ورق من المُقَوّى وكل اولئك يـكون ضمن الچرچوبة ..

وهناك جماعة من أصحاب هذه الصناعة يجلسون على الأرض عند الارصفة التي يكثر مرور الناس منها فيبيعون الصور التي يچرچبونها بطريقة بدائية وذلك بأن يلفّوا عليها شريطاً ملوّناً وتكون هذه أرخص ثمناً ..

وكثير من الناس يحفلون بتعليق التصـاوير في بيوتهم ومحـالّ أعمالهم ..

باعة السجّاد والنوادر والتحف

◆ الأطْرَقْجي ..

من المهن التي يتعاطى صاحبها بيع الرياش والزوالي والتحفيات . واللفظة من التركية وهي تعني ما تزين به المجالس وتؤثث به ، وقد جاءت منسوبة الى « أوتوراق » بمعنى المجلس والديوان ..

وسوق الأطْرَقْچِيّة في بغداد تقع لصق المستنصرية ، على ان جماعة الاطرقچية متوزعون على أماكن شتى متعددة في البلد ، وتباع عندهم أصناف الزوالي من كاشان وكرمان وتبريز وغير ذلك .. وهي في الغالب مصنوعات ايرانية ..

وبين أصحاب هذه المهنة من هو ماهر حاذق في تثمين السجاد ومعرفة ماهو نفيس منه وما هو غير نفيس ..

◆ الخُرْدَه فَروشْ ..

هو من يتخذ مكاناً في أرض السوق حيث يبسط بساطه وينثر عليه عدداً من الحاجات وصغائر الأدوات والبسامير والمفاتيح وشتى العتائق .. ومنهم من يتخذ له حانوتاً صغيراً ، وغالب هؤلاء يرون في سوق الهرج ..

وجمع الخرده فروش : خرده فروشية ، واللفظ من الفارسية ، بمعنى بائع النواعم ..

وفي الصناعات الشامية للقاسمي انهم يسمونه في الشام « بسطاطي »..

◆ الأنْتيكَجِيَّة ..

هم باعة العتائق والآثار ونفائس الأشياء ، وكانت الآثار يومئذ تستخرج من دفائنها وتباع دون حرج ، حتى جاءت القوانين فحظرت بيع الآثار والاستحواذ عليها ..

وكانت غالب معاملات الانتيكجيّة مع السياح الأجانب ، اذ قلّما يعنى أهل البلد باقتناء هذه الأشياء .

وواحد الانتيكَجية « انتيكهچي » وكذلك يقال عِنْتيكچي وجمعه عنتيكچيّة ..

والعِنْتيكة : الأثر النادر وجمعه عنتيكات ..

وفي سوق الصفافير اليوم اكثر من واحد من هؤلاء الانتيكچية يبيعون شتى المواد والأعلاق منهم السيد جواد الجوهري ..

الفرّانون ..

◆ الخْبابيزْ ..

واحدهم « خَبّازْ » وهو صانع الخبز وبائعه .. وكان يغلب على باعة الخبز في كثير من أسواق بغداد أن يكونوا من النساء يجتمعن في ساحة السوق جنباً الى جنب يبعن الخبز بالميزان في أطباق واسعة ..

ثم أصبح الخبز يباع في الأفران ومخابز الأسواق يخبزه الرجال وكان قبلاً يخبز في البيوت ويجلب الى السوق ..

على أنه لايزال عدد من النسوة يعملن في خبز الخبز وبيعه بالجملة لأصحاب المطاعم ، وبالمفرد في بعض الأسواق على الدأب القديم ..

وهناك مجموعة من الألفاظ تعيش في بيئة الخبازين منها لفظة « الشُنْگَة » وهي القطعة من العجين تكور تكوير الثدي وتترك ليعاد اليها

فيتخذ منها الرغيف وتوضع الشُنُگ في طبق يذرّ عليه قَدْرٌ من الطحين .. ومن ألفاظهم لفظة « المُوّاشَة » وهي خرقة تبلل بالماء ثم يمسح بها باطن التنور ليزول ما علق به من الدخان وذلك قبل الصاق الأرغفة به .. وحين تسقط العجينة في قعر التنور فتنضج على الرماد فانهم يسمونها بُوئَة .. والوجبة من الخبز يقال لها « شْجْار » .. وقولهم شِجَر التنور اذا أشعل فيه النار لخبزة واحدة ..

ويشعل التنور بالجِلّة والبَعْرور والحطب والشوك ..

وتأخذ الخبازة الشُنْگة ويقال لها في الفصيح الفرزدقة فتمطلها بيديها مطلاً فتصبح رغيفا فتدسه في التنور ملصقةً اياه في الفراغ الذي تختاره.. غير ان الخبازين من الرجال الذين يشتغلون في الأفران يدسون الرغيف في التنور بواسطة مخدة من القماش محشوة بالقطن ..

ويقال للرغيف في المصطلح البغدادي رِغيف وأيضاً كُرْصَة .. اما اذا صنعت الخبازة لصغيرها رغيفاً صغيراً فانهم يسمونه حَنُّونَة ..

وهناك من يخبز خبز الشعير فيخرجه الى الأسواق للبيع ..

- الجِرْكْچِيّة ..

هم صانعوا الجِرْكْ وباعته .. والجِرْكْ من المخبوزات التي تخبز في الافران وهم يصنعون غيره كذلك من نحو ما يطلقون عليه اسم « بِيْتَة أمّ الجِبِنْ » والسِميط والكَعَكْ والشَكَرْلَمَة ومن الجِرْكْ ما يكون معه التمر ..

ويقال للشكرلمة أيضاً العَمولة ..

ومن المتكسّبة من يحمل على رأسه طبقاً فيه شيء من الجرك يبيعه لآكليه ، وهناك من يحمل على رأسه طبقاً فيه السِميط لمن يشتريه من الآكلة ..

ويراجع أصحاب البيوت هذه الأفران اذا كانت معهم صواني الكْلَيجه وتبسيات السمك والدجاج والأطبخة الأخرى لتنضج في الفرن لقاء أجور بسيطة ..

التكسب بالتعليم والموالد والشعر

◆ قرّاء الموالد النبوية ونحوها ..

وهذه من المهن التي يتعيّش منها أناس كثيرون ، حيث جرت عادة الناس في بغداد اقامة حفلات المولد النبوي في مناسبات شتى منها قدوم حاجّ أو حاجة ، وفي الأعراس والختان .. وقد أورد الخطيب الشهرباني في كتابه تذكرة شعراء بغداد الذي وضعه بعد سنة ١٣٤٦هـ قوله ان الناس كانت تستحي من جلب آلات الطرب وانما كانوا يولمون الولائم أو يأتون بقراء الموالد وقراء القرآن الكريم ..

ويتقوم ملاك قراء المولد من المُلاّ الذي يجلس على كرسي ويجلس جماعته الى جانبه على فرش مفروشة في الأرض يؤلفون صفين متقابلين أحدهما صفّ الحدّاية والآخر صفّ الرُواديد ويكون لهم رئيس يدير

أشغال المولد وينبّه على ما ينبغي انشاده من المقاطع والتَنْزيلات ..

وهم يبدأون عملهم بعد صلاة العشاء وقد يستمر المولد ـ وفي اللغة المحلية يقال له مَوْلُود النَّبي ـ الى وقت متأخر من الليل .. ولا يخرج قراء المولد من الدار الا بعد أن تقدم لهم تَمْتُوعة فخمة يشاركهم فيها من بقي من جماعة المدعوّين ،. والتمتوعة : عشاء الليل .. ويتقاضى قراء المولد مبلغاً حسناً من أصحاب الدار أجراً لهم على قراءته ..

وهناك من يقرأ الموالد النبوية من جماعة النساء يقال لهن «مُلاَيات» يقرأن المولد للنساء ..

ومما يرتزق منه جماعة المُلالي هؤلاء قراءة التهليلات والختمات على أرواح الموتى .. أما قراءة القرآن الكريم فكانت من دواعي الارتزاق والتعيُّش ولا تزال ، فلقد جرت عادة أناس أن يستأجروا قارئاً من قراء القرآن يمرّ على بيوتهم في وقت معين ولاسيما في الصباح يجلس في حرف الدار فيتلو آي التنزيل العزيز بصوت منغم مرتل ، يلتزم بذلك قراءة السور القرآنية متتابعة متسلسلة ويكون له على ذلك أجر شهري .. والناس تبتغي بهذا اكتساب الثواب من الله ..

وحين يتوفى متوفّى يقيم أهله من المتمكنين مجلس فاتحة له ، يجلبون اليها قراء القرآن يتناوبون على التلاوة ثلاثة أيام من أول الصباح حتى الظهر ومن بعد العصر حتى الليل ولهم على ذلك أجر حسن ،. مع التزام أهل الدار بأمر اطعامهم وجبات الطعام الحاضرة ،. وقراءة المولد والفواتح

يؤلفون عادة جماعات متحزبة فلا يخرج أحدهم الا بجماعته وانصاره ..
وهناك من قرا القرآن من لا يكون لهم فيه حذق ولا اجادة ولا صوت حسن فيهرع هؤلاء الى المقابر في أيام الخميس عادة حيث يزور النساء موتاهن عصر كل خميس فيقرأ لهم هؤلاء القراء سورة يسن وغيرها لقاء أفلس قليلة ..

وحين عرفت الاذاعة وأصبحت قراءة الذكر الحكيم من بعض برامجها كان ذلك من موارد الرزق الحسن بالنسبة لمن أتيح له أن يكون من قراء الاذاعة ..

ومن الناس من يتسول بالقرآن يجلس في الطرقات فيتلو منه ما يتلو بلحن وركاكة ، فينفحه بعض المارة شيئاً يسيراً ..

ومما عرف من وظائف المساجد قراءة القرآن أيام الجمع حيث يعين لكل مسجد جامع قارئ يقال له « قاري المَحْفَل » وكذلك يقال له « قاري دَوْر » يقرأ القرآن بين يدي صلاة الجمعة لقاء راتب يتقاضاه من الأوقاف أو من متولي الجامع ، وهو على أي حال راتب كان الى وقت قريب ضئيلاً شحيحاً ..

ويشتغل شغّالة المولد كذلك في الأذكار فاذا أقيم ذكر رفاعي أو مصري أو قادري استؤجروا له ـ وهنا يقال لهم ذكّارة ـ فيلهجون خلال ذلك بألفاظ التهليل والتسبيح ويقرأون تنزيلات وتواشيح خاصة ويذكرون الله بأنغام معينة وحركات فيها ميل ولفتات على أصوات الدفوف وقراءة المقامات المناسبة ..

ويكون لكل واحد منهم اجر منقود ولرئيسهم ما يستحقه من الأجر ..

◆ الكتاتيب ..

كانت الكتاتيب من موارد الرزق والتكسّب وكان في بغداد منها العدد العديد ، والكتاتيب نوعان أحدهما يديره المُلاَ أو اللاّلاَ ، ويكون للصبيان .. والآخر ما تديره مُلّيَّة من النساء ويكون خاصاً بجماعة البنات ، وربما ألحق بهن أطفال من الذكور الصغار .. ويتعلم الصبيّ في مكتب الملاّ قراءة القرآن والحروف والمَشق أحياناً ويقال له « حُسْن خَط » ، حيث تتخذ له لوحة يطيّنونها بالطين الأحمر ، فيكتب عليها ثم يمحوها بالغسل بالماء ..

والبنات يتعلمن كذلك قراءة القرآن وبعض أعمال من الخياطة البسيطة أحياناً ، وكلّ من المُلاَ والمُلّيَّة يتقاضى من صانعه أي تلميذه أجراً شهرياً بالاضافة الى ما يبتزّه منه في كل مناسبة من بَخْشيشات وحَلْوالْغات ، لأنه ينبغي على أهل الصبي اذا بلغ صبيّهم من القرآن أماكن معينة أن يقدموا للمُلاَ الهدايا المقررة(*) ..

(*) من بعض ذلك ان الصبي اذا بلغ من القراءة الى سورة « لم يكن الذين كفروا .. » قالوا في ذلك « لم يكن حلوى بكن شاهيتي للمتي شدة ورد لخلفتي شدة عصي للصناع » .. واذا بلغ سورة النبأ وهي « عم يتساءلون .. » قالوا « عم خروف بدمه » واذا بلغ سورة تبارك قالوا « تبارك سبع خرفان تتعارك » ..

ويجلب الملا الى مكتبه شيئاً من الحلويات والشكَرات فيبيع ذلك للصبيان بأسعار عالية بالنسبة اليهم ..

ولا يتمّ تنظيف مراحيض المكتب واصلاح مرافقه ونحو ذلك الاّ على نفقة الصبيان الذين يلزمون بجلب النقود من أهليهم ، والاّ تعطل المكتب عن الدراسة ..

ويمكث الصبيّ في المكتب من مطلع الشمس الى غروبها ، وانّ على « اللاّلاَ » أن يجلب الصبيان من بيوتهم في الصباح ويردهم اليها مع الغروب ، فاذا كان اللاّلاَ محتشماً فانّ هذه المهمة توكل الى خَلْفَتَه .. اللهم الاّ أبناء السروات والبكَوات فانّ الملا يوصل أبناءهم الى بيوتهم بنفسه اظهاراً لفرط اهتمامه بهم وانتجاعاً لرفد أهلهم وذويهم .

وأغلب الكتاتيب كانت تقام في المساجد يلي أمرها مؤذّن الجامع أو قارىء القرآن فيه ، وهناك مساجد خربة متعطلة ربما كانت تستغلّ في هذه الخدمات ..

ولا وجود لِلاّلَوات اليوم الاّ في نطاق ضيق محدود ، فلقد تأتّى من كثرة المدارس أن تتقلص الكتاتيب .. وكان من مشاهير اللالوات في بغداد مُلاّ ابراهيم ، ولالاَ غَني ، ولالـه عيس ، ومُلاّ جليل ، ولالا هَراتي .. ومن المؤسف أن أحداً من الباحثين لم يكلف نفسه مسألة التأليف في تدوين أخبار هؤلاء الرواد البدائيين ، الذين علموا رجال هذا الجيل الحروف وقراءة القرآن الكريم ..

لقد كانت النـاس حين تقدم أولادها للملا توصيه بأن يأخذ ولدهم بالصرامة وان له منه اللحم ولأهله العظم وحده ..

◆ التكسب بالشعر وما اليه ..

هنالك من احترف ضروباً من الشعر يتكسب بها ، وقد عرف أمثال هؤلاء باحترافهم هذه الحرف ، فمنهم العدّادات وهنّ نسوة يحفظن الشعر الشجيّ بالعامية وينظمنه بأنفسهن ، ويتغنين به في المآتم والتعازي بألحان مبكية . وقد عرفت هذه المهنة من عهد الجاهلية الأولى وكان الاسلام قد نهى عنها أشدّ النهي ، غير أنّ الناس لا تزال اذا مات لها ميت عزيز تقيم مجالس العزاء تتصـدرها عدّادات معروفات ، يقرأن للنساء ما يقرأن من شجيّ القول والرثاء ، ولابدّ أن يكون غالب كلامهن مبالغاً فيه مبالغة مكشوفة لمن يعزف الميت الذي قد لا يكون أهلاً للرثاء والتأبين ..

ومن هذا الباب جماعة المدّاحين الذين يتجولون في الأسواق ينشدون القصـائد المحفوظة في مدح الرسول وآل بيتـه ، وغيرهم من رجـالات الاسلام ..

وكنت أرى منذ الطفولة رجلاً من هؤلاء ينشد قصيدة منسوبة الى الامام الأعظم أبي حنيفة حتى اذا جاوز بعض الأسواق والمحلات الى غيرها انتقل الى قصيد آخر يتغنى به في امتداح أهل البيت بالرثاء لفاجعتهم في كربلاء .. ولا يزال الرجل حياً يرزق وهو ماضٍ في حرفته هذه حتى يومه هذا ..

وقد يقع أن يكون بين أصحاب هذه المهنة من هو ذو صوت جميل أخــاذ ..

وهي من الحرف التي كانت معروفة في بغداد من وقت بعيد ..

ومن هذا الباب أيضاً قراءة المواليد وعَزَا الحُسَين حيث يتقن هـذه الحرفة عـدد من النسوة والفتيات فهـن يتلقينهـا من مُلَيَّات حافظات ..

ومن عاداتهم أن يقيموا حفلات الموالد النبوية النسائية ، في مناسبات كثيرة منها عند قدوم من تحج من النساء ، وفي الأعراس والمآتم شأنهن في ذلك شأن الرجال ..

كما أنهن يقمن في المحرّم ونحوه من مواسم العزاء مجالس تقرأ فيها التعازي الحسينية من قبل المُلَيّات المتخصصات يتغنّين بذلك بألحان شجيّة فتتباكى الحاضرات من النساء ويعلو صراخهن ..

وكل هذه الاختصاصات تدخل في عداد الحرف المحترفة التي يعاش على مواردها ..

الوقود والأضاءة والتنوير

◆ الشموع والصناعات الشمعية ..

المراد بالشمع هنا ما يكون من هذه المادة في خلايا العسل كما انها تطلق كذلك على مواد أخرى يتضح امرها خلال الكلام عليها في هـذا الفصـل ..

وللقوم في الشمع صناعات وحاجات ، من اوائلها ان يأخذوا القطعة الصغيرة من شمع العسل فيمرروها على الخيط أكثر من مرّة فيقوى بذلك فلا ينقطع بسهولة وهذا شيء يصنعه خياطوا الأحذية خاصة ..

وهناك من يأخذ قطعة الشمع هذه فيعصرها بأصابعه تقوية لعضلات يده ..

◆ صناعة الاسطوانات الشمعية .

وهي صناعة كانت معروفة في بغداد أيام انتشار الفنغرافات القديمة حيث كانت أول الأمر تصنع على شكل اسطواني بحجمين احدهما صغير والآخر كبير اذ كان هناك نوعان من صناديق الحاكي المقتناة في بغداد .. حيث كان من السهولة ملء تلك الاسطوانات بغناء المغنين ثم سماعها في الحـــال ..

وكان من أشهر أصحاب هـذه الصناعة « حسين جعفر الساعجي الـكظماوي » المتوفى أواخر سنة ١٩٦٢ وكان قد ترك هذه الصناعة من وقت بعيد .. وكان يصبّ الشمع في قوالب خاصـة بطريقة هي اليـوم مجهولة ومتروكة ..

◆ الشموع المسماة بشمع العسل

لا تزال هـذه الصناعة معروفة حيث يصنع أصحابها شموعا كبيره غليظة قد يجاوز طولها المتر وغلظها (قطر ١١ سم) ومنها ما يكون صغيرا بطول (٣٨ سم) وغلظ (ق ٦ سم) وتستعمل هـــذه الشموع في الأعراس وفي بعض المناسبات الشعبية لأنها تلبث وقتاً طويلا وهي تشتعل ..

وكانت تستعمل قديمـاً في المساجد ليالي رمضـان حيث توضع في شمعدانات فخمة فتضيء للمصلين عند صلاة التراويح ، وكثيراً ما تبرع بهذهالشموع للمساجد بعض ذوي الخير.. وحين يُسْتقبل الحاج ليلاً فانما يستقبلونه بواحدة من هذه الشموع ..

وأشهر المراكز التي تباع فيها سوق الشورجة والدَّهانة .. غير ان نسبة شمع العسل في هذه الشموع قليلة جدا وقد تكون معدومة وانما يصنعون شموعهم من الشحوم ثم يصبغونها بالصبغ الأصفر .

◆ الشموع الشحمية

وهي شموع صغار طول الواحدة في نحو الاصبع انقرض استعمالها وصنعها .. ولا وجود لها هذه الأيام في أسواق بغداد ..

◆ الشحوم والأدهان ..

في بغداد محلة اسمها محلة الدَهّانة .. ويبدو أن هذه التسمية آتية من أن الدهن يباع في هذه الجهة ، يجلب اليها ويصنع فيها ..

وكانت في بغداد بيوت تعمد الى الشحوم والليَّة فتذيبها ثم تبيعها .. ويقال لما يُسْلى من اللية « دهن الليَّة » ولما يسلى من الشحوم « دهن الوِدَجْ » .. اما الدهن الحيواني فيقال له « دِهِنْ حُرّْ » ..

ومن الصناعات التي تعتمد على الشحوم ضرب من الشموع وقد انقرض ..

ومنها صناعة الصابون ، وطريقته أن يذوب الشحم ثم يخلط بالتيزاب والتَلْك والجِلُو بنسب يعرفونها ثم يصبون ذلك الخليط الذائب على البارية فاذا جمد قليلا قصّوه الى قطع مقدرة ..

ولم يكونوا يعرفون من صناعة الصابون الا ما تغسل به الملابس(*)

أما صابون الاستحمام فكان يجلب من حلب ، وغيرها .. ويقال له « صابون ركي » ، كما يقال له أيضاً « صابون حلب » و « صابون أبو الهيل » ، ويسمى أحياناً « نابلوزي » أي نابلسي ..

وكذلك يسمونه « زنابيلي » ..

ومن الصوابين المجلوبة الى بغداد صابون البنوشة ويكون القالب منه طويلا بطول قدم أو أكثر ، يقصون منه على المقدار الذي يسهل استعماله .

◆ السكلجية ..

وهم أصحاب السكاليل ـ جمع سكلة وتجمع كذلك على سكال وسكلات ـ وعمل هؤلاء يختص بجلب الأحطاب من الأزوار وخزنها في السكاليل ومن ثم بيعها للناس اذ كان كل وقودهم من الحطب .. وكذلك كانت الحصران القصبية التي يقال لها بواري ـ جمع بارية ـ تجلب الى السكال وتكدس فيها ثم تباع هناك .. وظاهر أن السكاليل كانت مخازن واسعة للخزن والبيع بالجملة ..

أما مواقع سكاليل الحطب هذه فانها كانت تقع في المنطقة التي قام

(*) من أنواع الصوابين التي كانت تصنع في بغداد وتستعمل في غسل الملابس الصابون المسمى « صابون شماش » نسبة الى معمل كان في بغداد صاحبه رجل من تجار اليهود .. واتخذت لهذا الصابون ماركات وأسماء فكان يعرف بها ، ومن ذلك « أبو التفاحة » .

عليها جسر مود(*) بعد الاحتلال الانكليزي ١٩١٧م ثم انتقلت الى منطقة محلة الحاج فَتْحي قبالة جامع الحاج فتحي ..

وكانت في محلة السور في باب المعظم سِكاليل تقوم على حاشية الخندق .. وفي جانب الكرخ كانت مواقع السكاليل في سوق الجديد وأشهر سكلجية الكرخ حسين طه وجاسم الحميد وملا محمد أبو الكَبر .. وفي فضوة عرب كان عدد من السكاليل موقعها قرب تكية المندلاوي ..

أمّا الحطب فانهم كانوا يجلبونه من أزوار معينة ـ جمع زَوْر وهو الغابة ـ ومن تلك الأزوار زور الرَحْمانيَّة وزور الديوانية وزور البغدادية وهذه تابعة للصِّيرة ، ومنها زور الربيضيّة لمحمد باشا الداغُصْتاني ، وزور الخَنَاسة وهو يبعد نحو ساعة عن سلمان باك وكان لكاظم باشا ، ومن الأزوار زَوْر فخري جميل مقابل سلمان باك .. ومن الأزوار التي يجلب منها الحطب زور اليهودية ..

ومن أنواع الحطب ما يكون جزلاً غليظ العود خشناً طويلاً كأنه صغار المرادي يقال له « اليَرْماجة » كنا نرى من يحمل الحزمة الكبيرة منه على ظهره يتجول بها في الطرقات مناديا عليها بلفظ « يَرْماجَة الحَطَبْ » وكان هذا الضرب من الحطب لا يشتريه الا الخَنَدانيَّة

(*) سمي هذا الجسر بجسر الملك فيصل الاول ثم سمي مؤخرا بجسر الاحرار ، والشائع على ألسنة العامة ولا يزال ذلك شائعا أنهم يسمون هذا الجسر بجسر (موت) تحريفا للفظة « مود » قائد الحملة البريطانية التي احتلت بغداد سنة ١٩١٧ .

وأصحاب البيوتات •• أمّا سواد الناس فكانوا يشترون حطب الطَرْفَة وهو ناعم العود ، يبيعه الباعة المتجولون في حِزَم كما أن هذه الأحطاب تباع في حوانيت خاصة في الأسواق اضافة الى الفحم والنفط والمكانس ونحوه •• واللفظ من التركية « يارمه » بمعنى الفلع والشق ؟ قاله الاستاذ شاكر صابر الضابط ••

ومن أنواع الحطب المجلوب للوقود حطب الغَرَبْ •• وكذلك كان من الأعراب من يجلب الى البلد الشوك والعاگول والكَعَوب لاستعمال ذلك في وقود بعض البيوت كما كان السَعَف والكَرَب ممّا يوقد به ، ومن مواد الوقود أيضاً الجَلَّة والبعرور ولاسيما عند شَجَرْ التِنانير ••

وقد تطورت مسألة الوقود في بغداد فأصبح الحطب غير ذي شأن ، وشاع استعمال النفط والپِرَيمِزْات والطباخات النفطية ، وطباخات الغاز والمطابخ الكهربائية وغير ذلك ولم تعد هناك سكاليل ولا أزوار للحطب •

◆ باعة الفحم والشوك والأحطاب ••

كان لهؤلاء الباعة وجودٌ ظاهر في كل سوق ومحلة في بغداد ، غير أن انتقال الناس الى المطابخ النفطية وغيرها جعل الحطب يزول من التداول، وكذلك القول في مسألة الفحم فأنّ الناس كانت تستعمله للتدفئة في أيام الشتاء يملأون به المَنَاقِلْ لهذا القصد ومنهم من كان يطبخ عليه التمن •• وهم يرون الجاي لايطيب الاّ على الفحم كما كان الأوتِجِيَّة يحمون

أوتيَاتْهم بالفحم .. وقد تبدلت هــذه الأمور بعد أن شـاع استعمال الصَوْبات النفطية ، والأوتيَات الكهربائية ..

ولذلك فانّ باعة الفحم أصبحوا قليلين كل القلة ، وغالب من يراجعهم في شـراء فحم الشوك وفحم الكراجي هم أصحاب الـگهاوي ـ المقـاهي والجايْخانات ـ حيث لايزال الفحم من أهمّ حاجاتهم ..

وكان الشوك يجلب للسكال من الراشدية وكذلك كان الشـــواكة يجلبون « السوس » الى السكال .. وكان باعة الشوك يبيعونه على الحمـير ويرفعون حزمه بعصيّ تكون معهم ..

ولابدّ أن يلبس الفحام ملابس سوداً لينكتم ما يعلق بها من الصخام وتراب الفحم ، ولهم غرابيلهم وسرداتهم التي يفرزون بها كبار الفحـــم وصغاره وخشنه وترابه ، ويبيعون كل صنف من أصنافه بسعر خاص ..

وكـان مما يبيعــه الفَحّامة في نفس الوقت النَفْط والمُكانيس والزَنابيل والحبْال ، وأشياء أخرى من هذا القبيل ..

◆ المَمْبَجيَّة ..

جمع « لمبچي » وهو الذي يوقد المصابيح والفوانيس النفطية المعلقة في الطرقات والأزقة ، يقبل عليها ومعه سلّم خفيف يحمله على كتفه وهـو يجري بسرعة اعتادها وخفة لاتعرف في غيره ، فيصعد الى الفانوس فيمسح زجاجته بخرقة في يده ثم يملأ وعاءه بالنفط الذي يكون معــه في ابريق من تَنَكْ ، ثم ينزل عن سلّمه وهو يهرع الى الفانوس الآخر الذى يبعد

عن الأول مسافة غير قليلة وهكذا يصنع به فإذا أتـــم تنظيف الفوانيس الموكول اليه أمرها ، عاد فصعد عليها ثانية وبيده عود ثقاب مولع يوقد بـه فتائل الفوانيس وربما تهيأ له ان يوقد الفانوسين بعود ثقاب واحد من فرط خفته في الصعود اليها على سلمه والنزول منه والانتقال الى فانوس آخر ؛ وهو يتعاطى عمله هذا بين يدى المغرب •• وفي الصباح يمرّ على هذه الفوانيس ليقوم باطفائها ••

وهي من المهام التي كان « اللمبه‌چيّة » يتقاضون عليها أجوراً من البلدية •• وقد زال عهد الفوانيس واللمبه‌چيّة من بغداد بعد ظهـــور المصابيح الكهربائية ••

أما تاريخ وضع المصابيح في الطرقات فقد كان في شتاء سنة ۱۸۷٥م ••

◆ القِنْدِيلْجي ••

مهنة من المهن التي تُضَمُّ الى مجموعة أعمال المساجد ، حيث يقوم رجل بوضع الزيت في القناديل واعداد خيوط القطن المتخذة فتائل لتلـك القناديل ومن ثم ايقادها وتعليقها في المآذن أو في داخل حـــرم الجـــامع وأروقته ••

وكانت القناديل تصنع من الزجاج وتعلق على المآذن في رمضـــان خاصة ، داخل أوعية خشبية ذات شكل خاص ••

وقد انقرضت هذه الوسائل من الاضاءة منذ ظهور الكهرباء ومصابيحه، وتبعاً لذلك انقرض القنديلچية هم أيضاً ••

المكاييل والموازين

◆ الكُبّانْجيّة ..

مهنة يتعاطاها أناس مخصوصون وتكون اعمالهم ذات صلة بالعلاوي والأسواق الكبيرة والخانات حيث يزنون بالكُبّان الأكياس والفرْاد والأقلام الكبيرة من الصفقات التجارية .. ولا يزال الكُبّان يستعمل في العلاوي والخانات ..

وهناك نوعان من الكَبابين احدهما ويقال له « كبّان عشاري » وهو الوزن بالكيلوات وهو أصغر من الكبّان الثاني المسمى «كبّان اصطمبول»..

وكانت ترد الكبابين من الخارج كما كانت تصنع أحياناً في بغداد من قبل بعض الحدادين حيث يعالجون صبّ الكبّان وتبريده ووزنه بطرق دقيقة ..

وللكبان وجهان أحدهما خفيف والآخر ثِكيل أي ثقيل .. وللكُبّان ثلاثة كلاليب أحدها ينقلب على وجهيه الخفيف والثقيل .. والكلاب الثاني يكون خاصاً بالخفيف والثالث يكون خاصاً بالثقيل .. وان أقصى ما

يوزن بالـگبان ٣٢٠ كيلو أو ٤٢ منّ اصطنبول •• والمنّ : ست حقـقّ اصطمبول ••

ومن مشاهير الگبانچية «عبدالرزاق گبانچي باشي» في الأ كْمكْخانه، وتلقى منه ولده « محمد الگبانچي » هذه المهنة واشتغل بها زمناً حيث گبَنَ في خان الشابَنْدَرْ وغيره ثم تركها منذ وقت بعيد ••

ومنهم الحاج حميد ابو طبرة وعبدالرزاق الفرهنـاوي وجَبْـر الكبانچي ••

ويرافق الگبانچي في عمله اثنان من المْچَتّفْچِيّة وهما يحملان خشبة الگبان التي يعلق عليها ، وكانت اجور الگْبانة على قلتها وضآلتهـا يتأتى منها مورد معاشيّ حسن لأصحاب هذه المهنة ، فعلى كل گبانة كانوا يتناولون قرشاً واحداً ثم صاروا يتقاضون عانةً واحدة ثم أصبحت اجرة كل گبانة عشرة فلوس •• ويتقاضى المچتفچية أجوراً أقل من ذلك ••

وغالباً ما يكون الگبانچي مختصاً بخان واحدٍ لايتقدم غيره لمزاحمته فيه •• ومن الگبانچية من يكون متجولاً يستعان به على وزن البضائع ••

◆ الچَيّالة ••

جمع چَيّالْ ، وهو رجل يزن الحنطة والشعير وغيرها من الحبوب، ولهم ألفاظ يستعملونها في تعداد ما يزنونه كأن يقولوا • بيرَوْ • يكَوْ •• أي واحد اثنان وتجمع لفظة الچَيّالْ أيضاً على چِيايِيلْ ••

ويكون وجودهم دائماً في العلاوي ، وهم صنفٌ من الحَمامِيلْ ••

الحرف التهريجية ..

◆ الحرف التهريجية ..

لم تعرف بغداد حرفاً تهريجية ما خلا حرفة الدلالين الذين ينادون على عتائق المواد في سوق الهرج وباعة الركي في الأسواق ، فأن هؤلاء كانوا يبيعون الركي على « شرط السچين » فاذا شقوا الركية فظهرت حمراء قطعوا منها قطعة تحتوي على جزء كبير من اللبة يرفعها بائع الركي بيده ويكون معه عدد من المتجمهرين من حمالين ومن صبيان وغيرهم فيتصارخون بأعلى أصواتهم صياح اعجاب بحمرة الركية وجودتها فيملأون السوق صراخاً ..

وفي الايام الأخيرة نشأت في بغداد حرف تهريجية يتعاطاها أنفار معدودون يتخذون لهم أماكن على أرصفة بعض الشوارع المكتظة بالمارة

فمنهم من يبيع مواد تستعمل لقتل الحشرات من نحو «الكروسايدْ رقم ٧»
•• فيظل هذا البائع كثير الصخب لافتاً أنظار المارة الى بضاعته ، وهو يكرر
جميع ألفاظ الحشرات على أختلاف اصنافها مؤكدا أن المادّة التي يبيعها
ضامنة لمشتريها التخلص من جميع هاتيك الحشرات •• ومن بعض ألفاظه
في هذا المعنى قولـه « ألا حِرْمِزْ » الا « بگ » الا « برغوث » الا
« تِجِرْسْ » الا « عِثْ » الا « زَنْبورْ » ألا « بَرْغَش » ألا « گَمُل ،
ألا « صُوابْ » •• الى غير هذه الألفاظ المحفوظة ••

ومن هؤلاء الباعة المهرجين من يعرض في سلة بين يديه أو منضدة
منصوبة على الرصيف كمية من الأقلام أو الأربطة او الثياب وغير ذلك
فيتصارخ هو وجماعة يكونون معه بأصوات عالية مزعجة ، وهم ينادون
على سلعتهم ويتداعى بعضهم على بعض يوهمون بذلك المارة بأن سلعتهم
مرغوبة مطلوبة بحيث اقبلت الناس على شرائها وازدحمت على باعتها ••

ومن دأب هؤلاء وطبعهم أن يتحركوا حركات بهلوانية فيها انحناء
وركوع وقفز اضافة الى اصواتهم المبحوحة من فرط الصراخ والعياط ••
ومن دأبهم كذلك ان يضع أحدهم بين أصابع يده عددا من الدنانير المتاثرة
يوهم بها ان سوقه رائجة رواجا عظيما ••

والغالب في هذه المواد المعروضة للبيع بهذه الطريقة ، أن تكون مواد
قديمة أو انها فاسدة أو انها تقليد للماركات الاجنبية ••

وكثيراً ما ينادون على البضاعة بأنها « مالْ كَسِرْ » أي مواد تجارية

أعلن أفلاس التاجر الذي يتعاطى بيعها واستيرادها فهي لذلك تباع بأسعار واطئة أو ينادون عليها بأنها اموال مهربة او انها من بقايا حريق أصـــاب بعض المخازن الكبيرة ..

ومن الباعة المهرجين باعة أوراق اليانصيب ، فانهـــم يكثرون من الصراخ والدعاية لبطاقات اليانصيب هذه لاسيما قبيل مواعيد السحب بساعات قليلة ..

وكان من المهرجين باعة الجرائد الذين كانوا يركضون في الشوارع وتحت آباطهم الصحف اليومية وهم ينادون على مضامينها ..

المكيفات ..

◆ التتن وصناعاته ..

التِتِن° هو التبغ .. وقد عرف استعماله في العراق من مدة طويلة .. ومن اشهر وجوه الانتفاع به استعماله في التدخين بوسائل عديدة منها « النِو'ار°گيل » و « السبِ°لان » و « الچِبُغُا'ات » و « الجِگاير » ..

واتخذت منه مكيفات اخرى اشهرها البَر°نُوطي وتتن السنون الذي يسمى أيضا « سْوَيكَة » ..

والتتن انواع منها الهِن°دي ويسمى أيضاً « تتن غ°راش » وكذلك يقال له « تَن°با'ك » ..

ومنها الشيِرازي الذى كان يجلب من ايران .. وهذان الضربان من التتن يستعملان للنوارگيل ..

وقد أخذ بزراعة الهندي والشيرازي في كربلاء والهندية وطُوَيْريج ‥ وهناك نوع من التتن يقال له « ابو جِلْود » له عطر فواح وهو ذو ورق عريض ، وكان يجلب من ايران وقد انقطع جلبه من مدة ‥

ومن أنواع التتن ، التتن المُصْلاوي الذي يزرع في منطقة الموصل ويكون أسود اللون ‥ ونوع آخر منه يزرع في مناطق الاكراد في الشمال وهو تتن الجكاير ‥

ويقال لبائع التتن ومشتقاته « تِتِنْچِي » وجمعه « تِتِنْچِيَّة » وهم يبيعون الجكاير والبرنوطي والسُوَيْكَة ويصنعونها ، اما الجَكَاير فأنواع أقدمها « جكاير العَرَبْ » ولا يزال أناس يرغبون فيها ، وان تكن في سبيلها الى الزوال اذ انها بدائية الصنع وقد زاحمتها جكاير الپاكيتات التي تعتبر في نظر المدخنين محكمة التحشية ومأمونة العواقب ‥

ولهذه الصناعة مصطلحات وتسميات منها لفظة البُقْچَة وهي عبارة عن عشرة أطواب ، والطوب عشرة اصابع ، والاصبع خمسون انبوبة جكارة ‥

وعلى هذه المقاييس يتم دفع الاجور ‥ أما الزَبانة فهي ورقة صغيرة ملفوفة على نفسها تدس في احدى طرفي الجكارة ‥

◆ صناعة البَرْنُوطي ‥

البرنوطي لفظ من التركية مؤلف من كلمتين هما « بُرُنْ أوني » أي

حنيش الأنف •• وهو مادة تصنع محليا ـ وكانت أول الأمر تجلب من الخارج ـ يصنعها التتنجيَّة على الطريقة التالية :

كمية من تتن الجكّاير ويختار التتن من النوع الكَسْكِين ويكون لاسعاً حاراً فيطحن ناعماً ثم يخمَّر وذلك بأن ترش عليه سَوْدَة الطعام والملح والماء الحار الساخن فيسود لونه بعد التخمير ثم يضعون عليه شيئاً من العطور فيتسمى البرنوطي باسم العطر الذي يعطّر به •• ومن هاتيك العطور البَنَفْشَة والقِدّاح والوَرِد والرازقي ••

ومنهم من يخمره بنقيع ثفالة الورد وزنجارة الحديد فيكون لونه أسود •• وتعتبر هذه الطريقة احدى وسائل الغش في هذه الصناعة ••

والبرنوطي من المكيفات التي لاتزال محل رغبة كثير من الناس وقد ذكر لي السيد هاشم السيد عيسى التتنجي في سوق المصبغة انه يبيع من البرنوطي سنوياً نحواً من نصف طن ••

وصناع البرنوطي بخلاء في تعليم الناس بهذه الصناعة •• وكانت للبرنوطي سوق خاصة به يقال لها « سوك البرنوطي » ومن اشهر باعته الحاج شهاب ابو البرنوطي ••

والبرنوطي اصناف منه « الوِلايتي » اى المستورد •• ومنه المخبوط وهو خليط من البرنوطي البغدادي والمصلاوي الذي يصنع في الموصل ••

وهناك نوع من البرنوطي يجلب من الهند في عِلَب وقواطي مختلفة الأحجام ••

ويوضع البرنوطي بعد اتمام صنعه في القناني الملونة والبسـاتيك ..
واذا جف رشّوا عليه ماء القدّاح أو رشّوا عليـه ماء الورد أو أي عطر من العطور . .وينبغي الاحتفاظ بأوعيته في أماكن باردة مرطبة .. ومن أسماء البرنوطي « النِشْوق » (*) ..

ومن أنواعه القَس والبنفشة والبَنافي والفرنساوي والكوزين والقداح والبَشاور ..

وكان هواة البرنوطي قبل عهد يسير يتخذون العلب المحلاة بالصَدَف والفضة لوضع البرنوطي فيها ..

وذكر لي السيد هاشم السيد عيسى النتنجي ان أكثر من يقبل على شراء البرنوطي واستعماله في هذه الأيام الآثوريون والسوريون ..

وينبغي ان يكون مع مستعملي البرنوطي كفافي كبيرة واسعة للامتخاط بها بين كل لحظة وأخرى ، وللقوم في ذلك لذة وانتعاش ولهم في تعاطي هذه المادة وتقديمها الى الآخرين آداب وقواعد ..

(*) وقرأت في مخطوط بغدادي : المعلومات التالية التي يبدو أن هناك من حاول صرف الناس عن تعاطي البرنوطي المضر بالصحة ، وذلك بتحويلهم الى النوع الذي ركبه عوضاً عن البرنوطي (أنفيـة بدل برنوطي قوة الى الدماغ

ورد بنفشه	أسطه قدوس
مثقال	مثقال
٢	١

تنقعه في فنجان « ماء ورد » ثم تنشفه وتدقه ناعم وتغمسه في دهن لوز وتستعمله) .

◆ تِتِنْ سِنْونْ •• ويقال له أيضا « تِتِنْ سْوَيْكَة » كما يقال له كذلك « سْوَيْكَة » ••

وهو يصنع من تتن النركيلة ، يتخيرون لـه النوع الهنـدي اذ يدق بالجاوَنْ أو الهـاوَنْ ثم يخمر بماء النورة والـكِلُو مدة اسبوع حيث يواصلون رش ماء النورة والكلو عليه ••

وتتن السويكة أصفر فاقع اللون لطيف المنظر يقتنيه مستعملوه في علب أو قناني صغيرة تكون في جيوبهم ثم يأخذون من هذه المادة بين أصابعهم شيئاً يسيراً يدسّونه في منطوى الشفة السفلى •• فيلبث فيها ملياً ، وبين كل لحظة وأخرى يبصقون على الأرض بصاقاً ملوناً بالصفرة ••

◆ الچِبُغْچِيَّة ••

جمع چِبُغْچِي وهو صانع الچِبُغَاتْ التي كانت شائعـة ومشهورة في بغداد في الجيل الماضي ، وكان للچبغچيّة سوقٌ لا تزال تحمل اسم سوق الچبغچية ، وهي بحـذاء « جامع الوزير » غير أنهـا اليوم مشغولة بالسرُاريج ولا وجود للچبغچيّة فيها ولا في غيرها من أسواق بغداد اذ انقرضت مهنتهم بالمرّة ••

والچِبُغْ : عبارة عن قصبة طويلة تبلغ المتر أو تجاوزه ومنها ما يكون أقصر من ذلك ، وهم يغلفونها بالقطيفة والمِيشْ ونحو ذلك ويضعون في فمها مبسما لامتصاص الدخان منه وفي عَقِبها حُقٌ صغير يجعلون فيـه

التتن الذي يشعلونه بعود ثقاب ويبدأ المدخَن بعد ذلك بارتشاف الدخان من الطرف الثاني ••

وكذلك يقال له غَلْيون •• وهناك مما يشبه الچبغ ـ الى حدٍّ ما ـ شيء يسمَى السِبيل وجمعه سِبْلان وهو يصنع محلياً من الطين والخشب•• وشكله شكل « البايْب » الغربي ••

ولـكن هذه الچبغات لا تزال معروفة في الموصل يستعملها غير قليل من شَيَبَة المدخنين ••

◆ المَيخَنْچِيَّة ••

جمع مَيخَنْچي وهو المنسوب الى المَيخانَة أي حانة الخمر ، حيث يبيع فيها الخمور ، وكان باعة الخمر والميخنچية كلهم من اليهود والنصارى ، ولا يتعاطى ذلك أحد من المسلمين ••

الصحة والتجميل..
ووسائل اللهو..

◆ الكْنانيس والزْبابيل ..

الكنانيس جمع كنّاس ومهنته الكنْاسة والكَنّاسْلغيّة .. والزبابيل جمع زبال ومهنته الزبّالغيّة .. وهي مهن تابعة للبلدية تستخدم فيها أناساً برواتب شهرية ضئيلة يتقاضونها من دوائر البلدية ..

ومهمة الكناس أن يحمل مكنسته الطويلة فيتجول بها كل صباح ومساء في منطقة أو محلة تخصص له ، حيث يكنس طرقاتها وأزقتها ، . وكلما كنس جانباً من الطريق كوّم الزبالة في مكان ما .. فاذا جاء الزبّال جمعها فوضعها في السابَلْ الذي تحمله الدابّة ..

ثم تطور الأمر الى اعداد سيارات كبيرة خاصة بنقل الأزبال .. وللشاعر العراقي الرجّاز علي الفُراتي أرجوزة مسهبة طويلة يصف بها

حال الكناس وصفاً دقيقاً شاملا ..

ويسمون المكنسة « مُكْنَاسة » وجمعها مُكانيس ومكناسات ..

◆ بائعات موادّ التجميل النسائية ..

وهؤلاء جماعة من عجائز النساء يخترن لهن أماكن على الأرض في بعض الأسواق المشهورة كسوگ الجِبِيْر حيث يتردد النساء لشراء الملابس والأقمشة .. وسوگ الشورجة حيث يكثر فيها ازدحام الناس من المترددين على هذه السوق من رجال ونساء لشراء شتى الحاجات ..

ويضع هؤلاء البائعات بين ايديهن سلالاً وأسفاطاً فيها مجموعة من مواد التجميل البدائية من نحو « الدَيْرَمْ » الذي تحمّر به النساء شفاههن ، و « القُرْصْ » وهو قطعة جبسية مستديرة يصقلن بها وجوههن ، والسِبْدَاجْ وهو مسحوق أبيض تستعمله المرأة في تبيض وجهها تدلكه بها وتستعين به على الحْفَافة بالخيوط وتضع منه بين أفخاذ رضيعها الصغير عند تقميطه ، و « الخْطَاطْ » وهو ما تسوّد به حاجبيها ، والسُخُطْ وهو ما تصنع منه النُونَة بين عينيها ، والكُحُلْ وأمياله ومكاحله المصنوعة من أكياس من القماش الأسود عادة ، وقد تصنع له مكاحل معدنية جميلة الصنع..

ويبعن كذلك المَعَاضِدْ المصنوعة من الگزيز ، والدمالج المتخذة من الخرز كما يبعن أيضاً اللّيَفْ واحجار الحمّام والأمشاط الخشبية والحِنَايَاتْ ووشائع الخيوط التي تستعمل للحفافة وغير ذلك ..

وكذلك يبعن « الطين خاوه » و « الطين بَصْرَة » ..

ولئن أهمل من وقت بعيد أو قريب كثير من هـذه المواد في صعيد الزينة النسائية فلقد حلت محلها وسائل أخرى ومواد لا تختلف عنها الا بالشكل والتسمية فما زالت المرأة تنشيء نفسـها في الحلية مهمـا تبدلت الأحوال ..

◆ الحَمَّامْجِيَّة ..

وهم الذين تكون تحت ادارتهم حمامات عامة يستحم فيها الناس .. وللحمامات طراز من البناء معين يتكون من قباب وأواوين ، وهناك في مدخل الحمام مكان فسيح أعدّت فيـه التخوت التي يجلس عليهـا المستحمون فيخلعون ملابسـهم وبعـد الاستحمام يرجعون اليهـا ليلبسوا ملابسهم ويغادروا الحمام ..

وفي داخل الحمام فسحة أخرى ينفذ منها الى حياض الحمام ومغاسله وبعض المرافق فيه ، وحين يدخل الداخل الى الحمام يؤتى بِشْطَمال ويقـال له اليوم فوطـة و « قُبْقاب » يلبسه في قدميه ، . فاذا دخـل القسم الداخلي منه جلس الى بعض حياضه فاغتسل أو انتظر على بعض الدكاك فيه فتعرّق ..

وفي بعض الحمامات مقاصر صغيرة منعزلة تقريباً يغتسل فيها بعض الناس ممن لا يقوون على تحمل حرارة الحمام ..

ولا توجد في حمامات بغداد جَهَنَّميّات وحياض ماء ساخنة يضع فيها المستحمون أقدامهم كالذي في حمامات مصر ..

واذا أتمّ المستحمّ استحمامه ضرب بالطاسة على طرف الحوض فجاء الآوْگيرْ بمناشف يتنشف بها فاذا خرج الى مدخل الحمام ويقال له المَنْزَعْ فبلغ مكانه الذي ترك فيه ملابسه عاد الآوگيرْ فغير له مناشفه ..

وفي كل حمام جماعة يقال لهم المْدَلَّكْجِيَّة ـ واحدهم مْدَلَكْجي أو دَلاّكْ ـ ومهمته أن يقوم بغسل من يستدعيه من المستحمين ، وطريقة هذا الغسل أن يأخذ الدلاّك بتكييس المستحم بكيس عنده مصنوع من الشعر والصوف فيخرج به ما علق بجلده من الأوساخ وغالباً ما يقوم بأعمال شبه بَهْلَوانيَّة وحركات لا تخلو من ضجيج وتصفيق اعتاد الدلاّكون على اتيانها .. ثم يأتي بوعاء كبير فيه ماء وصابون فيغمس فيه لِيفَةً معه ثم يليّف جسم المستحم ويغسل رأسه بالصابون حتى اذا أتمّ ذلك تـرك المستحم الى نفسه ليقوم هو ثانية بغسل بعض الجوانب من جسمه ، ثم يأتيه بالمناشف ليخرج من المغسل الى المنزع ..

ويكون للدلاّك أجرٌ آخر غير أجر صاحب الحمام ..

ومن طبيعة الحمامات ان تكون خاصة بالرجال أو بالنساء غير أن بعض الحمامات تشتغل بعض الوقت في اغتسال النساء ، وتخصص وقتاً آخر لاغتسال الرجال ..

وكانت الحمامات توقد بالأرواث وتسمى مواقدها « الطَمَّة » حيث يتكوّن فيها رمادٌ كثير يباع لأغراض البناء اذ يخلطون الرماد بالنُورة فيكون لهذا الخليط فعلٌ كفعل السمنت ..

وكان لابدّ اذن من وكَتّادينْ يعملون على ايقاد الحمام ولا بدّ من سقاءين يجلبون الماء ومن زَبّالين يجمعون الأزبال والسرجين لاتخاذ ذلك وقوداً ..

وقد تبدلت هذه الأشياء كلها فأصبح الماء يصل الى الحمام عن طريق الأنابيب وأصبح يعتمد في ايقاده على النفط ونحوه ، ولم يعد هنالك رماد ولا أزبال ..

ومن أشهر حمامات بغداد « حَمّامْ حَيدَرْ » ولا زال قائماً وقد ذكره اوليا چلبي في رحلته « اولياچلبي سياحت نامه‌سي » وكان قد دخل بغداد سنة « ١٠٦٦هـ » .

ومنها حمام القاضي وكان الى جوار المحكمة الشرعية وقد هدم واتخذ سوقاً باسم سوق التجار ..

ومنها « حمام پَنْجَه علي » وقد هدم واتخـذ عمارة يطلق عليهـا « عمارة شَمّاشْ » وهو من ملاّكي اليهود ، وكان يقع قريباً من جامـع مرجان ..

ومن حمامات بغداد المعروفة حَمّامْ كَجّوْ(*) في باب الآغا وقد هدم واتخذ محله بناية للبنك اللبناني ..

ومنها حمام الكَهْيَة وقد هدم وأدخل في شارع الجمهورية ..

(*) سماه فيلكس جونس في تقـريره المؤرخ في ١٨٥٥ م حمـام الكيجه‌چيه .

وكان في الشورجة حمّام هدم وأزيل عند شق شارع الجمهورية الذي اخترق الشورجة وأتى على قسم كبير منها •• وكان أصغر حمام في بغداد هو حمام الشفاء في محلة جديد حسن باشا وقد هدم •

اما الحمامات القائمة في بغداد فمنها حمّام المالح في محلة بهذا الاسم ، وحمام الرشيد في الحيدرخانة ، وحمام المَرْبَعْة ، وحمام يونس في الميدان، وحمام عَيفان في محلة الفضل ، وحمام التَيلْخانة قرب سوق الهرج القديم، وهي كثيرة •• وهنالك حمامات أقامتها الحكومة يغتسل الناس فيها بأجور زهيدة وتسمى حمامات الشعب ••

◆ الحلاّقون والمزاينة ••

الحلاّق هو المْزَيِّنْ ويكون له دكان في الأسواق أو في المحلات المأهولة بالناس يحلق لهم رؤوسهم ولحاهم ولابد له من مرآة كبيرة موضوعة في صدر الدكان يجلس أمامها الشخص المراد حلق شعره على كرسي ويضع الحلاق على صدر محلوقه فوطة من الخام الأبيض ليتساقط عليها الشعر فاذا أتمّ حلق رأسه عاد فحلق له لحيته ثم جاء بطاسة كبيرة ذات طراز خاص وهي مما يقتنيه الحلاقون عادةً فغسل لزبونه رأسه بالصابون والماء الحارّ ثم ينشفه له بالخَاوْلي ومن بعد ذلك يريحه بالروائح الذكية ، فاذا تم كل ذلك نهض المحلوق ليجلس قليلا على أريكة أخرى وهنا يبادره صانع الحلاق بمرآة صغيرة ليتطلع اليها ••

وقبل أن يخرج الزبون ينقد الحلاق أجره الذي يرضاه الحلاق

على أي حال اذ لم تكن أجور الحلاقة محددة بل هي في رأيهم من قبيل الهبات •• كما أن المحلوق ينقد الصانع الصغير بشيء يسير يفرح له ••

وهناك حلاّقون متجولون يحلقون للناس على قوارع الطرق بأجر بسيط ويكون معهم كرسي صغير يجلسون عليه المحلوق من الرجال والصبيان فاذا أتموا حلقه سلموه مرآة يعاين بها وجهه لعله يجد شيئاً ينبّه الحلاق عليه ••

وغير واحد من حلاّقي بغداد كان يمارس الحجامة وقلع الأسنان ويختن الصبيان •• وربما قام بأعمال وخدمات طبية كمعالجة المصابين بالقرع وتفجير الدمامل وما الى ذلك ••

وكان فيهم من يربي دود العلگ يضعه في كيزان من الفخار مع شيء من الماء يبدله بين كل يوم وآخر •• وهو دود يستعمل في امتصاص الزناگط والأورام المتقيحة اذ يضعون الدودة على الدملة فتتشبث بها وتأخذ بامتصاص ما فيها من قيح حتى تنتفخ ثم تسقط من نفسها ••

وغالبا ما يعاود أصحاب هذه الحرفة استعمال الدود والاستفادة منه ثانية وذلك بعصره عصرا خفيفا بحيث تخرج من احشائه المادة التي امتصها ثم يضعونه كرة اخرى في الكوز مع الماء ••

وهناك حلاقون يشتغلون في الحمامات يحلقون للناس ما يحلقون من آباط ونحوها •• وكان حلاقوا الحمامات قديماً محل سخط المحتسبين •• وللحلاقين – ويقال لهم أيضاً مْزَايْنَة جمع مْزَيِّن[*] –

(*) وهي لفظة معروفة في بغداد منذ القرن الرابع الهجري لنفس معناها المستعمل اليوم ••

اصطلاحات في اسامي أنواع الزِيان منها « نُمْرَة صِفِرْ » ومنها « قَلَمْ » ومنها « تَوالَيتْ » ومنها « مَجيدي » وهو أن يحلق في وسط الرأس حلقة تكون محاطة بشعر دائري يقال له كعكولة ..

وفي أيامنا هذه وجدت حوانيت وصالونات لحلاقة النساء كما وجدت صالونات لتعاطي ما يسمى بالتجميل ..

◆ لَظْم المسابح ..

هناك عدد قليل ممن يتخذ له حانوتاً في السوق يشتغل فيه بلظم السِبَحْ ، أي نظم خرزات المسابح بخيوط من الحرير وغيرها ، وذلك أن حاملي السبح كثيراً ما تنقطع خيوط سبحهم ـ وقد يكون في هذه السبح ما هو ثمين ـ فيذهب صاحب السبحة الى أحد متعاطي لظم السبح ، فيلظمون له السبحة على طرازها المألوف بخيطٍ من عندهم ويتناولون لقاء ذلك شيئاً يسيراً من الأجور ..

ومن هؤلاء ـ اليوم ـ يهودي واحد لا يزال يتعاطى عمله في حانوت يقع في سوق الخَرِجْ قرب شارع السموأل وهو مشهور ..

المياه والألبان

◆ السَّقَاقي ..

جمع سَقَّه وهو السَقّاء ، ومهمته جلب الماء من النهر وحمله في قربة على جنبه حيث يبيعه للناس في بيوتهم ، فيضعه لهم في حبّ الدار لاستعماله في الشرب والطبخ والغسل ، . وكانت بغداد في حاجة الى العدد العظيم من السقائين لتزويد بيوتها ومقاهيها ومساجدها وحماماتها بالماء ..

وكان منهم من ينقل الماء من النهر ليرشّ به الطرقات والأسواق ، قصد تبريدها في أيام الصيف .. وما زال عدد السقائين يتضاءل ويقلّ إثر ايصال الماء الى البيوت بالأنابيب حتى انتهى أمرهم وانقرضت مهنتهم ، غير أن عدداً يسيراً منهم لا يزال يتعاطى عمله في الكاظمية اذ يملأ قربته أو جرّته الفخارية من ماء الحنفيات ثم يسقي به الزوار ونحوهم ، أو يرشّ

به الأرض حينما يطلب منه .. ، والقرب أنواع وحجوم ، . واسم القربة عندهم الگِرْبَة والجِرْبَة وجمعها گِرَبْ وجرب .. وكانوا يشترونها من أصحاب الأكلاك القادمين من تكريت والموصل اذ يتكون الكَلَكْ ـ ويقال له الجِلَج ـ من عدة قرب منفوخة توضع عليها المرادي والأخشاب وتشد بالحبال فتحمل للتجار بعض تجاراتهم ، فاذا بلغ الكلك بغداد وقف عندها ثم فكك فبيعت حباله وقربه وأخشابه ، لأنه ليس من المتيسر الرجوع بها صُعُداً ..

والقربة هي مسلاخ الخروف والصَخَلْ يعالج بالدبغ ثم تشد أطرافه بالسيور ، فيتخذ قربة للماء أو عُكّة للدهن أو شِجْوَة لخض اللبن ومن القرب ما يتخذ لنقل القاذورات المنزوحة من البلاليع والمراحيض وتسمى القربة في هذه الحالة « صَلِخْ » وجمعه صلوخ .. ومن القرب ما ينفخ فتحمل الأكلاك على مجموعة منها وتسمى القربة آنذاك « جراب » وجمعه جُرْبان ..

وكان أهالي منطقة الصّلَيخْ يتعاطون مهنة الدباغة والسلخ وصنع القرب هناك ولذلك سميت منطقتهم بالصليخ أخذاً من هذا المعنى ..

وللسقّاقي عدة خاصة بمهنتهم ، منها الگِرْبة والدَلُو ووعاء آخر جلدي من شأنه أن يسحب الماء من القرارة وان كان نزراً ضحضاحاً ، ومن السقاقي من يستعين بالحمير لنقل الماء في أكثر من قربة .. ولهم أزياؤهم الخاصة التي يلبسونها وهي عبارة عن ثوب البِشِتْ الصوفي يتحزّم

عليه بحزام •• وكان الغالب على هذه الجماعة أن يكون أفرادها من المتقدمين في السن ومن ذوي الصلاح والستر ••

كما كان الغالب على جماعة السقّائين أن يكونوا من العانيين أو العَجَمْ ، وكان من السقاقي من يختص ببيع الماء لأصحاب الأسواق والمتاجر ، فكان هؤلاء يتخذون لهم حباباً على شاطىء النهر في بعض المشارع فيملأونها بالماء حتى اذا صفا وبرد قاموا بملء قربهم منه ثم أخذوا بالتجوّل في الأسواق ومعهم طوس نحاسية صفراء ، فيوزعون الماء على الشاربين لقاء شيء يسير من المال ينفحهم به الناس ••

ومن السقاقي من كان يحفر حفرة صغيرة على مقربة من الشاطيء يترشح اليها ماء النهر ، فينقلون منه الماء في قِرَبهم ، ثم يوزعونه على الناس في الأسواق ، وكانوا يسمونه بماء النَبْعِيَّة ••

◆ باعة الحليب ••

وهؤلاء جماعة من المعدان لهم جواميسهم وأبقارهم يخرجون في الصباح ــ وفي بعض الأحيان عصراً ــ الى أماكن يتخذونها في رؤوس المحلات ومعهم عدد من الهَوَايِشْ ــ جمع هَايْشَة أي بقرة ــ فيحلبون الحليب أمام الناس ممن يأتون ومعهم أوعيتهم لشراء شيء منه •• ويقال لذلك الحليب عندئذ انه « من الشَطِرْ » أي انه طري وتَازَة وغير مغشوش ، والشَطِرْ : هو الثدي •• والحليب يباع عادة بقاعدة القناني فيقال بُطْلْ ِ الحَلِيبْ بكذا وكذا •• وسعة البطل دون اللتر بقليل ••

وغالب باعة الحليب من النساء المْعَيديّات ••

ولكن طريقة خلط الحليب بالماء في غفلة من المشترين مسألة لا مجال لحمل القوم على الاقلاع عنها فهي شنشنة فيهم متأصلة ••

أما الجاموس(*) فانهم لا يحلبونه في الطريق وانما يحلبونه في بيوتهم فاذا شاء أحد أن يشتري شيئاً من حليب الجِمَس ذهب الى بيوت المعدان ومعه البْطالة – جمع بُطُل – أو يكون معه قِدْر ونحو ذلك فيحلبون له من ضرع الجاموسة على مقدار حاجته ، • ولهذا الحليب مواقيت ينبغي على من يريد شراءه مراعاتها •• وكان أهل بغداد اذا صنعوا المْحَلَّبي تخيروا له حليب الجواميس لأنه كثير الدسومة • ••

◆ باعة اللبن ••

واللبن تبيعه المْعَيديّات أيضاً في عِلَب مخصوصة ، منها الكبيرة ومنها الصغيرة وكثيراً ما تحمل المرأة عدداً من العلب على رأسها وقد تراكبت كل منها على الأخرى •• وبائعة اللبن يقال لها عَلاّبيّة وجمعها عَلاّبيّات •• وهنّ يقبلن على بغداد في أول الصباح حيث يبعن علب اللبن للبقالين وأصحاب المرطبات ويجلن في الطرقات ينادين على لبنهنّ ••

(*) الجاموس : جمع جاموسة ، وكذلك يقال في جمعها جواميس وجمس •• وهو جنس من البقر ضخم أسود اللون ، يتعشق الحياة انغماسا في الماء الى حد الرقبة ، ويكثر هياجه ••

وهناك من يبيع اللبن المَنشَّف في قدور أو سداد يتجول بها في الطرقات فيشتري منه من يشتري ، واللبن المنشف هو لبن العلبة يوضع في أكياس من الخام ويعلق فيترشح ماؤه وبهذه الطريقة يمكن المحافظة عليه الى وقت طويل ، فاذا اشتري خلط بمقدار من الماء واستعمل ..

وهناك من يحمل معه سطلاً فيها شيء من اللبن الشنين المثلج يبيعه في أيام الصيف بالكاسات بنقد ضئيل ، على أن هذا النوع من اللبن ليس فيه من اللبن الا بياضه ..

الطيوريون ..
وشؤون البيطرة ..

◆ السيّاس ..

جمع سايس ويقال له أيضاً سَيَّس .. أما عمله فهو السْياسة ـ باسكان السين ـ ويكون مقام السيّاس في الطَوْلات ـ جمع طَوْلَة ـ أي الاصطبلات حيث يقوم السايس بتنظيف الخيل وقد يذهب بها الى النهر لغسلها هناك ، وكذلك يقوم باعداد علفها ومائها ومسحها وتفريج جسمها بفرج خاصة ، ومعالجة بعض أوصابها أحياناً والذهاب بها الى النَعَلْبَنْد لتنعيلها .. وهو الذي يقوم بالجامها ووضع « القَنْطَرْمَة » في فمها وهي الشكيمة ..

ومعظم هذه الخيول تتخذ لجرّ العربات فاذا انتهى عمل العَرَبَنْجِيَّة فعادوا الى الطَوْلة بدأ السايس عمله المقرر ، كما أنه يهيء الخيل لشدّها

بالعرَبانات ، ويعدّها لذلك من أول الصباح .. ويكون كل سايس مسؤولاً عن عدد يسير من الخيل ، حيث ينصرف الى العناية بها على النحو الذي مرّت الاشارة اليه ..

وكانت في بيوت سروات الناس طَوْلات لخيولهم يقوم على سياستها سيّاس يعيّنون لهذا القصد ، وذلك يوم كان اقتناء الخيل للركوب من ضرورات الحياة اليومية بالنسبة للمشاهير وذوي اليسار وبعض أهل العلم ..

ومن أعمال السايس أن يضرب الحُصُنْ ـ جمع حصان ـ بكيسٍ عنده ليزيل من على جسمها ما يكون قد علق به من الوسخ ، وربما أراد بذلك مجرد التدليك قصد تنشيطها وانعاشها ..

◆ النَعَلْبَنْدِيَة ..

جمع نَعَلْبَنْدْ ومهمته تنعيل الخيول بالنعُالات الحديدية وذلك بعد قصّ شيء من حوافرها بالمِبْشارة وفق قواعد وأصول يعرفونها .. وكانت هذه المهنة شائعة في بغداد أيام كانت الطَوْلاتْ فيها كثيرة متعددة حيث كان يكثر وجودهم في الطَوْلاتْ وعلى مقربة منها غير أن النعلبندية اليوم أقلية قليلة ..

وتكون مع النعلبند بِسامير حديدية من نوع خاص وسِنْدان يطرقون عليه وجاكوج لدقّ البسامير في حوافر الخيل عند تنعيلها بالنعل الحديدي ..

◆ تربية البَلابِلْ ..

وكان مما يتعاطاه أناس " في بغداد تربية البلابل وتلقينها ألفاظاً معينة ومن ثم بيعها ، وهي في رأيهم أصناف وأنواع أشهرها العَلْوازي الذي يكون لطيف الصوت ..

وكان للبلابل هواة كثيرون يتباهون بما يقتنونه منها ، وقد أوشكت البلابل أن ينتهي عهد الولوع بها وتربيتها وبيعها ..

◆ باعة الطيور والمُطَيْرَجِيَّة ..

لا يزال كثير من الناس يعنون بتربية الطيور واطارتها في الجوّ وهم يتخذون لها البروج في سطوح البيوت .. ولهذه الطيور أسماء متعددة يعين كل اسم منها صنفاً من أصنافها وجنساً من أجناسها .. وهم يعرفونها ويميزونها باختلاف ألوانها وأنماط مناقيرها وأوضاع أرجلها ..

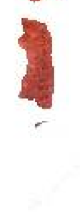
وفي « سوكَ الغَزِلْ » ببغداد حوانيت تباع فيها ضروب شتى من هذه الطيور .. وليس من عادة الناس ذبحها واستعمالها في الطعام ، وانما يقتنونها للّعب والتشاغل بها كهواية من الهوايات الجميلة ..

غير أن الناس لا ترتاح من المطيرجيّة لأنهم يقضون أغلب أوقاتهم على السطوح يطيّرون الطيور ، ويتخاصمون فيما بينهم خصاماً مرّاً عنيفاً من أجل طير يقتنص منهم أو يضيع عليهم ، كما أنهم يسلبون حرية الناس

في بيوتهم فلا تستطيع امرأة أن تصعد الى السطح لتنشر الملابس المغسولة ،. وقد علم أن القضاة يسقطون شهادة أهل هذه الهواية ..

وفي أيام الجمع من كل أسبوع يتجمهر أناس كثيرون من الرجال والشبان والصبيان في سوق الغزل يجلبون معهم الطيور فيبيعون بها ويشترون .. وتلبث سوقهم هذه معقودة من أول الصباح حتى الظهر من يوم الجمعة عادة ..

وليس كل الذين يقتنون الطيور ويشترونها يقومون باطارتها في جوّ السماء ، فانّ هناك كثيرين ممن يكتفون بالنظر الى طيورهم وهي تسرح وتمرح في ساحة الدار فيتفرجون عليها خلال أوقات فراغهم ..



الأطعمة ..

◆ أُمّْ الباگِلَّة ..

وهي امرأة تتخذ لها مكاناً من الأرض عند رأس الزقاق ونحوه وتكون بين يديها قدرٌ فيها بُاگِلَّة مسلوگة وماء كثير ، فيقبل على صاحبة القدر التي يقال لها « أمّ الباگِلَّة » أو أم الباجِلَّة عددٌ من الناس مع كل منهم اناء ورغيف فتغمس لهم أرغفتهم في القدر لتلين قليلاً ثم تخرجها فتضع لكل منهم رغيفه في وعائه ثم تترك عليه شيئاً من الباقلاء المسلوقة وترشّ عليه البُطْنِجْ لقاء شيء يسير من القروش ..

وكان بعض النساء يضعن في رغيفهن خيطاً ذا لون خاص لئلا يتبدل الرغيف برغيف غيره ..

◆ باعة الكاهي ..

وهم الكاهَجِيَّة نسبة الى الكاهي وهو نوع من المآكل البغدادية الخاصة يختصون به فيصنعونه في الصباح حيث يتريَّگ به كثير من الناس ويفطرون عليه ..

وللكاهجية حانوت فيه فرن يخبزون به الكاهي ، وطريقة صنعه أن يعجن له عجين طيب يتخذ من الدقيق الناعم مخلوطاً بالدهن ثم تقطع منه قطع ، صغيرة فترقَّق بالشَوْبكات ثم يجمع من هذه الرقاقات أكثر من واحدة توضع كل منها على الأخرى حتى تكون دون ثخن الرغيف ، فتوضع في الفرن في صينية ، فاذا نضجت وتحمّصت أُخرجت فوضعت في إناء ، ثم قطعت الى أربع قطع ورُشَّ عليها شيء من الشيرة وأضيفت الى ذلك قطعة من الگَيمَر فتُقَدَّم للآكل .. ويزيد من لذتها أن تكون حارة ساخنة ..

وفي هذه الأيام وُجد من يصنع الكاهي في أفران غازية ..

وكان من عادة أهالي بغداد صباح أيام البناء بالزوجة أن يشتروا قَدْراً كبيراً من الكاهي ليتناوله الزوجان صباح ذلك اليوم ، وهو تقليد من تقاليدهم الثابتة ..

ومن ألفاظ البغداديين اذا أرادوا وصف الخبز بالجودة والبياض والرقّة قالوا فيه « عَبالَكْ كاهي » أي انه يشبه الكاهي ..

وكان أشهر صناع الكاهي في بغداد « كاهجي » له مطعمه الخاص في المَصْبَغَة .. ومن المهمّ الاشارة الى أن باعة الكاهي ينتهون من عملهم ضحى النهار فيغلقون دكاكينهم بعد ذلك ..

◆ السَمَّاچَة وباعة السِمَچْ ..

هم محترفوا حرفة الصيد ومن أشهر أماكنهم في رصافة بغداد « شِريعة النَوّاب » حيث يصاد فيها السمك ويباع حال إخراجه من الماء ..

وطريقة الصيد الشائعة عند السماچة هي الطريقة التي تعتمد على الشِيصّ ومنهم من يستعمل الشِبَچْ أي الشِباك ..

وفي الكرخ علوة كبيرة يقال لها « علوة السمچ » يباع فيها الكثير من صنوف السمك ..

وفي « سُوگْ حَنُّونْ » في الرصافة عدد من الحوانيت يباع فيها السمك والبِزّ خاصةً ـ وهو سمك ضخم الحجم قليل العظام كثير الدسومة يستعمل في القلي والشَيّ ..

ومن أشهر أنواع الأسماك المعروفة في بغداد والمرغوبة لدى الأكلة ، ما يقال له الشَبُّوط والبُنّي والگَطّانْ ، وهناك نوع من السمك يقال له « الجِرّي » يستحلّه أناس ويحرمه آخرون ..

ومن باعة السمك من يتجول في الأسواق القريبة من الشريعة ، يحمل بيده سمكات معلقات بخيوط وهي تلبط اذ لا يزال فيها بقيّة من رمق ..

ومن عادة صيادي السمك أن يشدوا السمكة من غلاصيمها بخيط

يعلقونه بطرف البَلَم ، حيث تكون السمكة متدلية الى الماء غاطسة فيه . فلا تفارقها الحياة حتى تباع ..

ومن الحرف المتعلقة بالسمك أن هناك من يشوي السمكة كاملة بطريقة خاصة يقال لها « التَسْكيف » وقد جرت العادة أن يكون ذلك مساء أيام الصيف اذ تخرج الناس الى التنزه على شواطىء دجلة وَجزْرَاتها ..

وهناك من يحترف حرفة قلي السمك في الأسواق ، وغالباً ما يكون ذلك خاصاً بسمك البِزّ اذ انه يقلى بدهنه في الغالب ، وتكون عدّة صاحب هذه الحرفة طاوة كبيرة واسعة يوقد تحتها ناراً فاذا وضع قطعة السمك لقليها وضع عليها ثِكَالة من الفخار المطلي بالكاشي .. ويجتمع عليه الأكلة فيبيعهم مما يقلي من سمكه ..

وللبغداديين في السمك أمثال وأقوال تنمّ عن رغبتهم فيه ومقتهم له في نفس الوقت ، منها قولهم « مِثْلْ السِمَجْ مَاكولْ مَذْمومْ » ومنها قولهم « ضراط اللحم أحسن من تسبيح السمج » ومنها « السِمَج بالشَطّ مَاشِبَعْ مِيّ خَشْ بْبَطِنْ بَنْيادَمْ شِبَعْ مَيْ » ، يريدون بذلك ان السمك يستدعي الاكثار من شرب الماء ..

ويصل الى أسواق بغداد كثير من السمك الذي يصاد في سَدَّة الهِنْدِيَّة ، كما يصل اليها بعض أنواع السمك المشهورة في البصرة من نحو الشَانْكْ والزْبَيدي وغير ذلك ..

• الطبيخ ونحوه ..

كانت المطاعم المألوفة اليوم قليلة في صـــدر الجيل الحاضر وكانوا يسمّون المطعم لَوْقَنْطَة وجمعها لَوْقَنْطات فكان من النادر أن يجد الرجل مطعماً فيه قدور وطبيخ ، وانما كان الذي يُرى بكثرة دكاكين الكَبَبْچِيَّة والپاچَهچِيَّة وأصحاب الحميس ..

غير أن عدداً من النسوة واماء العبيد كن يقتعدن لهن أماكن في أرض بعض الأسواق وبين أيديهن قدورٌ شتّى يبعن ما فيها من تمّن وطبيخ ، والى جوارهن سلةٌ فيها أرغفـة خبز فكانت الأكَلَة من فقراء النـــاس وغربائهم يلتمّون حول هاتيك القدور ،لتناول وجبة طعام تتألف من تمن ومرق وكسرة خبز ، ويوضع كل أولئـــك في ماعون واحد وكانت هذه الأكلة من أرخص المآكل كلفةً ..

ويبيع باعـــة الـكباب في حوانيتهم الـكباب والتِكَّة ، مقروناً ذلك بالاسْكَنْجَبيل أو الطُرْشي أو اللبن ، ويقـــدم للآكل مـع الـكباب ما يسمونه بالزَرِعْ وهو عبارة عن الكَرَفْزْ والرِشّاد والـكِرّاث ويقدم له كذلك الطرشي ..

وكانت في مقدمة دكاكين الـكبابچية أجراسٌ يقرعونها بين الحين والحين يلفتون الى كبابهم أنظار المارة ، من الغرباء القادمين الى بغداد لقضاء أشغال لهم فيها ..

وكان بين يدي الكبابچي رجل يلبث قائماً على قدميه ، وبيده مروحة

كبيرة يهفّي بها على الكباب الموضوع في صياخ مرصوفة على مَنْقَلَةٍ فيها فحم متقد ، وبين لحظة وأخرى يأخذ الكبابچي بتقليب هذه الصياخ – جمع صيخ وهو السفود – لكي تلفح النار جميع جوانبه ..

وبمرور الأيام أصبح الكباب يشوى ويعدّ تحت مروحة كهربائية ؛ وأزيلت الأجراس من مقدمات حوانيت الكبابچية ..

أما الپاچهچية ، فكانت لهم حوانيتهم في مختلف الأسواق ولهم قدورهم الضخمة فاذا أقبل عليهم الآكلون ثردوا لهم شيئاً من الخبز في وعاء وصبّوا عليه يسيراً من الدهن ، ووضعوا من لحوم الپاچه ما يودّ أكله الآكل من نحو المخّ واللسان والكرشة والشِرْدانة والكِرْعان وغير ذلك من مواد الپاچة ..

وهناك من يشتري من الپاچهچية بعض الرؤوس ، فيجلس بين يدي الغروب يبيع ذلك في صينية يبسطها أمامه على كرسيّ صغير في السوق ، فيأتيه من يتعشّى بشيء من لحوم هذه الپاچة الباردة ..

وفي أيامنا هذه بدأ بعض الباعة يتخذون لهم أماكن على رؤوس الطرق وفي بعض الساحات المأهولة بالناس وعلى أبواب السينمات يبيعون الفَشافيش وهي عبارة عن كبد الخراف ، تقطع قطعاً صغاراً ثم توضع في السفافيد فتترك على الجمر ، فاذا أوشكت أن تنضج قدمت للآكل مع الخبز والرشاد والكراث والبصل والطماطة وغير ذلك .. وتبدأ أعمال هؤلاء الباعة بعد العصر ويلبثون الى جانب غير قليل من الليل ..

أما المطاعم فانها اليوم منتشرة في بغداد بشكل يلفت الأنظار ، وهي تقدم للآكلين شتى أنواع الطبيخ والمقليات ، مما يؤكل في الغالب في بيوت الناس ..

وهناك أمرٌ جَدَّ في هذه الناحية هو وجود حوانيت يبـاع فيهـا ما يسمّى بالسَنْدَوِيجْ وهو عبارة عن مآكل خفيفة لاتختلف كثيراً عما كان يسمّى في بغداد قبل اليوم بالأَبْيَضْ وبَيضْ ، الا أنَّ في السندويج مايحتوي على لحم أو جبن وغير ذلك ..

أما باعة الكُبَّة فما يزال دورهم بارزاً في عالم الطعام ، غير أن الكبَّة التي كانت معروفة في بغداد زوحمت بنوع من الكبة الموصلية التي تصنع على شكل وطريقة تختلف بعض الاختلاف عن الكبة البغدادية ..

◆ الطُرْشْجِيَّة ..

جمع طُرْشْجي ، وعمله صنع الطرشي وبيعه في دكان صغير يتخذه في السوق ولن تخلو سوق شعبية من طرشچي واحد أو أكثر ..

ولأهالي بغداد اهتمام ظاهر بالطرشي وانصراف اليه عظيم ، وكثير منهم يصنع الطرشي في البيوت فيكون ألذّ مذاقاً وأطيب نكهة ..

ومن أنواع المواد المخللة التي يضعونها في وعاء المشتري « الخيـار والبيتنجان والشَلْغَمْ والشِونَدَرْ ـ أحيانا ـ والثوم عَجَمْ » وكل هذه ميتّة بالخل ثم يضع الطرشچي فوق ذلك شيئاً من ماء الطرشي المخلل ويرشّ عليه الأبازير والكُرْكُمْ وشيئاً من الكَرَفْسْ ، وربما دَقّ

النوم بهاون عنده فمزج ماء الطرشي به وكذلك يضع شيفاً صغيراً من « النومي حامض » ـ الليمون ـ في كاسة المشتري ومن الناس من يطلب الى الطرشجي أن يضع فوق ذلك قليلاً من الدِبِسْ وعند ذلك يوصف ذلك الطرشي بأنه « طُرْشي مْدَبَّسْ » •• فلا يكاد آكل الطرشي يرضى بالقناعة مما يأكله منه ، وهم يستعملون الطرشي مادة مقبِّلة وذلك عند أكل الكباب واللحوم الأخرى ، وربما اعتاد قوم أن يستعملوا الطرشي مع كل وجبة غداء أو عشاء ولا سيما مع التِشْريب ••

والطرشي البغدادي لا مثيل له في البلاد العربية ، اذ أن الطرشي الذي يستعمل في مصر وغيرها لا يكون الا ملحاً أجاجاً ليس فيه خَلّ ولا حموضة ••

وبعض باعة الطرشي يتفننون فيه فيخللون العنب والتفاح واللوبية وكثيراً من المواد الأخرى ••

وعرفت في بغداد أسرٌ تمتهن صناعة الطرشي وكبسه في الخَمْام والبْساتيك وبيعه وتوزيعه • وهي مهنة فيها ربح كبير لأصحابها ••

◆ باعة الحَمِيسْ ••

الحَمِيسْ مجموعة من لحوم الأمعاء والمصارين والمعلاك ونحو ذلك من الجَلافيط وغيرها ، تقلى بدهن الشحم في « طاوة » كبيرة فتكون لها رائحة ونكهة مغرية ، فيتداعى عليها الأكلة بأرغفتهم ، ولا يؤكل

الحميس الا ّ حاراً ساخناً فانْ برد ظهرت عيوبه ونتانته ، وعافته النفس وتقززت منه ..

ولم تكن سوق من الأسواق الشعبية في بغداد لتخلو من باسع الحميس .. ولكن هذه المهنة انقرضت ولم يعد يتعاطاها أحد ..

◆ الشَكَرْجِيَّة ..

وهذه صناعة ومهنة من المهن المشهورة ، وكان لها أكثر من سوق في بغداد ، ومن أسواقها ما يقع في بعض مداخل الميدان جنوبي جامع الأحمدية ، ومن أسواقها الشهيرة سوق الدهّانة وهذه لا تزال قائمة ..

وينبغي أن يكوُن هناك معمل في داخل حوانيت الشكرجية لصنع الحلويات وأصناف الشَكَراتْ ، وفي ظاهر الحانوت معرض لعرض تلك المواد وبيعها ..

ويساهم الشكرجية في صنع مجموعة من المواد التي تستعمل في التغذية كحلاوة الراشي وحلاوة الدِبِسْ والحلاوة الرَمْلِيَّة ، فانّ من الناس من يشتري من هذه الحلاوات شيئاً يأكله مع الخبز ..

وقد انقرضت في أيامنا حلاوة الدبس ، وكانت مما يولع به الصبيان خاصة ..

ويصنع الشكرجية في سائر أيام السنة أنواع الشكرات والمْلَبَّسُاتْ والمَسْقول و « الحُامُضْ حِلُو » واللَوْزِينَة والداطْلِيّاتْ وإصُابِيع ِ العروسْ ، وكثير من هذه المواد توزع في الأعراس على

موعوّي العقد ، اذ توضع في ظرف من الورق داخل چَفِّيَّة من الحرير أو القطن فتقدم لكل مدعوّ منهم بعد اتمام قراءة العقد ..

كما يشتري الناس الشكرات لتوزيعها على أساس « خطار ويهلية » وذلك عند قدوم مسافر أو سلامة مريض وشفائه ، أو عندما يختم صبيّ لهم قراءة القرآن الكريم في الكتاتيب ، ونحو ذلك من المناسبات التي ينتهزها الناس للتعبير عن أفراحهم ..

و « الخُطّار ويَهْلِيَّة » هي جمع الناس ونثر الشكرات على رؤوسهم ، حيث تزغرد النساء وتهلهل الهلاهل العالية ..

وكذلك تشتري النساء في مناسبة صوم زَكَريّا الشكرات والمخَلَّطات فتضعها في صينية زكريا التي توقد حولها الشموع هزيعاً طويلاً من الليل ، وفي اليوم الثاني يبدأ توزيع هذه الشكرات على الجيران وغيرهم ..

ومن الشكرچية من يصنع شكرات خاصة بالأطفال والصبيان من نحو العَنْبَرْلي والكَرْكَري ـ وقد زالا من الوجود ـ ومن ذلك ما يسمى بـ « خَرَا الجِرَيدي » واللّذيذة وجَعْب الغَزال والبامْيَة .. والعَلوجَة والمُصّاصات والشَرابت ـ وهذه زالت من الوجود أيضاً ـ ..

وفي شهر رمضان يعمد الشكرچية الى صنع البَقْلاوَة والزلابْيَة والقَطايف وشَعر البَنات ، اذ انها كانت مرغوبة في أيام هذا الشهر دون سواه ..

غير أن هذه الحلويات أصبحت في أيامنا الحاضرة تصنع وتباع خلال أيام السنة كلها ، اذ انصرفت اليها رغبة الناس فأصبحت من حاجاتهم اليومية، كما أنها تقدمت كثيراً عما كانت عليه من قبل ..

ومما يصنعه الشكرجية كذلك ، أنواع الأشربة والاِسْكَنْجَبِيلْ وغير ذلك ..

وهناك بعض العجزة من الرجال والنساء يشترين كمية من حلويات الأطفال فيتعيشن من بيعها حيث يتخذن لهن أماكن في رؤوس المحلات أو عند أبواب بيوتهن ..

وللشكرجية قدورهم الخاصة التي يقال لها الپاتيلات – جمع پاتيل – ، وقوالبهم وأدواتهم الأخرى ..

القصابة وملحقاتها..

◆ الكَصاصيب ..

واحدهم الكَصّابْ وعملهم الكَصابَة .. والكَصّاب هو الجزار الذي يذبح الخراف وسواها من الأنعام في المصلخ أو في البيوت، ويبيع اللحوم في حانوته للناس ..

وتكون له أدواته التي منها الكَنّارة وهي خشبة كالمشجب فيها كلاليب متعددة من حديد، تعلق عليها لَشْاش الأنعام المذبوحة ـ واللَشَّة واحدتها وهي الجثة المسلوخة ـ ولهم سكاكينهم ومِسْتَحَدّاتهم، وكان الكصاصيب يلبسون البْشوتة ـ جمع بِشِتْ ـ ويتحزّمون بحزام من الجلد يعلقون به المِسْتَحَدْ كالزنّار ويغرزون السكاكين في جانب منه مما يلي خاصرتهم أو سُرَر بطونهم ..

ومن أدواتهم جذع شجرة من التوت مركوزة على الأرض يسمونها « كُنْدَة » ، ويقـــال لها في الفصيح « وَضَم » يضعون عليهـا اللحم حين يضربونه بالساطور ابتغاء تكسير ما فيه من عظم ..

وما يبيعه الگصاصيب من الخراف لايتعدى لحومها ، أما رؤوســها وكراعينها وأمعاؤها وما يطلق عليه اسم الپاچة فانهم لايتعاطون بيعه ، انما يبيعه باعة آخرون ..

وللگصاصيب مصطلحات في تسمية أصناف اللحوم يعرفها كثير من النساء وغـــيرهن ممن يراجعون الگصاصيب لشراء اللحم .. ومن هــذه الألفـاظ :

(الشـِرِح) وهو اللحم لا عظم فيه .. ولم تكن بغـداد قبل اليوم تعرف بيع العظام الغليظة ، انما كانت العظام ترمى للكلاب ، الا ما جاء من العظام متراكباً عليه اللحم كعظام الأضلاع وغـــيرها .. ولابد من تكسير العظم وتهشيمه اذا كان خشناً لاصقاً به اللحم وذلك ليخف وزنه ، وفي الأيام الأخيرة أصبحت العظام تباع لمن يشتريها .. وكان القصابون يعطون الطحال لمن يريده بالمجان اذ كانت الناس تقدمه لإطعام القطط ، وفي أيامنا هذه أصبح القصابون يبيعون الطحالات بيعاً ، اذ أنَ هناك من يأكلهـــا من الناس ..

ومن ألفاظهم أيضاً :

(البَوْج) : وهو نوعان النوع الأول هو القسم الأعلى من الفخذ ، أي ما يربط الخاصرة بالفخذ ، ويتخيره الناس لأنواع من الأطبخة لما فيه

من دهن .. والنوع الثاني بوج الليَّة ، وهو عبارة عن عظام فقرية دقيقة تنعقد عليها الليَّة ويقال له أيضا « العَصْعوص » ..

(القابُرْغَة) : اللحم الذي على الضلوع مما يلي العظم الفقري .

(الدَوْش) : ويقال له أيضاً « الخَشِمْ » وهو اللحم الذي على الضلوع مما يلي عظم القصّ ، ويكون لحماً سميناً ويسميه بعضهم « صَدرْ » .. ويطبخون به البامية عادة ..

(كَرِحْ) : اللحم بين القابورغة وبين الرُكبة ، وهو مجرد لحم أحمر ليس فيه دهن ..

(الچنگ) : هو الذي يقال له أبو قَبَيحْ ..

(بَيتْ لَحَمْ) : الذي تكون فيه الدَفَّة وهو مما يقع في الكتف ..

(الطِنِفْسَة) : هو الجلد الذي يكون تحت اليّة لا ينبت عليه الصوف ..

(الضَرَّة) : أصل الثدى ..

(الزَندْ) : هو اللحم الذي يكون في مقدمة الفخذ والأيدي ..

(السوبْيَة) : الجانب التحتاني من الفخذ لايكون فيه دهن ..

(العَصافير) : لحوم العضلات ، واللحمة تكون على الزند ..

وكل مجموعة من الغنم المعدة للذبح يقال لها « كُشْتَارْ » .. وحين يدعى الگصّاب الى ذبح خروف في بيت من البيوت ، فانه يتلقى على ذلك أجراً ، وأحياناً يأخذ الگصاب جلدة الخروف فهي عنده خير أجر على عمله ..

وفي كل سوق عدة معدودة من الكصاصيب الذين يبيعون لحم الغنم ، ولكن باعة لحوم البقر يتمركزون في الشورجة في منطقة تقع بين سوق الغزل والدهانة .. وكذلك يرى عـــدد منهم في سوك سراج الدين والصدرية ..

ومن حيل بعض الكصاصيب من ذابحي الصخول وبايعي لحومها انهم يعلقون عند أذنابها لِيَّة خروف ، ليوهموا الناس ان اللشَّة لشَّة خروف وذاك أن قليلاً من الناس من يشترون لحوم السخول ..

◆ الوَتَّارة ..

جمع وَتَّار وهم المشتغلون في المُصارين يجمعونها شـــراءاً من المصالخ والقصّابين ، فيغسلونها وينظفونها ثم يصدرونها الى بيوت تجارية في الخارج ..

وقد يصنعون منها الأوتار التي يستعملها النداديف الذين ينـــدفون القطن ..

الحمل والنقل..

◆ العَرَبَنْچِيَّة ..

جمع عَرَبَنْچي وهو من يسوق العَرَبانَة ويتكسب بنقل الركاب من مكان الى مكان ، وكانت العَرَبايِنْ من أهم وسائط النقل داخل بغداد ومنها الى غيرها ، حيث كانت تخرج على شكل قوافل ..

ويجرّ كل عربانة اثنان من الخيول ، وكان يطلق على العربانة لفظ « لاَنْدَوْنْ » ويقال لها كذلك « عربانة أمّ الرَبَلْ »(*) .. وقد أوشكت أن تزول لأنّ استعمال السيارات غلب عليها وعلى أمثالها من وسائط النقل القديمة ..

(*) الربل هو لاستيك غليظ يشد على العجلة الحديدية ، فيكون لها بمثابة اطار ولذلك قيل لهذه العربانة « أم الربل » .. وكانت جميع العربايِن الاخرى تحمل على عجلات ذات أطار من الحديد ، ليس عليه شيء من اللاستيك ومنها العربايِن المعروفة بالپرشقات ..

◆ البَلَمْجي ..

نسبة تركية الى « البَلَمْ »(**) وهو القارب النهري ، ويقال للبلمجي أيضاً بَلاّمْ وجمعه بَلاّمة .. أما البَلَمْ فيجمع على بْلام وبْلامة ..

ومهمة البلاّم أن يقف عند الشريعة فينقل الناس على ظهر الماء ببَلَمِهْ الى الجانب الآخر من النهر ..

وكانت مهنة هؤلاء رائجة أيام كان الجسر في بغداد مؤلفاً من جَسّارِيات عائمة .. ولا تستعمل البلام اليوم الاّ في نطاق محدود .. وكانت تصنع وتبنى في بغداد نفسها ..

◆ البايْسِكِلْجي ..

مهنة يتعاطاها أناس يتخذون لهم دكاناً ثم يجهزونه بعدد من البايْسِكْلاتْ التي يعدّونها للأجرة ، حيث يقبل على استئجارها الصبيان ونحوهم لساعة أو أقلّ فيتجولون بها لقاء مبلغ متفق عليه ..

ومن عمل البايسكلجي أن يصلح البايسكلات التي يصيبها العطب لقاء أجور معينة .. ويقال للبايسكل دَرّاجة وجمعها دراجات ، وجمع البايْسكِلْ بايسكلات ..

وكان أهل بغداد قديماً يسمون البايسكل « حْصانْ حَدِيدْ » ..

ويقال لمن يصلح البايسكلات « پَنْجَرْجي » ..

(*) لفظة البلم من اللاتينية PALM أي نخل وكانوا يتخذونه من سعف النخل .

◆ الحَمّالَة .

مهنة يمتهنها رجال يستعان بهم في نقل أمتعة الناس وأثاثهم ، عند الانتقال من دار الى أخرى ، أو عند شراء شيء من السوق من نحو أثاث وميرة ، وارادة نقل ذلك الى بيوتهم أو مخازنهم ..

ويقال لصاحب هذه المهنة « حَمّال » وجمعه حماميل باسكان الحاء وفتحها أيضاً .. ويعتمد ممتهن هذه المهنـة على قوّة عنده ، ودراية في طريقة حمل المواد ، وحرصٍ على حمايتها ، ولا بدّ أن تكون مع الحمال أدواته الخاصة التي منها « النْو'ارْ » باسكان النون وهو سفيفة قطنية بعرض انجين وتكون طويلة وفيها ثخن ، فاذا حمـل الحمّال الحاجـة المحمولة على ظهره شدّها بالنوار فوضع شيئاً منه على جبهته يستعين به على ذلك ..

ويكون مع الحمال أيضاً حبل أو أكثر من حبل ، كما ينبغي عليـه أن يرتدي « الجِنْدَة » وهي شبه البردعة يضعها على ظهره تحت الحمل ، ويكون لها ردنان قصيران يدسّ فيهما ذراعيه ..

وكذلك لابدّ أن تكون مع الحمال عباءة غليظة يضع فيها عند الحاجة المحمولات المتفرقة ثم يلمّ أطرافها بطريقة خاصة ، اذ يجعل ذيلها الايسر في كمها الأيسر ، والأيمن في الكمّ الأيمن ، ثم يعقد من طرفي الذيل عقدة ، فاذا حمل العباءة بما فيها من موادّ ، وضع العقدة عند جبهته ممسكاً اياها بيديه ثم مضى ماشـياً بحمله .. وكثـيراً ما تكون عباءات الحمالين مرقعة ومخرقة ..

وكانت جماعة الحمالين تقتعد أماكن لها في السوق ليكونوا على أهبة العمل عند الطلب ، وقد اشتهر أناس منهم بالأمانة ومعرفة بيوتات الناس ومواقع المحلات ..

وظهر مؤخراً جماعة من الحمالين يستعينون على حمل الأشياء والمواد بعربات خشبية واطئة يسيرونها دفعاً بالأيدي ..

وهناك نوع من الحماميل الصغار ـ من جماعات الشْروگية ـ يعملون في الأسواق لنقل الأمتعة الخفيفة وما يشتريه الناس من حاجات منزلية يسيرة ينقلونها لهم الى مسافات قريبة بثمن ضئيل ، ولا يكون مع هؤلاء غير « علاليك » صغيرة لهذا القصد يضعون فيها المواد ثم يحملونها على رؤوسهم .. وأغلب هؤلاء من الصبيان ، ولم يكن صبيان بغداد قديماً يشتغلون في مثل هذه المهنة ..

ومن الحماميل طبقة خاصة هي طبقة اكراد العجم الذين يمارسون نقل الحديد وحمل المواد الضخمة على ظهورهم دون تكلف .. وأغلب عمل هؤلاء في المتاجر والخانات ونحوها ..

ومن أصناف الحماميل جماعة الجِيايلة وقد مرّ الكلام عليهم .

وقد يستغلّ بعض الحمالين شدة الامطار وفيضان الماء في الطرقات والشوارع ، فيحمل الناس على ظهره ليعبر بهم من رصيف الى آخر أو يجتاز بهم الماء الذي يغمر الارض فلا تبتل أنعلهم وأحذيتهم ، وينفحه كل عابر بهذه الطريقة شيئاً من نقد ، فلا يغيض الماء حتى يكون اولئك الحمالون قد انتفعوا بقدر من النقود خلال ذلك ..

◆ الكْفاف ••

الكْفاف جمع كُفَّة ، وهي من الوسائط النهرية التي كانت شائعة الاستعمال في بغداد ، حيث كانت تنقل بهـا الأحمال والثمار والحَصُو ومختلف المواد ••

وهي عبارة عن شكل دائري عميق يصنع مبدئياً من الحَلْفة ، ثم يخرز بالخيوط ثم يضعون لها رْواطات وهي أغصان رفيعة كالسيور من أشجار الرمان ونحوه ، فيخيطونها في مواقع معينة من الكُفّة لتكون بمثابة أضلاع لها ثم يقيّرونها بالقير الأسود بعد خلطه بمادة تمنع سيلانه ، وعند تقير الكّفة يستعملون الشَيَكْ يدهنونه بالشَيرَج ليمشي على الكِير ـ أي القير ـ فيحسن توزيعه على جوانب الكفّة بطريقة دقيقة •• فاذا تمّ صنع الكفّة أنزلوها في المـاء وذلك بأن يميلوها عـلى جانبهـا بواسطة القَواليز ـ والقواليز جمع قالوز وهو خشبة تستعمل كالعتلة ـ ••

وكان يبلغ ثمن الكفّة الألف رُبِيَّة في بعض الأحيـان وهو مبلـغ لايستهان به يومذاك ••

والكُفَفْ أنواع من حيث الحجم فمنها نوع يقال له « الكَشِرْ » وهذه تتسع لشخصين أو ثلاثة ، ثم الكُفَّة العاديّة التي تتسع لأكثر من ذلك •• ومن القفف نوع يقال له « الحَصْانْ » ويحمل من الحنطة نحو الطْغارين كما تتسع لحمل ثلاثة خيول اذ تكون مساحة قاعها خمسة أمتار في أربعة ، أما ثخنها فيبلغ فوق الشبر ••

وقد انقرضت صناعة الكفف في بغداد اذ انعدمت الحاجة اليها ••

ويقال لصانعها « كَفّاف » أما المشتغل بسياقتها فهو « الكَفّجي » ؛ ويكون معه مَرْدي طويل ..

وكانت تستعمل الكفف كذلك في صيد السمك بالحذّافة ..

والكفف من الوسائط التي لاتتعرض للغرق الا اذا جاوزت حمولتها الحدّ الذي يمكنها احتماله ..

◆ السُوّاقْ والسَكَنيّة ..

السوّاق : جمع سايق وسائق وهو من يقود السيارة ويقال له أيضا دْرَيوِلْ ودْرايْبَرْ ودْرايْفَرْ .. والسكنية : جمع سَكِنْ وهو من يعاون السائق في بعض أعماله ويقوم بتنظيف السيارات وخدمة الركاب وغير ذلك ..

والسوّاق أنواع منهم من يشتغل بسياقة سيارات الأجرة التي تنقل النَفَرات وسيارات التكْسي والسيارات الخصوصية ، ويكون لهؤلاء راتب شهري يتقاضونه من أصحاب هذه السيارات ..

وهنـــاك سواق يشتغلون مستخدمين في دوائـــر الحكومة يسوقون سياراتها خلال الدوام الرسمي .. ومن هذا الصنف سواق سيارات مصلحة نقل الركاب المعروفة بين الناس بسيارات الأمانة ..

◆ المْجارِيّة ..

جمع « مْجاري » وهو من تكون معه الدواب يكريها للمسافرين ..



وفي بغداد محلة لاتزال تحمل اسم محلة « المچاريّة » ، ويبدو أن هذه المنطقة كانت أماكن لهم ولدوابهم .. وهي اليوم مساكن للناس ، وليس بها مايشير الى هذا المعنى من قريب ولا بعيد كما أن مهنة المچارية انقرضت ولا أثر لها اليوم ..

وقولهم چارىَ يچاري أي تعاطى هذه المهنة ..

وربما اطلقت لفظة المچاري على من ينقل التراب والحجارة على ظهور الحمير ،، وتعتبر هذه المهنة من المهن الخسيسة ..



الغزل والنسيج والأقمشة وملحقاتها ..

◆ الأوتجي ..

هو المتهن مهنة تسوية الملابس وتنسيقها من قوط وثياب وزبنات ونحوها ، حين تغسل فتتجعد ، فيقوم الأوتجي بتمسيدها ومسحها وطيّ ماينبغي أن يطوى منها وذلك بآلة يقال لها « أوتي » ، ويطلق عليها المحدثون لفظ المكواة .. ويقال لصاحب هذه الصناعة « المكْوي » و « المكَوي » و « المُكَوّي » ..

وآلة الأوتي عبارة عن علبة حديدية لها غطاء حديدي ويكون مقبضها في أصل غطائها ولها قاعدة ثخينة ثقيلة ملساء ، فاذا أرادوا استعمالها وضعوا في جوفها فحماً فأشعلوه فتحمى قاعدة الأوتي لتصنع صنعها في تعديل الألبسة وصقلها ..

وفي هذه الأيام شاع استعمال الأوتيات الكهربائية في البيوت ولـــدى بعض الأوتچية ، وهي لاتختلف شيئاً عن الأوتي الذي يحمى بالفحم الا من ناحية أن الأوتي الكهربائي لاتجويف له وانما هو عبارة عن كتلة من الحديد ثقيلة ملساء القاعدة ..

وكان الأوتچية يستخدمون « النِشَا » قديماً في صقل اليـاخات اذ يغمسون اليــاخة في منقوع النشا ، ثم يمرون عليهـــا بالأوتي فتصلب وتْـعَـظُـمْ .. وقلّما يحتاجون الى مثل ذلك اليوم ، لأنّ الناس لم تعـد تنشّي الياخات ، كما أن أغلب الثياب المصنوعة تتخذ لها ياخات من طراز خاص يتماسك على نفسه بعد أن يجف من الغسل فلا يكوى ولا ينَشّى وبعض الثياب تكون من النايلون فلا يصلح لها الكي بالمكواة اذ انها تحترق اذا لامست النار ..

ويقال للياخة أيضاً « قَـوْلـَة » بتفخيم اللام ..

ومما يحتــاجه الأوتچي لصناعته قنينة فيها ماء ويتركب على فوهـة القنينة منفاخ صغير يجرّ به الماء من القنينة فيرشّه رذاذاً على القماش المطلوب كـيّـه أي ضربه أوتي .. وكثير من الأوتچية يستعملون أفواههم في ذلك ، حيث يسحب أحدهم المـاء بفمه ثم يرشّه رشّاً على الثوب ونحوه فيتلّ بالشكل المطلوب ، ثم يمرّ عليه بالأوتي أي يكويه كما يقولون ..

وشـاع في هذه الأيام نوع من أنواع الأوتيّات تشـتغل أوتوماتيكياً ويستعان فيها بالبخار ، وقوام هذه مكائن منصوبة يديرها عامل خاص ..

وقد اتسع نطاق هذه المهنـــة فأصبحت تؤدي خدمات مهمة بالنسبة لأصحاب الملابس ، الذين يحتاجون الى من يغسل لهم ملابسهم ، ثم يكويها بالأوتي ويعيد اليها رونقها وجدّتها ..

ومن أنواع الأوتيـــات ما يتعلق بالفيِـْاني والسِـدْايِـرْ حيث كان يمتهن مهنة غسلها وتنظيفها و « ضربها أوتي » جماعة اليهود والأرمن ، وكانت لليهود سوق في عَكْد السـعِـدْ لهذه الغاية يوم كانت الطرابيش أي الفيِـْاني شعار الرأس لكثيرين من الناس ..

أما السداير فقـــد قَلَّ لابسوها ـ اليوم ـ كل القِلّة اذ أصبحت جماعة الشباب وغيرهم من الموظفين يخرجون حاسري الرؤوس .. وأما من يلبس الطرابيش اليوم فقليلون وهناك عدد يسير جداً من الذين يمتهنون مهنة غسل الطرابيش وكيّها ، منهم أحد الأرمن في سوق السراي ، ويقال لمن يعمل ذلك « قْالَبْچي » أخذاً من كونه يضـع الفينـة في قالب معـدني موجود ضمن آلة خاصة ، لها ضواغط لولبية ، ويضع تحت القالب موقداً نفطياً يقال له « پْرَيمِزْ » فاذا سخن القالب وضعت عليه الفينة ولبّست به تلبيساً ثم ركبوا عليها وهي في القالب قالباً آخر تغطى به ، وكلا القالبـين اسطواني فيتراكب القالبان حيث تنضغط الفينة فتأخذ الشكل المطلوب الذي يتناسب ورأس لابسها ..

◆ صْبابيغ الأقمشة ..

وهي مهنة يقوم أصحابها بصبغ الخام ورَصّات الغزل والفُوَطْ

الحريرية والصوفية ، باللون الأسود والنيلي والأحمر •• ولهم حوانيت في معظم الأسواق الشعبية الكبيرة في الكرخ وفي الرصافة ••

وكانت في بغداد محلة يقال لها « صَبْابيغ الآلْ »(*) تقع على مقربة من سوق القاطرخانة وقد سميت بهذه التسمية اذ كان فيها عدد من ممتهني صباغة الملابس والخام باللون الأحمر •• ويسمى الخام المصبوغ بالأحمر « خام عوفي » ••

وكانت تنشط سوق القوم قبيل « عاشور » أي المحرم حيث يلبس كثير من النساء والرجال والصبيان الملابس السود بمناسبة حادثة كربلاء ؛

أما الصبيان والأطفال فانّ ذويهم ينذرون أن يلبسوهم السواد في هذه المناسبة ••

وكذلك جرت العادة أن تلبس النساء السواد خلال أيام السنة حداداً على من يموت لهن من عزيز وقريب ••

وفي حوانيت الصبّاغين ترى عدّة حباب ضخمة منصوبة هناك وهي ملأى بالصبغ •• ويستفيد الصباغون بصورة اعتيادية من جدران الطريق المجاورة لحوانيتهم فيشرّون على هـــذه الجدران ما يصبغون من الأقمشة لتجفّ على ضوء الشمس والهواء ••

ودائماً ترى أيدي الصباغين هؤلاء وقد زال لون بشرتها الطبيعي فغدت وكأنها جزء من صبغ النيل ، وذلك لكثرة مواقعتهم تلك الأصباغ وغمس أيديهم في أخنابها وحبابها ••

(*) الآل بتفخيم اللام .

وفي الأيام الأخيرة بدأ بعض ممتهني هذه الصناعة يستعملون في أيديهم كفوف اللاَسْتيك عند القيام بعمل الصباغة ، تحاشياً من أن تتأذى أيديهم بالصبغ فتسودّ أو يكون لونها لون النيل الأزرق ..

◆ الحِيّاج ..

جمع حايج ، وهو الحائك الذي يحوك مختلف الأقمشة الصوفية والحريرية وكانت هذه الصناعة رائجة في بغداد حتى أوائل هذا القرن .. وقد ذكر « تكسيرا » وهو رحالة برتغالي زار بغداد أوائل القرن السابع عشر ان في باب بغداد يومذاك أربعة آلاف نول للحياكة ..

وكانت تحاك الأزر في باب الشيخ من الحرير ، كما أن الأعظمية كانت من محال الحياج المشهورة ..

وعدد الحياج اليوم في بغداد نزر يسير ، اذ حلت المكائن الضخمة محل اليد والآلة البدائية فأصبحت تنتج شتى أنواع الأقمشة والخام ..

وقد عرفت في أسماء الأقمشة والمنسوجات البغدادية القديمة مفردات كثيرة أصبحت غريبة على الأسماع الحديثة .. ومنها لفظة « قَدَغْ » و « بيلدار » و « عزيزي » و « شياق » و « مَرْمَري » ..

◆ حياكة الجواريب الصوفية

من الصناعات التي يختصّ بها بعض النسوة ، حياكة الجوارب

الصوفية الشتائية حيث يغزلن الصوف العادي المتروك غزلاً خشناً ثم يقمن بحياكته باليـــد .. ويكون الجورب المحبوك ثخيناً غليظ الخيوط ولذلك لايستعمل الا في الشتاء القارس ..

وكثيراً ما يرى الرائي بائعات الجوارب هؤلاء جالسات على الأرض في مداخل الشـَّوْرْجة وغيرها من الأسواق ، وعند رقبة الجسر العَتيگ مما يلي سوق الصَرايْ في أيام الشتاء خاصة ..

وتحاك هذه الجوارب على نوعين من الحجوم ، النوع الكبير للرجال ، والنوع الصغير للأطفال والصبيان ..

وتكون ألوانها طبيعية فهي لاتتعدى ألوان الخراف الطبيعية من بياض وسواد وصهبة ..

وقد يَخِطْنَ بكعب الجورب قطعة من المِيشْ وهو الجلد الرقيق قصد تقوية الجورب وحمايته من التخرق وربما وضعوا جلدة أخرى عند جهة الأصابع للتقوية أيضاً ..

وهي على أي حال مهنة تتكسب بها بعض الأسر والعوائل الفقيرة ..

ومما كان يحاك من الصوف أيضاً « الچفوف » وهي الكفوف التي تكسى بهـا الأيدي اتقـــاء البرد أيام الشتاء ، وتكون من الصوف الأبيض الخشن ، ويلوّن أحياناً بخيوط مصبوغة بالحمرة وغيرها .. غير أن هذه كانت في الغالب تتخذ لتدفئة الصبيان .. وهي صناعة بدائية محدودة ..

◆ الحُبُصْجِيَّة ..

واحـــدهم « حُبُصْچِي » وهـــو من يصنع الحْبُاصُات – جمع حْبُاصَة – وهي حزامٌ يتحزم به على الزُبون أو الصاية ، ينسج من الابريسم وغيره بطريقة محكمة ؛ والأصل في الحياصة انها شيء مقبّب من فضة يركب على الحزام فيكون بمثابة البْزيم لشدّ الحزام وفكّه ، ولذلك يقال له « حزام أبو الحياصة » ثم اختصر اللفظ فقيل الحياصة ..

وكان هذا النوع من الحِزِمْ من ملابس أهل النعمة والرخاء ، كما كان حزام الحياصة أشبه شيء بالسلاح في يد الغلام ، فاذا أدركه الخطر حَلَّ حزامه وضرب به معتمداً فيه على الحياصة الفضية التي تكون ضربتها شديدة مؤذية ..

وكانت هذه الحِزِمْ تصنع في بغداد ولهـا سوق خاصـة وخياطون مخصوصون ، أما القطعة الفضية نفسها فانها من صنع الصاغة ..

وقد انقرضت الحياصات وحزمها من وقت بعيد وانقرض تبعاً لذلك من كان يشتغل فيها ..

والحياصـات أنواع منهـا الحياصـة البغـدادية ويكـون حزامهـا مرصعاً بالقطع الفضية الرائعة والحياصة الحلاوية وتكون مطرزة مزركشة .. وهناك حياصات مجردة من البزيم الفضي ..

◆ العباجيّة ..

هم باعة العبي وخياطوها ، ويقال لهم أيضاً « خْيْايِطْ عِبي » ..

ومن أعمالهم أن يخبنوا العباءة ويحرّروها ويشيرزوها[1] ، ويضعوا لها البلابل وينعاطوا بيعها وشراءها ..

وأشهر محلاتهم اليوم في السوق الكبير بين يدي باب المستنصرية ، حيث تمتد منطقتهم الى سوق الخفافين ..

وواحد العباچية عباچي ..

ومن أنواع العباءات التي يتعاطى العباچية بيعها ، المارينة والخاچيّة والدَوْرَهكيّة وأمّ الدَفّة والبَتّيّة وهي عباءة من صوف أبيض .. وتتخذ العباءات الشتائية من الأجواخ الفاخرة .. وبعضهم يخيط العباءة من قماش يختاره ..

وكل هذه العباءات رجالية ، وليس بينها شيء من عباءات النساء اذ لايتعاطى العباچية بيع النسائيات وانما تخاط العباءات النسائية لدى نساء يتخصصن بها في بيوتهن ..

◆ الخَيْاطَة والخَيْايِيطْ ..

الخياطة من الحرف الواسعة التي يتعاطاها كثير من المحترفين .. والخياطون أصناف وأنواع منهم من يخيطون الصايات والزِبْنْات[*] والخِرَقْ

(١) التحرير والشيرازة من مصطلحاتهم ، ويراد بالتحرير اتخاذ ريازة خاصة للعباءة تحيط بعنقها ، وأما الشيرازة فوضع قيطان رفيع على حواشي العباءة مما يلي العنق والصدر ..

(*) الصايات جمع صاية وهي من الملابس الصيفية .. والزبنات جمع زبون وهو من الملابس الشتائية ، ولا فرق بينه وبين الصاية سوى انه مبطن ببطانة ، والصاية لا بطانة لها ..

والدَميريّات والّلاطات والدشاديش .. ومنهم من يخيطون القوط ـ السِتَر والپنطرونات ـ واليلگات والپردمسونات ..

ومن أصناف الخياييط من يشتغلون في خياطة الثياب والبجامات ..

وهناك خياطات يشتغلن في خياطة قسم من الملابس والكساوى النسائية ؛ ويعتمد الخياطون في خياطة قسم من مخيطاتهم على النساء اللائي يقال لهن الأَيلچيّات ، واحدتهن أَيلچيّة ..

ويقال للخياط « أُسْطَة » وللخياطة « إسْتَة » وجمعها « إستْات » ..

ومما يتبع أعمال الخياطة بيع الملابس الجاهزة والملابس المستعملة المجلوبة من الخارج باللنگات ..

وأشهر أماكن هؤلاء في « سوق الهَرَج » بالميدان حيث استولوا على التكاكين التي كانت مأهولة قديماً بالتنكچيّة .. ومن أسواقهم سوق استحدثوه لهم تحت التكية .. ومنها سوق اتخذوه في هذه الأيام في بعض جهات الباب الشرجي .. ومن أسواقهم القديمة سوق الصَراي حذاء المستنصرية .. وكانت سوقهم قديماً يقال لها « الاسكچية » في باب الآغا ..

وأسواق الملابس المستعملة رائجة لرخص أثمانها ؛ وهناك باعة متجولون يحملون على أكتافهم جملة من القپّوطات والستَر ، يتجولون بها قصد بيعها وكثيراً ما يرى هؤلاء في مدخل سوق الشَوْرجَة ..

◆ خياطة الجُبَب

وهذه مهنة كان يختص بهـا أناس معدودون من أشهرهم رجل يهودي يقال له شَمْعون ، كان له دكان في شـارع المصبغة وكان يتخذ عمالاً وصناعاً من المسلمين ويقال انه اذا علم أن بعضهم في سبيله الى اتقان الصنعة فصله من العمل ..

وكان غالب علماء بغداد يراجعونه في خياطة جببهم .. واليوم يتعاطى هذه الصناعة قلة من الخياطين المسلمين في الكاظمية وبغداد ..

وكانت طريقته في خياطة الجبب هي الطريقـة الاصطَمْبُلِيَّة التي حلـت محـل الجبب البغـدادية القديمـة التي كـانت تمتـاز بأنهـا فضفاضة واسعة وممن كان يحسن صناعتها ـ أي الجبب البغدادية القديمة ـ الحاج صادق الصندوق ..

◆ الرُ وُ اوِ يفْ ..

جمع رَوّاف وهو الذي يصلح ما يكون في الملابس من خـروق وشقوق بطريقة خاصة ، بحيث يبدو ما أصلحه منها مشابهاً للقماش نفسه .. فهو يستل بعض الخيوط من ذات القماش ثم يعـالج حياكتهـا ودسّها في جوانب الخَرْق وأطرافه ؛ وهنـاك بين الرواويف من يروف البُسُطْ والزوالي ..

وأصحاب هذه المهنة غالباً ما تكون حوانيتهم في الأسواق التي يكثر فيها الخياطون ..

وهي مهنة وصناعة لايحتاج صاحبها لأكثر من ابرة ومقصّ ، ولكن الناظر الى دكاكينهم يجد فيها الأكداس المكدسة من الخرق ووشائع الخيوط والملابس المطلوب روفها ، وقد يملأون الدكان بملابس متروكة من أجل أن يوهموا المارّ من هناك بأن صاحب هذه الصنعة مقصود من كل جانب..

واسم هذه المهنة « الرّوافة » وقد يقال لها أيضا « الرّيافة » ..

◆ القَزّازة ..

هم الذين يشتغلون في القزّ والحرير ، ولهم جانب خاص من السوق المعروفة في بغداد بـ « سوگ الچِبير » .. وتباع لدى القزاز بلابل الحرير التي تستعمل للعبي وكراكيش السِبَح وغير ذلك .. وما يباع من طاقات الحرير يباع بالوزن والمثاقيل ..

ويقال لسوقهم سوق القزّازين ..

وفي بغداد محلة يقال لها محلة القَزّازة زال معظمها حيث شقّ منها شارع فسيح ، وكان فيها مسجد جامع يقال له جامع القزازة هدم أيضاً بهذه المناسبة وكان آخر تجديد له سنة ١١٨٣هـ .. وكان حاكة الحرير هناك يومئـذ ..

ولكن الاسم الشعبي للقزّ عندهم هو « الجَزّْ » بالزاي واليه تنسب الجَزّيّات ـ جمع جَزّيّة ـ وهي كوفية من الحرير تلبس عليها العُگُل أو يعتمر بها ..

وهم يبيعون الجِكَّيات الحريرية وهي رصات خيوط الحرير وتصنع منها الحُيُص والهميانات ..

◆ النَدّاف ..

وجمعه نْداديف .. وهو الحلاّج ، وقد جاءت التسمية من ندف القطن وهو الضرب عليه بآلة ذات وتر غليظ يقرعه بأداة خشبية غليظة يقال لها « الجُكّ » فاذا تناول النداف كمية من القطن القديم المتلبد فندفها عادت منفوشة طرية نظيفة[١] ..

ومن أعمال النداديف خياطة الفرش ـ أي الدُواشك ـ والمَنادر والمْخاديد واللِحِف ـ جمع لْحاف ويجمع اللحاف أيضاً على لِحْفان ولْحافات ـ وللنداديف تكاكين يقيمون فيها ومنهم من يتجول ومعه الكَوْز والعَصا ، ينادي على مهمته فاذا دعي الى بيت لاِصْلاح فرشه القديمة ، أُصْعِدَ الى سطح الدار أو ترك في ساحة من ساحاتها اذا كان البيت واسعاً ، وألقيت بين يديه الفرش واللحف فأخذ يفتقها ويخرج قطنها فيندفه ويعيد اليه جدّته وطراوته ، ثم يخيطه بقماش جديد يشتريه هو لأهل الدار بعد الاتفاق على الأسعار والتكاليف فيلبث أحياناً اليوم

(١) في الكنايات البغدادية « مثل چك النداف » يريدون بذلك وصف الرجل بالقصر ..

واليومين وهو يعمل في بيتهم حتى ينجز لهم حاجتهم ، ثم يتناول على ذلك أجره المتفق عليه ..

ومن أدوات النداف قطعة شمع مغلفة بخرقة مخيطة عليها ـ يقال لها مُخَدَّة أُبَر ـ يستعملها في غرز إبَره ومُخَايِطه وتكون معه وشائع من خيط القطن الغليظ والعصا التي يضرب بها على القطن والفرش المخيطة، كأنه يستعين بها على تعديل القطن وتوزيعه وتسوية الفرش التي تتم خياطتها ..

والمشهور عن جماعة الندافين انهم يلاحقهم الفقر مدى الحياة ولذلك جاء في مثل بغدادي قولهم « حُكَم الفُكُر وسِكَر النَدّاف » يضرب لمن يتشهّى شيئاً ليس مما ينبغي لمثله أن يتطاول اليه ويطمع فيه ..

ومن أشهر أماكن الندافين اليوم سوق الغَزِل حيث يباع هناك القطن أيضاً في بالات كبيرة ..

وهناك مصطلحات عديدة لهذه الحرفة وما يتصل بها من أشياء الناس وأفرشتهم من نحو لفظة « الصُرَّة » لما يتخذ لظاهر اللحاف من قطعة حريرية مربعة تكون وجهاً له جميلاً ، وغالباً ما تؤطر بجَرْجَف من الخام الأبيض اذا كان أصحابه من المتمكنين ، أما أصل اللحاف الذي يلبس على القطن فانه يكون من « خام الشام » .. ومن ألفاظهم لفظة «البِسْمار» والمراد به طُعْنَة" من الخيط تعقد في أماكن متباعدة من الفراش تحفظ توزيع القطن في بطن الفراش فلا يتداخل ويتعقد ، ومن ألفاظهم «الشَلْتَة»

ويراد بها كيس من خام الشام يعبأ بالقطن فيكون ذلك هو أصل الفراش ، ولابدّ لتغليفه بعد ذلك بقماش من الجيت أو من الكتّان وغير ذلك يقال له « الوِجِه » ..

وما يوضع على حاشية المخدة من الحرير والجيناوي يقال له « راسْ » ..

وصناعة اللحف البغدادية تعد من الصناعات الجميلة فانّ كثيراً من الندافين ينقشون على صُرَر الألحفة نقوشاً وصوراً يرسمونها بطريقة التقطيع الخيطي فتجيء آية في الابداع ..

ورغم ان اللحف باتت مهددة بالزوال من جراء اعتياد الناس في الأيام الأخيرة استعمال البطاطين ـ جمع بَطّانِيَّة ويأتي الجمع كذلك على بَطّانِيّاتْ ـ فانّ هناك من لا يزال يحرص على اللحف ولا يتدثر الاّ بها ..

◆ البَصّامة ..

جمع بَصّامْ وصنعتهم البَصْمْ والبْصامَة .. وكانت هذه الصناعة ـ وهي كذلك مما يعدّ في جملة المهن ـ شائعة ومعروفة في بغداد ولأصحابها وممتهنيها دكاكينهم في مختلف الأسواق البغدادية وكان فيهم المسلمون واليهود ..

والبْصامة مما يحتاج لها نساء القوم ورجالهم أحياناً ، وذاك أن النساء

كن يأخذن الخام الأبيض الى البصام فيصم عليه نقوشاً محفورة عنده على الخشب فتتخذ النساء من ذلك جُواتي لهنَّ أي عصائب يتعصبن بها - وهي جمع جتَايَة - •• كما يتخذن من ذلك بُقَجاً - جمع بُقْجَة - توضع فيها الملابس •• ويتخذن مما يبصم لهن صُرَر اللحفَان - واللِحفَان جمع لُحاف وهو ما يتغطّى به النائم - •• وكذلك يكون البصم على وِزْرات الحَمّام ••

وفي أيام الحرب العالمية الثانية اذ انقطع استيراد اليشاميغ من الخارج بدأ بعض الناس باستعادة مجد البَصّامة الذين كانوا قد زالوا من بغداد فأخذوا يبصمون على الخام بما يشبه حياكة اليشماغ سداً لحاجة الناس من لابسي اليشاميغ ••

وليس في بغداد اليوم بَصّام واحد ولكن عدداً قليلاً من البصّامة لايزال يتعاطى مهنته هذه في كربلاء وربما في مدن أخرى ••

ومن عُدَد القوم كلايش من أخشاب معينة - منها خشب العرموط - تحفر عليها رموز ونقوش لها أسماؤها التي تعرف بها(*) وتسمى الكليشة « جِبَّة » وهذه الكلايش تجلب من أصفهان ••

وتكون مع البصام أوعية خاصة يحتفظ فيها بمادة صابغة ذات لون

(*) من ذلك ما يقال له اليوم في كربلاء وردة وترچية وشدة ورد •• وفي كربلاء نوع من اصباغ البصم أحمر يتخذ لختم الاكفان خاصة •• وقد انتفعت ببعض مواد هذا الفصل من مراجعة السيد محمد بن سيد قاسم بن حسن البصام في كربلاء ، وهو بصام هناك لا يزال يتعاطى عمله •

أسود ، ويغطى وعاء الصبغ بقطعة من القماش يمتص من الصبغ ما يمتص حتى اذا شاء البصام أن يطبع بعض النقوش على الخام حبَّر الجِبَّة بوضعها على ذلك الغطاء المتشبع بالصبغ ثم يضعها على الخامة المطلوب بصمها بالشكل المراد والمقترح ..

ولكل بصام تزگاة يعمل عليها عمله ، وهي مصطبة خشبية تكون بين يديه وعليها جِبْنَة غليظة يوضع عليها القماش عند القيام ببصمه ..

أما صبغ البصم فيتألف من المواد التالية :

الوَرَق : وهو مادة صدفيةالشكل يضرب لونها الىالبياض والخضرة. فاذا تركت مدة طويلة اسودّ لونها وقلّ تأثيرها ..

مسحوق البوتاز .

الزرگة : وهي الزنجارة .

الشناذر ..

وهذه المواد الأربع يتألف منها الصبغ الأسود الذي يستعمل عادة في البصم .. ويشترط غسل الأقمشة المبصومة بالماء البارد ليثبت الصبغ ويزول الملح ولا يتخرق القماش وذلك خلال يومين من بصمها ..

وتكون لصبغة البصم نسبة مقررة وهي "ثُمْن" من البوتاز والزنجارة والشناذر ور"بْع" من الورق وتدق هذه الحاجات ما عدا البوتاز الذي يذاب بالماء وتنقع هذه الكمية ببُطْلين من الماء ويضاف الى ذلك ما يعادل ستة دراهم من الكثيرة المذوبة بالماء البارد ..

♦ خياطوا الجوادر ..

وهؤلاء يشتغلون بخياطة الجوادر والخيم والستائر والبردات وأغطية السيارات وغيرها بحجوم مختلفة من الجِتْري وهو قماش غليظ صفيق من القطن ، وكذلك يصنعون « الجْوادة » التي تحمل في السفر وفيها ماء الشرب ـ يقال لواحدها جود ـ وأشهر أماكنهم اليوم في شارع عكد الصَخَرْ المجاور للشورجة ..

♦ باعة الگواني ..

ولهؤلاء حوانيت معدودة لجمع الگواني وخزنها وبيعها وترقيع مايكون مخروقاً منها ، وكانت لهم سوق في القيصرية ..

والگواني : أكياس من الجوت تتخذ لتعبئة الحبوب من نحو الحنطة والشعير وغير ذلك ، أما الگواني العتيقة فانها تستعمل لأغراض البناء حيث ينقل بها الهَزّازة التراب والرمل ونحو ذلك ..

وربما استعملت الگواني بمثابة لباس يلبسه المجانين في المستشفيات الخاصة بهم ، والسبب في ذلك أن المجانين يخرقون ملابسهم ويمزقونها فلا مجال لتحاشي ذلك بغير اكسائهم بالگواني ..

الوراقة والتجليد والطبع والتصوير

◆ صناعة الحبر وأدوات الكتابة ..

كان الحبر يصنع محلياً من حثالة الورد الذي يتجمع بعد تقطير مائه فيضاف اليه شيء من قراضات الحديد الرقيقة من نحو « القَيدْ » وغــيره فتنقع كلها بالماء ثم تترك تحت الشمس مدة في حدود العشرين يوماً ..

وبذلك يصدأ الحديد ويزَنْجِرْ فيتفاعل مع حثالة الورد التي تتأكسد هي أيضاً ثم يصفّون ما يتحصل من ذلك فيكون لديهم منه حبر أسود صالح للكتابة(*) ..

(*) « ذكر الاستاذ خاشع الراوي أنهـم كانـوا يصنعون الحبـر في « راوة » بطريقة أخرى هي انهم يغلون الباقلاء اليابسة في قدر فيها ماء ، كثير فاذا لبثت الباقلاء في القدر الى حد النضج – وهي لا تنضج عادة الا بعد مرور وقت طويل عليها – وضعوا الماء في طشت أو طاسة وتركوه تحت الشمس بضعة أيام بعد أن يلقوا في ماء الباقلاء قطعا من الحديد ، فاذا غلظ الماء قليلا وضعوه في القناني واتخذوه حبرا للكتابة .. » .

وقد يتركون هذا الخليط تحت أشعة الشمس مدة أطول ، فيثخن وينعقد ، فاذا غمسوا فيه قصبة لَصِقَ عليها الحبر وألَّف فوقهـا قشرةً بلورية رقيقة تجفُّ بمجرد تعريضها للهواء ، فاذا نقروا القصبة نقراً خفيفاً سقطت قشرة الحبر من عليها ، فيجمعون هذه القشور ليدخروها للاستعمال فيما بعد •• ويسمّون هذا النوع من الحبر « حِبِر بَرّاق » ••

وهنـاك من كان يستعمل جواهر الأصباغ للـكتابة ، ثم عرف الحبر المسمى بالناجْوَرْدي وهو قطعٌ بلّورية تستورد من الخارج •• وبعد أن انتشرت أقلام البانْدان أصبحت الأحبار تستورد في قناني مختلفة الأشكال والنماذج والألوان •• ولم يعد أحد يعرف من صناعة الحبر المحلي شيئاً ••

وكان السحرة وكتّاب الأدعية يستعملون حبراً ملوناً يزعمون أنـه الزعفران ••

أما الأقلام فلم تكن غير القصب الرقيق يقطعونه على مقاييس الأقلام الاعتيادية فيبرونه ويقُطّونه على مقدار الحاجة فاذا شاؤا جعلوا رأس القلم ناعماً واذا شاؤا جعلوه عريضاً ••

وهذا القصب متفـاوت في الرقة والغلظ ، وهو مما ينبت في الأهوار العراقية ؛ ومنه ما يجلب من الهند ••

وقد تركت الناس الكتابة بأقلام القصب اللّهم الا جماعة الخطاطين فانهم ما يزالون يكتبون بهذه الأقلام ••

ومن أدوات الكتابة عندهم وعاءٌ نحاسي تكون فيه أنبوبة تودع فيها

أقلام القصب ، وفي طرف من هذا الوعاء دواة للحبر ، ويكون هذا الوعاء مستطيلاً يدسّه الكاتب في حزامه ويخرجه متى ما شاء ليكتب به ..

وكانت هذه الأوعيـة النحاسية تصنع في بغــداد ؛ وربما جلبت من الخارج ..

◆ الأَرْضَحالْچي ؛ العَرْضَحَلْچي ..

وهذه مهنة يتعاطاها أناس يتخيرون لهم أماكن على أبواب عدد من دوائر الدولة ودواوينها وفي المحاكم خاصة وعند مداخل البريد والطابو يتكسبون بما يكتبون للناس من عرائض وشكاوى وبرقيات ورسائل ، اذ يستعين بهم الأميون من النساء والرجال ..

وأصل اللفظ من « عرض حال » وهي ألفاظ عربية مركبـة تركيباً تركيــاً ، وكانوا قــديماً يلفظون اللفظة برطــانة تركيــة اذ يقولون « أرْزَحَلْچي » ..

وقد تطورت هذه المهنة فأصبح عدد من الأَرْضَحَلْچِيَّة يستعملون الآلة الكاتبة فيطبعون ما يملى عليهم من عرائض واستدعاءات وشكاوى ولوائح، وكذلك يشتغلون في استنساخ مايطلب اليهم استنساخه من الوثائق والأوراق واللوائح ، ومن هؤلاء من يعمل في ساحات المحاكم وغيرها ومنهم من اتخذ له مكتبا يدير فيه عمله هذا ..

والغــالب على جماعة العَرْضَحَلْچِيَّة انهم أنصاف متعلمين وان

لغتهم ضعيفة ولهم بمقتضى ذلك مصطلحات وتعابير محدودة اعتادوا استعمالها في كتابة الرسائل ونحوها ••

غير أن بعضهم يمتاز بالالمام بالقوانين والأصـــول الشـرعية ودخائل المعاملات بحيث ينتفع مراجعوه من معلوماته وارشاداته فكان لهؤلاء دور في تنظيم امور الناس كدور المحامين في ذلك ••

وقد جاء ذكر العرضحالچية في كتاب تذكرة شعراء بغداد وكتـابها تأليف عبدالقادر الخطيبي الشهرباني ؛ وقد نشره العلامة الأب انستاس ماري الكرملي •• نفي ترجمة « علي افندي العرضحالچي نجل عبدالله » جاء قوله « ان هذا الرجل كان يكتب العَرْضَحُالاُتْ في باب السراي ، أصله ووطنه بغداد وكان فقيهاً وفرضياً وكان دوماً يقرّي علم الفرائض وكان فقير الحال ذو عيال وكان قليل الكلام قانع ليس مُعَجِّزْ وفي أواخر عمره قلّ نظره ماقدر يكتب فمكث في بيته مقدار سنة وتوفي في سنة ١٢٣٣هـ وكان عمره سبعين سنة رحمه الله تعالى » ••

◆ الحكّاكون ••

جمع َحكّاكْ وهو الذي يحترف حرفة حفر الامهار ـ جمع مُهُرْ ـ وهي الأختام النحاسية حيث يكتب عليهـا أسماء الأشخاص فتستعمل ختماً وتوقيعاً •• ومن أعمالهم أيضاً الحفر على الرخام المتخذ شواهد للقبور •• وكان من هؤلاء من يختصّ بالأختام فيقال له حَفّـارْ مْهـارَة ••

وحفّارة المهارة هؤلاء لا حوانيت لهم في الغالب وانما يقتعدون أماكن معينة في مداخل بعض الأسواق وعلى أبواب السراي ..

وكانت سوقهم رائجة أيام كانت الناس تعتمد على اتخاذ الأختام من أجل تفشّي الأمية وقلّة من يقرأ ويكتب يومذاك ..

وأدوات هؤلاء الجماعة بسيطة للغاية فهي لاتتعدى كمّاشة صغيرة من الخشب يستعملونها بمقام المَنْگَنَة يمسكون بها المهر المراد حفره ثم يبدأون بمناقير عندهم صغيرة فيحفرون حروف الاسم على المهر ثم يضعون تاريخ السنة الهجرية دون أن يكون لديهم تصميم منقوش ... وهم يحفرون الأسماء مقلوبة الحروف من أجل أن تجيء مستوية مقروءة عند الختم بها.. وغير واحد من هؤلاء الحفارين يشتغلون كذلك في خط الخطوط وكتابة عناوين أصحاب المصالح ..

◆ التجليد والصْحافة ..

صناعة تجليد الكتب مما كان يختصّ به بعض طلاب العلم في المساجد وكان أسلوبهم في ذلك بدائيا بسيطا ، حيث يعتمدون على منگنة صغيرة من الخشب يضغطون بها على مجموعة الصحائف والأوراق المطلوب ضمها الى كتاب واحد وتجليدها ثم يعمدون الى شدّها من مواقع معينة بجلدة يخيطونها على تلك الأوراق ثم يواصلون عملهم على تلك الوتيرة حتى اذا ثبتوا أصول الكتاب أضافوا اليه دفتيـن من الورق المقوّى ثم اتخذوا لذلك غلافاً من

الميش الأحمر •• وكان من أهم أدواتهم المخارز والمخايط والمبارد يبردون بها حواشي الصحائف بعد الفراغ من تجليدها لتظهر مصقولة متساوية اذ لم تكن لديهم مكائن للقصّ ••

وغالباً ما يكون الكتاب بهذه الطريقة من التجليد ثخيناً ثقيلاً غير أنه لابدّ أن يكون حصيفاً متيناً لايتمزق غلافه ولا ينزع عن أوراقه بسهولة ••

وكان أئمة المساجد ومدرسوا العلوم الفقهية كثيراً ما يضربون طلابهم بالكتب على أمّ رؤوسهم فتؤذيهم تلك الضربات دون أن يتخرق الكتاب أو يعرض له شيء من التلف ••

وقد تطور التجليد في أيام الناس هذه فأصبحت له أساليب وأنماط لطيفة بديعة •• ومن المصطلحات الحديثة لدى الصحاحيف ـ جمع صحّاف ـ وهم المجلدون قولهم « مْشَمَّعْ لَفّْ » وهو ما غلفت دفتاه وقاعدته بالمشمّع •• و « كَعَبْ جِلِدْ » وهو ما اتخذت له قاعدة من الجلد • و « التذهيب » وهو كتابة عنوان الكتاب واسم صاحبه أي مالكه ومقتنيه بماء الذهب ••

وكان اليهود يحتكرون ـ تقريباً ـ تجليد الدفاتر التجارية والمدرسية ، فهم يستوردون الورق فيخططونه ثم يقطعونه وفق المقاييس المطلوبة فيتخذون منه الدفاتر مغلفة بأغلفة مناسبة ••

ومما يلحق بصناعة التجليد « الشيرازة » وهي قيطان من البريسم وغيره يحاك على طرفي الكتاب مما يلي جلدته التي تضمّ أصول الأوراق ••

وهم يتخذون ذلك حلية للكتاب وتقوية له وانما يكون ذلك عند الطلب وليس في جميع الكتب المجلدة ..

ويغلب وجود الصحافين في شارع الأكمكخانة الذي يقال له اليوم شارع المتنبي حيث تقوم لهم هناك مجموعة متقاربة من الحوانيت ..

◆ الخطاطون ..

من الحرف المعروفة في بغداد حرفة الخطّاطين ، ويقوم عملهم على كتابة الآيات والأدعية وبعض الحكم الشعرية يخطّونها بخطّ جميل فيبيعونها لمن يشتريها فيعلقها في اطار على جدار حانوته أو غرفته .. كما ان هؤلاء الخطاطين يكتبون عناوين بعض المساجد التي تبنى أو يجدد تعميرها ، حيث جرت العادة على كتابة آيات قرآنية على باب الجامع مع شيء من الشعر المقول في امتداح بانيه وذكر تاريخ الفراغ من البناء ..

والمساجد البغدادية مشحونة مأهولة بالخطوط الفخمة النفيسة التي كتبها خطاطوا بغداد في مختلف الأجيال ..

ومما يكتبه الخطاطون شواهد القبور وهي رخامات توضع على قبر الميت يذكر فيها اسمه وتاريخ وفاته بالهجرية مع شيء من ألفاظ التوجع له والدعاء بالرحمة والغفران .. ومنهم من يضع أبياتاً شعرية رقيقة مشجية ..

وكان بعض الخطاطين يتعاطون استنساخ المخطوطات يستأجرهم لذلك هواة الكتب ومؤلفوها أحياناً ..

ولم يكن قد شاع بين أصحاب المتاجر كتابة عناوين متاجرهم الآن في وقت متأخر فأصبح ذلك من الموارد الحسنة لجماعة الخطاطين ..

وحين ظهرت الطباعة وبدأت مطابع بغداد تصدر الصحف والجرائد والكتب بدأ الخطاطون يكتبون أسماء الكتب وعناوين المؤلفات وغير ذلك من عناوين المقالات التي تصنع لها كلايش خاصة ..

وكان من أشهر خطاطي بغداد في أوائل هذا الجيل صابر الخطـاط وأصل اسمه الملا علي وجلال الخطاط ، وملا علي دروش وغيرهم .. وممن لمع اسمه من خطاطي بغداد صبري الپَـهْلوان ، وأشهر خطاطي بغداد اليوم هاشم محمد الخطاط البغدادي فاليه ترجع رئاسة الخط في بغداد في أيامنا هذه ..

◆ باعة الصحف والكتب ..

هناك جماعة من متعاطي بيع الكتب والجرائد والمجلات ، يتخذون لهم أماكن على أرصفة الشوارع ينثرون عليها الكتب والمجلات التي تزوّدهم بها المكتبات الكبرى ودور النشر والتوزيع ، ويكون لهم على كل شيء يبيعونه مبلغٌ مقرر .. فاذا أقبل الليل جمعوا كتبهم وذهبوا بها الى بيوتهم ؛ ليعودوا أول الصباح ..

وغالب هؤلاء الباعة هم من جماعة الشروگية الذين نزحوا الى بغداد من الجنوب فأقاموا فيها أو ولدوا فيها ..

على أن هناك عدداً من المكتبات التي تعنى ببيع الكتب يجتمع كثير منها في شارع المتنبي وكانوا قبل ذلك يقيمون في سوق السراي ..

◆ المصوّرون ..

وهذه حرفة يحترفها ذووها وكانوا قديماً يتجولون في الطرقات وهم ينادون على حرفتهم ، فيقبل عليهم من يودّ أن يأخذ لنفسه صورة وحينذاك يقف عند الجدار وقد وضع الرسام قطعة قماش سوداء على الحائط ، ويأخذ المصور بتعديل قيافة الجالس لأخذ صورته وقد يكون واقفاً ، ويدسّ المصور رأسه في كيس من الخام الأسود ملتصق بصندوق التصوير مدة من الوقت ، ثم تبدأ مرحلة غسل « الجامة » وبعد ذلك يطبع منها الصورة المطلوبة ..

وكانوا يسمون الصورة رَسِمْ وعكِسْ(*) وتصوير وغير ذلك ..

وكثير من هؤلاء المصورين يتعاطون عملهم في أماكن يتخذونها عند دوائر السفر والجنسية والاقامة وغيرها فاذا انتهى الدوام الرسمي جمعوا أدواتهم وحملوها الى بيوتهم ..

غير أن حرفة التصوير أصبحت من الحرف ذات الشأن بالنسبة لكثير من الأوساط ، فاتخذت لها الاستوديوهات الراقية المشهورة ..

وظهرت طبقة من المصورين تلتقط الصور للناس في الحدائق والشوارع والحفلات بطريقة عاجلة خاطفة وذلك بآلات دقيقة حديثة ..

(*) أخذ رسمه ، ومثلها أخذ عكسه أي صوره ..

وهناك أناسٌ قليلون يصوّرون بعض المناظر من نحو المآذن والمزارع والأسواق بأيديهم فيبيعونها لمن يودّ تعليقها في بيتـه أو حانوته وغالب هذه الصور بدائية ساذجة ، ولا يعدّ أصحابها من أهل الفن في شيء غير أنهم يتكسبون بذلك على كل حال ، ومنهم من يتخذ له حانوتاً يعمل فيه ويبيع صوره هذه ..

على أن أهل الفن من صانعي الصور الزيتية النفيسة وغيرها كثيرون ولكنهم لا يعدّون في أهل الحرف لأنهم لايتخذون من ذلك حرفة للتكسب والارتزاق ..

◆ كُتّاب الأَدْعية والحُجُبْ والسِحر ..

هناك عددٌ يسير من الدراويش يتعاطون كتابة الأدعية ويقرأون الرقى، يستدعيهم من نساء العامة من يستدعيهم لقاء أجور ومكافآت ..

وهناك من يتخذ له مكتباً يعالج فيه مرضى النساء والأطفال بطريقـة الأدعية والتبخير وكتابة أوراقٍ بالزعفران ، ثم يطلب من مراجعيه أن يضعوا الورقة في كأس فيه ماء فاذا ذاب الحبر شرب المريض ذلك الماء ، أو يطلب الى مراجعيه أن يحرقوا الورقة بالنار مع شيء من البخور يعيّن نوعه لهم ..

وأغلب هؤلاء المرضـى على ما يقول « المُلاّ » كانوا قد فَزَعُوا على البَلُّوعْ ، أو أنهم سُحِروا ببعض أنواع السحر الذي ينبغي أن يؤتى له بسحرٍ أقوى منه ليبطله ويزيل أثره ..

ومن مشاهير هؤلاء رجلٌ يقال له « اِبنْ مُلاَّ جَوادْ » كان له محلٌ أو عيادة ـ بالمعنى الصحيح ـ في زقاق من أزقة شارع الأكمكخانة ، وهو اليوم في المشاهدة بالكرخ يتعاطى عمله في بيته وقد التمَّ على بابه العددُ العديد من النساء ..

وربما كان من بين مراجعيه من يشكو من مرض راجع من جرائه الدكاترة والأطباء ، فلما عجزوا عن معالجته أخذ يتردد على ابن ملا جواد وغيره ..

وفي بغداد أسرٌ دينية تتعاطى مثل هذه المعالجات فيراجعها من يكون له قريب قد أصيب بالجنون وغيره ، ومن أشهر هذه الأسر « بيت مُلاَّ كَمر » في محلة السور والعزّة .. وكان من أشهر هذه البيوت « بيت ابن القُدْسي » وقد كان بعض أبناء هذه الأسرة يتعاطى عمله في جامع الأحمدية بالميدان ، اذ تراجعه النساء وغيرهن فيكتب لهذه ويقرأ على رأس هذه ..

ومن المشهورين بهذا الاختصاص أيضاً « ابن أبو السعِيدْ » وكان اضافة الى الأدعية والتعاويذ والحجب التي يكتبها يفسر للنساء والرجال أحلامهم .. وكان يتعاطى عمله في مسجد « أبو السعِيدْ » بالكرخ ..

وغالب هؤلاء القوم من المتصوفة وفيهم من يلي امامة بعض المساجد ..

وهناك بعض الصابئة والمسلمين يتخذون لهم حانوتاً لتعاطي حرفتهم هذه ..

المهن التي تعتمد على الزراعة ..

◆ اللواكيح ..

جمع لاگوح وهو من يعمل في تلقيح النخيل وتزبيرها وتكريبها فاذا تمّ ذلك وكبرت عثوق النخل جاء فقام بمهمة التركيز وهي تثبيت العثوق بطريقة خاصة على أصول السعف ..

ويحمل اللاگوح معه مادة التلقيح وهي گوش الفَحَلْ .. وهو يصعد النخلة بالتِبَلْيَة ومعه زَنْبِيلْ ومِنْجَلْ .. واللواگيح عادة من أهالي الكرادة ، وهم الذين يسكنون ضواحي بغداد يوم كانت تلك الضواحي عبارة عن بساتين ومزارع وكْرود ..

وكانت في كثير من بيوت بغداد ومساجدها نخيل يتردد عليها جماعة

اللواكيح للقيام بمهمتهم هذه لقاء أجور بسيطة •• وربما جاؤا في أيام جني التمر فصعدوا النخل وأنزلوا منه لأصحابه ما يكون قد بلغ النضج ••

◆ الزَوْزَوْچِيَّة ••

جمع زوزوچي وهو بائع الزَوْزَوَاتْ وهي الخضروات وأشهر تسمية لها عندهم « المْخَضَّرْ » و « المخَضَّرَاتْ » من نحو السْبِّيَنَاغْ والبـاقلاء والفاصولية والبَامْيَة والشِجَرْ والبَيتِنْجَانْ والأصل في التسمية انها من « سبز » في الفارسية •• ولا يزال من العـامة من يسمي الاسپناغ « سَبْزي » ••

والزوزوچية يتعاطون بيع الخضروات في أول الصباح حيث تخرج الناس الى التسوّق ، فلا يقبل الضحى حتى يكون البائع قد باع ما عنده •• والغالب على هؤلاء الباعة أن يتخذوا لهم من الأماكن المفتوحة في السوق أو الطرقات والساحات محلاً لعرض سلعهم وبيعها •• ومنهم من تكون لهم حوانيت خاصة في السوق يفتحونها في الصباح ، ويغلقونها فور الانتهاء من أعمالهم ••

وفي أيامنا هذه أصبحت الخضروات تباع أيضاً في مخازن كبيرة فتعرض للباعة ليلا ونهاراً ، ولا تزال الناس تسمي هؤلاء « بْگاگيل » •• وتلفظ اللفظة بتفخيم اللام ••

◆ العَلَوْچي ••

وجمعه عَلَوْچيَّة •• وهو المنسوب الى العَلْوَة واحدة العلاوي ••

ويلفظون العَلَوْجي بفتح اللام واسكان الواو . كما قالوا گَهَوْچي بفتح الهاء واسكان الواو في النسبة الى الگَهْوة على خلاف الأصل ..

أما العلوچي فهو الذي يجلب الحبوب من نحو الحنطة والتِّمَّن وغير ذلك فيجعلها في أهراء واسعة ثم يبيع منها للناس ..

وكذلك تطلق العَلْوَة على الخانات التي يؤتى اليها بمختلف المواد الغذائية فتباع فيها بالجملة ومن هذه العلاوي علوة السِمَچ في الكرخ حيث تباع هناك الأسماك ، وعلوة المخضّر في شارع الشيخ عمر وتباع في هذه العلوة شتى أصناف الخضروات .. وعلاوي التمر وتباع فيها حِلاّنات التمر .. التي تجلب من بعقوبة وغيرها فينادى عليها بالمزاد فيشتريها الباعة من أصحاب الحوانيت فينقلونها الى أسواقهم وحوانيتهم لبيعها هناك على المستهلكين ..

ومن أشهر العلاوي في الرصافة علاوي الشورجة وفي الكرخ علاوي الشيخ صندل(*) ..

ولأصحاب العلاوي تقاليد وأعراف ومصطلحات يلتزمونها كل التزام.. كما أن لهم رسوماً يتقاضونها من أصحاب السلع المجلوبة الى علاويهم ..

◆ العلاّفة .

واحدهم « عَلاّف » وهو الذي يبيع عَلَف الخيل والدواب والدواجن والطيور من نحو التبن والشعير والدُخُن والأذرة ـ وهذان من مآكل الطيور ـ والجَتّ والحَشيش ..

(*) في الكرخ حي كبير وسوق واسعة يطلق عليها اسم « علاوى الحلة » .

وكان لهم في الميدان أكثر من حانوت كما أن محلة الصابونجية سميت باسمهم .. اذ أن أصل لفظها « الصمانجية » أي باعة التبن وذلك نسبة الى الصمان الذي هو اسم التبن في التركية ..

وفي أغلب الأسواق يوجد لهم حانوت أو أكثر اذ كانوا محل حاجة الناس وذلك ان كثيراً من وجهاء بغداد كانوا يركبون الحمير التي يعنون بشرائها وتربيتها ومنهم من يركب الأفراس ، وكانت وسائل تنقلات المسافرين تعتمد على الدواب ..

وفي أيامنا الحاضرة قل جماعة العلافين ولم تبق لهم في الأسواق صولة ولا جولة ..

◆ الدنكچية ..

مهنة كانت معروفة في بغداد أيام العهد العثماني، وكانت حوانيت أصحاب هذه المهنة تقوم في الشارع المسمى اليوم بشارع المأمون وهو يمتد من ساحة « إمام طه » الى الجسر العتيگ .. وقد انقرضت منذ سنين ولم يبق لها أثر في هذه المنطقة ولا في غيرها ، ولكن بعض المدن العراقية في الشمال خاصة لا تزال تحتفظ بها ..

والدنكچية جمع دنكچي وهو المنسوب الى الدنگ .. أما الدنگ هذا فهو آلة تهبيش التمن ونحوه ، وذلك انهم يضعون التمن والحبوب المراد تهبيشها في حوض حجري ، وقد جاؤا بخشبة غليظة ربطوا بها حجراً ضخماً ، وركزوا الحجر على الحوض المذكور فاذا سحبوا الخشبة



علا الحجر ، فاذا أرسلوها هبط على ما في الحوض من تمَن ، فيتأتى من ثقله وشدة وقعه أن يتهشش التمن وتنزاح عنه قشرة الشِلْب التي عليه ..

◆ البَغْوَنْچي ..

هو البستاني الذي يشتغل في الحدائق يزرعها ويخدمها ويشرف على سقيها وتنظيمها ، واللفظة منسوبة الى « بَاغْ » في الفارسية بمعنى البستان و « بان » بمعنى حافظ وحارس و « چي » وهذه لفظة تركية يراد بها النسبة ..

وجمع البغونچي بَغْوَنْچِيّة ..

ويغلب أن يكون هؤلاء من أهالي الكرّادة يُستأجرون للخدمة في حدائق البيوت بأجر شهري فيترددون على تلك الحدائق في أوقات معينة ، وكثير من هؤلاء البغونچية يعملون في عدّة حدائق يوزعون عليها أوقاتهم .. ومنهم من يشتغل خلال أوقات الدوام في مشاتل البلدية وحدائق الشوارع ونحوها ، فاذا انتهى الدوام الرسمي انصرفوا الى العمل في حدائق البيوت..

غير أن معظم هؤلاء لايملكون ثقافة عصرية في مسائل البَسْتَنَة وانما ينتفعون في ذلك بمعلومات أصحاب الحدائق ممن يتابعون دراسة هذه الأمور والوقوف على ما يكتب ويؤلف فيها ..

◆ باعة التال والبيشات ..

وهؤلاء تكون لهم أماكن على أرصفة بعض الشوارع كشارع السموأل

مثلا يتخذونها في موسم الربيع يجلبون اليها التـال ـ جمع تالة ـ وبيشات الأشجار لبيعها على من يعنى بالتشجير وزراعة الحدائق •• ويبادر هؤلاء الى شراء الأشـجار والشتلات قبيل شباط وخلاله وهو موسم نشـاط بيع الأشجار ••

◆ باعة بذور الخضروات والأزهار ••

يتعاطى بعض الباعة بيع بذور الأزهار والأوراد والخضروات والأبصال حيث يتخذون لهم أماكن في الشوارع والمحلات البارزة يفرشون فيهـا على الأرض قطعة قماش ثم يضعون على هذا القماش مجاميع من البذور في أكياس صغيرة من الخام يصفّونها صفاً •• فيشتري منها هواة الحدائق والورد قدرا يسيرا في حدود الحاجة •• وبعض هذه البذور تستورد من الخارج في أكياس وأغلفة ورقية صغيرة ترى عليها صورة الورد الذي يستنبت منها ••

ومن أشهر الأماكن التي يتخذ فيها هؤلاء الباعة مواقعهم ، الأرصـفة القريبة من الشورجة وشارع السموأل والحيدرخانة وغيرها من الأماكن ••

الفخار وأعمال الطين

◆ صناعة الكيزان ..

أدرك البغداديون أنماطاً شتى من هذه الكيزان زال بعضها وانقرض ويوشك أن يعرض الزوال والانقراض لما هو موجود منها اليوم ..

تعتمد هذه الصناعة اعتماداً كبيراً على اليد ، وعلى قليـــل من الآلات البدائية البسيطة التي يستعان بها على تشذيب الـكيزان وصقلها ، ومن هذه الآلات مثلا (القِرْطاب) و (الچَرْخ) ..

وهم يعالجون طين هذه الكيزان معالجة خاصة على ضوء الطريقة التي هدتهم اليها تجاربهم في هذه الصناعة. ومن ذلك انهم يخلطون طين التُنْكْ بالطَّرِّيْش ، حتى اذا احترق الطريش المخلوط بالطين ترك مسامات فيهـا

يتأتى منها تبريد المـــاء • ويطلقون على الكتلة من الطـــين المختمر لفظـة (عَرْكْ) •

وتفخر الكيزان في (كُوَر) خاصة بها على طريقة تقترن بكثير من الرقابة والعناية والملاحظة ••

وهذه جمهرة من النماذج المعروفة في بغداد للكيزان ونحوها •• وما من شك في أنها تدل على حذق في الصناعة وذوق في التصميم ••

◆ الحِبْابْ ••

جمع (حِبّ) وتجمع كذلك على (حْبوب) و (حْبْابَة) وهي أنواع منهـا الصغير الذي يسمونه (أبو الگِرْبَة) أي انه يتسـع لقربة واحدة من الماء ••

ومنها (الوَصْطاني) أي الأوسط وهو أكبر من الصغير بشيء قليل ••

و (الخَارِجْ) وهو حبّ كبير كانوا يستعملونه في المقاهي والمساجد والبيوت الكبيرة ••

و (البَطّالْ) وهو أكبر من الخارج وربما اتسع لعَشْر قِرَبٍ من الماء •• وقد انقرض هـذا النوع من الحباب •• وهناك نوع خامس منهـا يسـمونه (اَ بُو الدّانَة) وكانت الـكور البغدادية قـد بدأت صنعـه بعد الاحتلال البريطاني سنة ١٩١٧م •• وهو يستعمل عادة في السطوح صيفاً حيث يشربون من مائه في الليل ••

ومن فصيلة الحباب أيضاً ما يسمى (حُبَّانَة) وهو حبّ صغير يسع ثلث قربة أو ربعها من الماء ..

◆ الخُمْامْ ..

جمع « خُمّْ » ويقال للخمام أيضا « خُنْابْ » واحدها « خُنْبْ » و « خُمْبْ » ..

وهي أنواع فالكبير منها غالباً ما يستعمل للطرشي حيث يخللونه فيه ويسمونه الخم والخمب .. ومما يدخل في فصيلة الخمام ما يسمى بالفناطيس وهي جمع « فِنْطْاسْ » ويكون الفنطاس على هيئة تختلف بعض الاختلاف عن هيئة الخمّ ..

ومن فصيلة الخمام أيضاً « البساتيك » بفتح الفاء وكسرها واسكانها .. ويقال لواحدتها « بَسْتوكَة » غير ان البساتيك تكون صغاراً تتفاوت في أحجامها .. وتتخذ من البساتيك أوعية للدهن والطرشي والدِبِسْ والخَلّْ .. ومنها ما يتخذ لكبس اللحوم وادخارها نضيجة ..

وهناك أنواع من البساتيك صغيرة جدا بحيث تحمل باليد ، وهذه مما يستعمله باعة الطرشي اذ يبيعونها بما فيها من الطرشي ..

أما المُرْطُبْان فانه ضرب من البساتيك تقريباً ، ولكنه اسطواني الشكل وذو فوهة واسعة ولا يستعمل الاّ لخزن الدِبِسْ وادّخاره حيث يحفرون في الأرض حفرة يسيرة ثم يدسّون جزءاً من المرطبان في الأرض بحيث

يستقر فيها فلا يميل •• ويكون لكل هذه البساتيك غطاء من جنسها تكمّ به فوهاتها ••

◆ الجِرْارْ ••

جمع جرَّة •• وهي أنواع منوعة منها الكبار ومنها دون ذلك وتسمى هذه ـ أي ما دون الكبار ـ بالوَسَطْ •• وقد أوشكت الجرار أن تنقرض فهي اليوم قليلة الاستعمال وكانت تتخذ لتبريد الماء حيث توضع على الأرض مائلة على شقّها فينسرح فيها الهواء •• ومن أمثال البغداديين « ألف شربة تنكسر والجرّة منصوبة » ••

◆ التُنَكْ •• وهي القلل • والواحدة من التُنَكْ « تُنْكَة » •• ومن أنواع التُنَكْ :

التُنْكْ بضم التاء واسكان النون والكاف •• وهو يشبه التنكة المعروفة اليوم الا انه ضيق الفوهة وتكون له عروتان •• وقد انقرض التُنْك من بغداد •• أما التُنْك الموصلي فانه يختلف اختلافاً بيناً عن التنك البغدادي ••

وفي الكنايات البغدادية قولهم في المملق المعدم « ضَارُبْ بِالتُنْكْ » ومنها قولهم للخائب في مسعاه « أُخُذْلَكْ تُنْكْ وِالْحَكْهُمْ » ••

التُنْكَة : بضم التاء واسكان النون وفتح الكاف •• وهذه أيضاً أنماط

وأنواع فمنها « المَجيدِيَّة » ومنها العادية .. ومنها « الطِرْبالة » وهي تنكة كبيرة الحجم ومنها « الزِرْنَة » ..

والتُنكْ أصناف من حيث طينها وجودة قشرها ، فمن ذلك الخَضْراوِيَّة التي يضرب لونها الى الخضرة . والحَمْراوِيَّة وتكون هذه في الدرجة الثانية .

◆ الشَرْاب ..

وهي جمع « شَرْبَة » وتجمع أيضا على « شَرْبات » ..

والشربة : كوز صغير يستعملونه لتناول الماء وشربه ..

والشْراب ضروب شتى منها « الشربة » و « الجِدَحْ » و «الحُبّانَة» أما « أُمّ الشَرْبْتَينْ » فكان يتخذها السكارى لوضع قناني الخمر فيها حيث تصنع صنعها في تبريد الماء الذي يكون فيها .. وهذه انقرضت ..

◆ البُرْگانْ – أي الأباريق – ..

الواحد منها « إِبْرِيكْ » .. والبرگان أنواع وأصناف منها البريك العادي ويقال له « إِبْرِيكْ جامِعْ » أي انه يستعمل في المساجد لوضوء المصلين .. ومنها الابريك الأَشْطَحْ وغالباً ما يتخذ لشرب الماء اذ انه حسن التبريد ..

ومن الأباريق ضرب يتخذ للزينة ولبعض المناسبات الخاصة كصوم

زكريا .. ويكون هذا الابريق صغير الحجم .. ومنها أباريق صغار تثقب من جوانبها ثم يوضع فيها شيء من الرمل حيث يزرعون فيها حبات من الشعير فاذا نبت خرج الحشيش من تلك الثقوب ..

وربما عدّ في ضمن الأباريق ما كانوا يسمونه بالبَوّاكة والناگوط يضعونه تحت حب الماء فيتجمع فيه ما ينزل من قطرات الماء المترشحة من الحب فيكون ذلك عندهم أصفى ماء في البيت .. وكانوا يفضلونه في صنع الشاي ، والشرب منه .. وتكون للبوّاگات أغطية مثقبة تغطى بها .. وقد انقرضت البواگات فلم يعد لها وجود في صناعات الكيزان ..

◆ مصنوعات أخرى ..

ومن ضروب صناعة الكيزان ما يقـال له « طَوّرْ » وهو اناء خاص بشرب الطيور التي تقتنى في البيوت . وتصنع الأطوار على حجوم شتى غير ان للطور طرازاً لا يتعدونه ولا يخرجون عليه ..

ومن ذلك نِگَالة السِمَچْ وهي أشبه شيء بأغطية البساتيك والخمام يضعونها على شرائح السمك عند قليه في الطاوة ..

ومنها أوعية النوارگيل ورؤوسها التي تتخذ مجامر للتتن ..

ومنها الشَمْعْدان وجمعه شمعدانات ، ويكون الشمعدان على شكل اناء صغير فيه انبوبة تتسع لوضع الشمعة فيها .. وتكون له عروة بمثابة يد له يمسك بها ..

أما البخوردان فيكون عبارة عن وعاء له عروة يمسك بها حيث يوضع فيه البخور والجمر للتطيب به ..

◆ الأَناجِينْ ..

وتسمى الواحدة منها « إِنْجانة » و « نِجانَة » وتجمع أيضا على نْجانات ونِجايِنْ .. وهي ضروب شتى منها ما يستعمل لعجن العجين وحفظ اللبن وهذه من كبار أنواعها .. أما صغارها فتستعمل لأغراض مختلفة .. ومن فصيلة النجاين نوع يقال له « سَدْ » وجمعه « سْداد » والسداد أيضا ذات حجوم مختلفة منها ما هو كبير ومنها ما هو صغير ..

◆ الكاسات ..

الواحدة كاسة وقد تسمى مُنْكاسة ومنْجاسة ..

وهذه مختلفة الحجوم فمنها ما يكون كبيراً يتخذ للبن والطرشي والمرق والهريسة .. ومنها مايكون صغيراً جداً بحيث لايتسع لأكثر من جرعة ماء أو جرعتين وتباع في هذا النمط من الكاسات العَنْبة واللَبْلَبي لمن يشتري ذلك من الصبيان ..

◆ الدَنابُكْ ..

جمع دُنْبُكْ ودُنْبُكْ .. ويكون الدنبك من الفخار ويصنعونه على أحجام متعددة ثم تلصق عليه جلدة من الغشاء الذي يكون في الية الخراف .. ومن هنا جاءت التسمية حيث يطلق بالفارسية على الية الخراف لفظ « دُنْبَه » ..

ومن الدنابك ما يكون كبير الحجم كأنه ضرب من الحباب يستعمله « المُرْشِدْ » في الزورخانات عند قيام البهلوانية بمصارعاتهم ..

ومن الدنابك ما يكون صغيرا يتخذه البنات والصبايا للعب .. ويكثر قرع الدنابك عندهم في مناسبات كثيرة ..

ومن كناياتهم أن يشبهوا الأصمّ الطاعن في السنّ بأنه « دْنْبُكْ عْكَيلْ » ..

أما البَرابُخْ وهي جمع بُرْبُخْ فانّها أنابيب فخارية واسعة تستعمل لمجاري القاذورات النازلة من المراحيض التي تكون في الأقسام العليا في البيوت ..

◆ الأواني والقدور ..

وكانوا يصنعون بعض أوانيهم من الطين يحاكون بها الأواني الصينية والايرانية .. وكذلك كانوا يصنعون للطبخ قدوراً من الطين تكون جدرانها كثيرة السمك والثخن وتكون لهذه القدور قَبَغْاتْ وأغطية مناسبة لأحجامها ..

ومما تستلزمه صناعة الكيزان أن يكون لدى الكواز شيء يسمونه الاِصْلاُح ، وهو عبارة عن شحم السخول يمزج بالنورة ثم تسدّ به خروق الكيزان اذا كانت معيبة .. ولا يلزم الكواز بردّ التُنْگة المثقوبة وتبديلها مادام بالامكان اصلاح أمرها بتلك المادة ..

وهناك مادة ضرورية للكوّازين حيث يعتمدون عليها في صناعة الخمام والبساتيك والقناطيس والطّوار والانجانات والسداد والكاسات والقدور ..
أما هذه المادة فهي « الكاشي » الذي يسيّعون به هذه الضروب المعينة من الكيزان لئلا يترشح منها السائل الذي يضعونه فيها ..

ويحضّر الكاشي محلياً على احدى طريقتين ، وقد انقرضت الطريقة الأولى منهما وقوامها انهم يحرقون الشنان في كورة خاصة فتسمى حصيلة ذلك « گِلْو » ثم يخلط الگلو برَمْل المَشْهد ثم انهم يعمدون الى طحنه مع الگزيز الأبيض والتُوفال وهو تراب الصفر وطحين الشعير ، فتذاب هذه المادة بالماء فتطلى بها البساتيك والخْمام والكاسات ونحو ذلك ، وهي طين أي قبل أن تفخر .. ويقال لهذا النوع من الكاشي « أَزْرَگْ فَيرُوزَة » .. وأما الكاشي الأصفر فهو رمل المشهد وقَلايْ ورصاص چايْ أي تُوتْيَا وطحين شعير وگزيز أبيض ، ولا يضاف الى هذا الخليط في هذه الحالة شيء من الگلو ولا التوفال ..

والطريقة الجديدة في صنع هذه الصبغة تقوم من تراب الباتريّات ورمل المشهد يخلطان فيحرقان ثم يخلطان بالتوفال وطحين الشعير والگزيز ويطحن ذلك وينقع بالماء فيكون كالشربت تطلى به الكيزان قبل الفخر بالنار ..

◆ التِنانيرْ والكْوارات ..

كانت التنانير من الحاجات الضرورية لكثير من الناس في بغداد حيث

تخبز نساؤهم الخبز فيكون عليهم أرخص مما لو اشتروه من السوق ..

ولذلك كانت التنانير رائجة وذات مرتزق حسن .. أما صناعة التنانير فان صانعيها يجلبون التراب الأحمر فيضعونه في جُفْرة في الأرض ثم يسكبون عليه الماء فاذا مرّت عليه أربعة أيام اختمر وأصبح صالحاً للعمل ثم يخلطونه بالتبن الناعم وبعد ذلك يعالجونه بالدعك والدلك ثم يقطعونه الى قطع صغار متساوية كأنها شُنْگ العجين ثم يصنعون من كل قطعة حَبْلاً فاذا اجتمعت لهم عدّة حبال بدأوا يلفون الحبل على الأرض بشكل دائري ثم يلفون عليه حبلاً ثانياً وثالثاً وبذلك يبنى التنور على نحو ما يبنى طَوْف الجدار ..

ويختار صناع التنانير أيام الصيف لصناعتهم ، فانها تساعدهم على جفاف التنانير في وقت قريب ، فاذا تمّ لفّ حبال الطين بعضها على بعض أخذوا بتسييع جدران التنور بطين ناعم مخمر من جميع جوانبه ، ويخرقون في أسفل التنور من الناحية الأمامية خرقاً صغيراً يقال له « الرْواج » يتخذ لمرور الهواء ولاخراج الرماد منه ..

وكذلك كانت تصنع الكْوارات التي كانوا يتخذونها لحفظ الحبوب من نحو الحنطة وما أشبه ، غير أن الكْوارة زالت من الوجود بالمرّة ، ولكن التنانير لاتزال محل الحاجة اذ لا يخبز الرغيف البغدادي الاّ بالتنور ..

◆ المُكانيس ..

جمع مُكْنَاسَة : للمكنسة التي تكنس بها البيوت ، وهي أنواع منها

مكنسة اليد الصغيرة ومنها مكنسة مماثلة لها في الشكل غير أنها تكون أكبر منها ، وهناك مكناسة ذات شكل آخر وتكون هذه ظاهرة الكبر وينبغي أن تشدّ على رمح طويل ، فاذا أريد الكنس بها أمسكها الكناس من رمحها ومضى يكنس الأرض بها وهي خاصة بالكناسين الذين يكنسون الطرقات والمساجد ..

وتحاك المكانيس من الخوص ، حيث يقوم بحياكتها عدد من النسوة وبعض الرجال في محلة القناهرة ببغداد التي تقع عند مسجد الأباريقي فاذا أنجزت الواحدة منهن عدداً من المكانيس حملت ذلك الى الشَوْرْجَة فباعته بالجملة بسعر منخفض لباعة هناك مقيمين في حوانيتهم ..

وفي بغداد أيضاً مكانيس مجلوبة من الخارج تباع في المخازن ، وهي عبارة عن فِرْچة من الشَعَر يكون فيها رمح طويل يمسك به عند الكنس وتكنس بهذه الفرچ الأرض التي تكون مبلطة بالكاشي ، وقد جلبت الى بغداد حديثاً مكانس كهربائية تكنس بها الزوالي والطنافس ..

والمكناسة البغدادية تختلف كل الاختلاف عن المكانيس المعروفة في البلاد الأخرى ..

الأحـــذية وملحقاتها..

◆ الخفافة وصناعة اليمنيات ..

الخَفّافَة : صناعة الخفاف التي هي جمع خُف ، ويقال للخف في ألفاظ البغداديين « المَسْت » وفي بغـــداد سوق كبـــيرة تسمى « سوك الخَفّافين » كانت تُتعاطى فيها صناعة اليمنيات .. ولا تزال السوق تحمل نفس اسمها القديم غير أن هذه الصناعة زالت منها نهائيا ..

واليَمَنِيّات جمع يَمَني .. لنوع من الأحذية التي كانت شائعة في بغداد ويقال انها انما سميت هذه التسمية نسبة الى بلاد اليمن ..

وهناك أنواع من اليمنيات منها مايسمى « يَمَني حَلَب » وهو يمني عادي يخاط بطريقة اعتيـــادية أي على ظاهره .. أما اليمني البغدادي فانه يخاط مقلوباً أي يجرى الخياط من جهته الباطنية فاذا تمت خياطته قلبوه

فتكون خياطته دفينة غير بارزة •• ويكون نعل اليمنيات من جلود الجاموس أما وجوهها فمن جلود البقر ••

ولابد أن تكون اليمنيات حمراء اللون ومنها ما يكون أصفر ، وهو نادر الاستعمال لايلبسه الا بعض المشايخ والعلماء والمتصوفة ••

ومن أسماء اليمنيات وأصنافها ومقايسها :

١) لَوْرْطَة •

٢) قَبَه لَوْرْطَة •

٣) لَزْگارْ •

٤) كُجُكْ لزگار •

٥) يَمَني حَلَبْ •

وقد انقرض استعمال اليمنيات فلم يعد البغداديون يلبسونها الا من ندر منهم •• ولكن اليمنيات ترى أحياناً في أقدام الأعراب القادمين الى بغداد حيث لايزال هناك من يحتذي بها ••

◆ البابوجچيَّة ••

وهناك ضرب من الخفافين يمتهنون خياطة البوابيج يقال لهم البابوجچية ••

والبوابيج جمع بابوج ، واللفظ من الفارسية « پاپوش » بمعنى غطاء الرجل،وهو أنواع منهاالبابوج الاصفر والاسود والصَرايْلي والقايِغْلي[1]•

---

(١) القايغلي : نسبة الى القايغ وهو البلم في التركية واحد الابلام التي هي القوارب المائية ••

وكانت البوابيج من أشهر أحـــذية المحتشمات في بغـــداد ، وقد زال من التداول في أيامنا هذه وبقي استعماله خاصاً بمجتهدي الشيعة وعلمائهم ، غير انه لم يعد في بغداد من يخيطه اليوم .

◆ القندرجيّة ..

الواحد منهم قُنْدَرْچي وهو الذي يصنع القَنادِر ويخيطها ، وهي من أحذية الرجال وأول ما عرفت في بغداد أواخر القرن الهجري الماضي وكانت على طريقة يقال لها « قَبَغَلْي » لا قياطين لها وانما تلبس بالقدم فلا تخرج منها الا عند ارادة انتزاعها ..

وكـذلك كان من ملابس الأقـــدام « البَوْتين » ويقـــال له أيضاً « لاٰپْچِين » وقد زال من استعمال الناس وأصبح خاصاً بالجند والشرطة يخاط لهم خاصة ..

ومما يخيطـــه القندرجية اسكارپينات النساء والنعـالات والصـــنادل ـ واحدها صندال ـ والتَرْلِگاتْ والـكواليش وهي جمع كالوش وهو شيء كالقندرة يكون كبير الحجم يلبسه اللابس على القندرة نفسها ليقيهـــا الوحل ونحوه حتى اذا جاء مجلسا من المجالس نزع الـكالوش ودخـــل بقندرته .. وكان أصحاب المسوت يلبسون عليها الكواليش ..

وهناك من الفَوْيْلِيَّة من ينسج الكلاشات والگيوات من الحرير أو القطن ينسجها على نعل سميك واعتاد غير قليل من البغداديين لبسها والاحتذاء بهـا ..

وأول ما ظهرت الصنادل في بغداد كان يصنعها الأرمن وشاع لها من أسمائها اسم « بَبَه جان » والأصل فيه انه اسم صانعه وهو رجل أرمني ، وجمع « البه جان » « بَبَه جانات » وقد انقرضت هذه التسمية فيما بعد كما ندر استعمال لفظة الصندال وغلبت على ذلك تسمية « التَرلِك » ..

◆ صِباِيغ القَنادِر

كان ما يحتذيه الناس من أحذية في بغداد أخريات الجيل الماضي لا يتعدى اليمَنيات الحمر والصفر والكَيوات والكَلاشات .

وكانت للنساء البوابيج والنِعالات والمداسات .

وكانت هذه اذا أصابها شيء من الوَحَل والتراب مُسحت مسحاً أو غسلت بالماء ؛ وقد تمسح بالزيت ..

ولما شاع احتذاء القَنادِر والپوتينات ونحوها من الأحذية ظهر معها عددٌ من الصباغين يطوفون على لابسيها في المقاهي ونحوها يصبغونها لهم ..

وكان أصحاب هذه المهنة من اليهود يحتزم الواحد منهم بحزام على ثوبه ، فيكون القسم الأعلى من ثوبه أشبه بدولاب له ومخزن يخزن فيه ما عنده من أدوات الصبغ من فِرَچ وقَواطي وشِيَش وبعض المناديل التي يستعملها للمسح والتلميع .. فاذا أراد الرجل أن يصبغ حذاءه وقف أو جلس على كرسي وبين يديه الصباغ الذي يجلس جلسة خاصة يبسط بها ساقه وفخذه الأيسر على الأرض ويقيم ساقه الأيمن ليضع عليه صاحب

الحذاء رجله ، فاذا فرغ الصباغ من صبغ أحد الحذاءين عـاد الرَجُلْ فقدّم له الرِجْلَ الأخرى ليصبغ الحذاء الآخر ..

ثم ظهر عدد كبير من صباغي الأحذية وفدوا من « سِنَا وصَبْلاغْ » ونحو هاتيك الأصقاع فطوروا هذه المهنة بعض التطوير ، وذلك باستعمال صناديق صغيرة يحملونها معهم وفيها تجاويف يضعون فيهـا قناني الصبغ ونحوها ، وفي داخل الصندوق يحتفظون بالعلب التي فيهـا الدهان اللازم لعملهم والفِرَجْ وغير ذلك فكان الرجل اذا أراد صبغ حذائه وضع احدى قدميه على عتبة في الصندوق معدّة لهذا الغرض فاذا أنجز الصباغ صبغهـا جرّها ووضع بدلاً منها القدم الأخرى ..

ثم أجرى صباغون آخرون تطويراً لهذه المهنة حيث اتخذوا الحوانيت في الشوارع وجلبوا الأرائك ، وربما وضـعوا بعض الصحف والمجـلات ليتشاغل بها المراجع حتى يأتي دوره أو يقرأ فيها وهم يصبغون حذاءه .. وبذلك رفعوا مستوى هذه المهنة الى الحد الممكن ..

أما مواد الصبغ فانها تستورد من خارج العراق ؛ ولكن كان هناك من يصنع الصبغ في بغداد لهذا الغرض يعمله من هِيس القدور والمطابخ فيخلطه بشيء من دهن الوِدَجْ ويضعه في علب الصبغ الفارغة ؛ وكان يسمى هذا النوع من الصبغ « صُبُغْ دُودَة » والدودة لفظ فارسي معناه الدخان ..

وفي أيام المطر والحالات التي يكون فيها الحذاء كثير الوساخة فانّ على الصباغ أن يغسل جوانب الحذاء بالماء والصابون بفِرْجَة تكون معه ثم يأخذ بعد ذلك بصبغه وتفريجه ..

والصبابغ ـ بكسر الصاد وضمّها وكذلك تلفظ باسكان الصاد ـ جمع صبّاغ .

◆ الرگّاعة ..

هي حرفة الرِگاگيع ـ واحدهم رَگّاع ـ وهو من يرقع الأحذية الخلقة والممزقة وما اليها من النعالات والاسكاربينات .. وكان الرگاگيع يتخذون لهم أماكن على الأرض في بعض الأسواق والأزقة ينتظرون من يأتيهم بحذاء مخروق ليرقعوه له .. وكانت هذه الحرفة تروج كثيراً في الأيام التي تسبق الأعياد اذ يصعب على الفقراء شراء أحذية جديدة .

ولدى كل رگاع مُخْصَف ومُخَايِط ـ جمع مُخْيَط وهو ابرة غليظة ـ وسندان وجُواكيج وجِلابْتَين وگازَة كالسكين وسَطِل يضع فيه الماء لينقع فيه الحذاء والجلود .. كما تكون معه خيوط وبسامير متنوعة الاشكال ويضع الرگاع على صدره صَدْرِيَّة حين العمل ..

وقد تطورت هذه المهنة فأصبحت جماعة الرگاگيع تتخذ لها حوانيت في الشوارع المشهورة يصبغون فيها الأحذية ويرقعون ما يراد ترقيعه منها .. يستعينون على ذلك بمكائن خاصة وآلات مجلوبة من الغرب وكان ما يرقع من الأحذية قديماً ظاهر العوار والعيوب وفي أيامنا هذه أصبح الحذاء المرقوع يبدو وكأنه جديد .

الخوّاصة وحاكة الليف

◆ الحصران ..

الحِصْران جمع حَصير وحَصيرَة .. وهي أنواع منها حصران القَصَب التي يقال لها حِصْرانْ گِصَبْ ويقال لها أيضاً « بارْيَة » وجمعها « بْواري » وينادي عليها الباعة بلفظ « جْوازِر البَصْرَة » وهذه لاتصنع في بغداد وانما تجلب من بلدان عراقية أخرى ..

وهناك نوع من الحصران يقال له حصران البَرْدي ، وهذا يجلب الى أسواق بغداد من مدن عراقية أخرى مصنوعاً جاهزاً ، وغالباً ما يستعمل في المقاهي ..

وهناك نوع من الحصران يقال له « حصران خَيْزرانْ » والخيزران نبت يكون في مناطق معينة من العراق منها « السِماوة » .. وترد حصران

الخيزران الى بغداد محيوكة من « مَنْدِلي » وغيرها من المدن العراقية ..

وفي بغداد بعض من يحوكه ويصنعه ، ومن أشهر المناطق البغدادية التي كان يحاك فيها هذا النوع من الحصران محلة العَوَيْنَة .. وطريقة حياكته أن تنصب على الأرض جومة" مفتوحة حيث يثبتون الخيوط على شكل سِدَى طويل المسافة وتكون مع الحائك دَفّة وهي لوحة على حجم عرض الحصير مزرفة بزروف ونقوب تكون فيها الخيوط ، وتكون مهمة الحائك أن يأتي بعيدان الخيزران فينظمها بين خيوط السدى المثبتة على الأرض ثم يرصّها بخشبة الدفة لكي تتراصف وتنضبط ..

وحصران الخيزران حجوم وأطوال مختلفة فمنها ما يكون قليل العرض لكي يوضع على تخوت المقاهي ومنها ما يكون عريضاً لكي يستعمل في البيوت ومنها ما يكون أكثر عرضاً وهو مما يستعمل في المساجد لصلاة المصلين ..

وهناك من يتخذ من هذه الحصران ستائر للبيوت والشبابيك ..

وحصران الخيزران أغلى من الحصران الأخرى ..

◆ حياكة الليف ..

اللِيَفْ بكسر اللام وفتح الياء جمع لِيفَة ، وهي كيس يحاك من خيوط القنب فيتخذ للاستحمام وتدليك الجسم به ، وأحياناً تخلط بالليف

خيوط من القطن لتكون الليفة قليلة الخشونة ، ومن أنواع الليف ما يحاك من القطن وحده ..

وهذه الصناعة مما اختص به النساء أيضاً ثم يخرجن بعدد من الليف الى الشورجة وغيرها من الأسواق لبيعها كما ان عددا من أصحاب المخازن والحوانيت الاعتيادية يتعاطى بيعها ضمن سلعه الأخرى ..

والليَف البغدادية لايعرف مثلها في غير العراق لاسيما ماحيك منها من الليف ، أما الليَف القطنية فانها تحاك من خيوط التيرة القطنية على شكل دائري ..

وصناعة الليف صناعة يمتهنها بعض الأسر والعوائل ولاسيما الأكراد والفَوْيْلية في جهات باب الشيخ ببغداد يتعيشون من مواردها ..

◆ السِريرْجيَّة ..

جمع سريرجي وهو صانع السراير أي الأسرّة من جريد النخل . وهو يصنع كذلك الكراسي والأقفاص التي تتخذ لايواء الدجاج ، وكذلك يصنعون العمّاريات التي يوضع فيها العاگول فتستعمل للتبريد أيام الصيف حيث تقام على الشبابيك والمنافذ وترش بالماء فينفذ منها الهواء الى داخل الغرف بليلاً عليلاً ..

وأدوات هؤلاء لاتتعدى ساطوراً ذا شكل خاص يقطعون به الجريد ويشذبون أطرافه كما يستعملون هذه السواطير في مقام الجواكيج يدقون

بها على العيدان لتنزل في مثاقبها المعينة .. وكذلك تكون معهم مزارف يزرفون بها العيدان في المواقع التي يلزم تثقيبها ..

وكانت هذه الصناعة كثيرة الرواج في بغداد اذ كان الغالبية من الناس يقتنون الأسرّة المصنوعة من الجريد فينامون عليها ولاسيما أيام الصيف اذ تكون خفيفة الحمل باردة يسيل عليها الهواء من كل جانب ..

◆ باعة السّلالْ والطّباگة ونحوها ..

تكون لهؤلاء حوانيت في بعض الأسواق ومنها الشّوْرْجَة يبيعون فيها الطباگة المگَيّرة التي تجلب من جهات الرُمادي .. والطباگة المْنَقّشة الملوّنة التي تصنع في كربلاء .. والطباگة البيض العادية التي تصنع من الحَلْفة والخوص في الحوَيْشْ فوق الراشْدِيّة .. والگْواشِرْ التي تصنع في الگَرْيعاتْ والدِهاليك ..

ومما يباع في هذه الحوانيت السلال المصنوعة من زَوْطْ الرُمّانْ والصَفْصافْ وهذه تتخذ للملابس وغير ذلك ..

ومن ضمن هذه المجموعة المكانس التي تصنع في كربلاء وفي الفَنَاهْرَة ببغـداد .. وچِفَفْ الموازين التي تصنع من الخوص في الگَرْيعاتْ وكذلك حصران الخوص المجلوبة من كربلاء .. وكَفَفْ التِبْلْيّاتْ التي تصنع في الكَرّادة من خيوط الكُمْبار ويكون للتِبْلّيَة زَنِدْ يتّخذ من السيم المتين ..

ومما يباع هناك السلال التي تصنع من القصب وكانت صناعتها معروفة في بعقوبة حيث يصنعون منها ضروباً وأنماطاً شتى منهـا مايكون طويلاً اسطواني الشكل يوضع فيها البرتقال ونحوه . وكانت تعرف في بغـداد قديماً سلال كبيرة واسعة تكفأ على أواني الطعام والطبيخ في الليل على الأخص حين تكون الناس فوق السطوح وتكون مآكلهم معهم ..

وتباع في هذه الحوانيت أيضاً الحبال والطخاخيخ والعلاليگ ..

وكان اسم هؤلاء الباعة في القديم «المَنْطَفْچِيَّة» واحدهم «مَنْطَفْچِي».. ولا يعرف هذا الاسم اليوم في هذا المعنى اللهم الا وروده علماً لبعض الأسر البغدادية ..

باعة الأرصفة

وهؤلاء باعة يبيعون شتى المواد الغذائية والسلع المتنوعة دون أن تكون لهـــم حوانيت في الأسواق ودون أن يتجولوا بسلعهم في الطرقات ، وانما يتخذون لهم أماكن على أرصفة الشوارع وفي أركان بعض الأسواق وعنـد رؤوس بعض الأزقة ومداخلها ..

ومنهم باعة الجبن الأوشاري وجبن الكُـرِ دْ ، وقد تكون الأماكن التي يتخذونها لبيع الجبن معروفة للناس لطول مكثهم فيها ، واعتياد هؤلاء التردد عليها ..

ومنهم باعة الفواكه الذين يتخذون رؤوس أزقة معينة أماكن لبيـــع فواكههم .. والذي يلفت النظر أن هؤلاء الباعة غالباً ما يبيعون موادهم بأسعار عالية ، وان كانوا لايدفعون بدل ايجار عن المكان الذي يشغلونه لأنه غـير

مستأجر من أحد ولأن مقامهم فيه مجاني ومن دون عوض ..

ومن هؤلاء الباعة باعة الخبز في الأسواق فانهم يتخذون أماكنهم على قارعة الرصيف أو في بعض جوانب السوق ، وقد تعرف كل خبازة مكانها الذي تختصه لنفسها فتضع فيه طبك الخبز يومياً لا يزاحمها غيرها عليه ..

ومن باعة الأرصفة أيضاً ، باعـــة بذور الورد والأزهار والشتلات والبيشات وتال النخل ، فانّ لهم أماكن يتخذونها على الأرصفة ..

ومنهم باعة الصحف والمجلات فهؤلاء لهم من بعض الأرصفة أماكن مقفلة لهم يعرضون فيها الكتب والجرائد والمجلات على أنظار الناس لبيعها ..

فاذا جاء وقت المغرب جمعوا كتبهم ومجلاتهم وتركوا الطريق ليعودوا اليه ثانية صباح الغد ..

ومنهم باعة الگيمر من نساء المعدان يأتين الى البلد صباح كل يوم ومعهن انگريات الگيمر فيتخذن لهن مكاناً على الأرض في الأسواق يبعن الگيمر .. وفي هذه الأيام أصبح الگيمر يباع كذلك في المخازن والحوانيت ..

ومن باعة الأرصفة بائعات البيض والدجاج فهؤلاء كذلك يأتين البلـد في الصباح فيجلسن على الأرض في بعض الأسواق لبيع ما عندهن من بيض ودجاج واذرة وسمسم وبعض الحبوب الأخرى فاذا حان وقت الظهر غادرن أمكنتهن ..

ومنهم باعة الچرَزات يجلس البائع على الرصيف وبين يديه أكياس صغيرة فيها مختلف أنواع الكرزات من نحو الحب والحمص واللوز والفستق والفندق والبطم وغير ذلك يبيع منهـــا للمارة ويكون خروج هؤلاء للبيع في

الغالب أوقات العصر حيث تخرج الناس الى التنزه والتجوال .. وكثير من هؤلاء الباعة يأتون من الموصل وربما كان أغلبهم من النصارى ..

ومن باعة الأرصفة باعة الورد الجوري ..

وممن يلحق بهؤلاء من أصحاب الحرف الذين يتخذون الرصيف مقراً لهم ، مصلحوا أنابيب الماء والمشتغلون في قصّ الشيلمان وشدّه وغير ذلك من الأعمال المماثلة ، فانهم يُرَوْنَ دائماً وقد اتخذوا لهم أرصفة شارع المأمون مقراً يجلسون فيه ، في انتظار من يراجعهم من ذوي الحاجة الماسة اليهم ..

ومنهم النزازيح الذين يتخذون لهم من بعض الأرصفة ، عناوين على وجودهم لتراجعهم الناس هناك فيأخذوهم الى بيوتهم لنزح المراحيض وتنظيف البلاليع ..

وممن يتخذون الأرصفة مقرات لأعمالهم باعة المسابح وبعض العنتيكات البسيطة . ومنهم كذلك مصلحوا العوينات وباعتها ؛ ومنهم أهل الخيرة والفال وضاربوا تخت الرمل ؛ ومنهم جماعة الصْلَيبْ الذين يتخذون لهم من الأرصفة أماكن يعرضون فيها موادهم العقاقيرية المصنوعة بأسلوب بدائي وعلى مناهج الطب البدوي ..

ومن أصحاب الحرف المتعلقة بالأرصفة حرفة الصراريف الذين تكون معهم دواليب من خشب مزججة بالزجاج وفيها صنوف شتى من النقود ، حيث يتعاطون أعمال الصيرفة .. ولكن أماكن هؤلاء محدودة اذ لاتجاوز نطاق شارع السموأل في الوقت الحاضر ..

الفهرس

(أ) المواضيع

صفحة

٣	المقدمة
٥	الباعة المتجولون
٢٥	المهن المؤقتة
٣٣	الصياغة والحدادة والتعدين
٤٧	النجارة وما اليها
٥٥	الحفارون والمنظفون
٥٩	الترفيه الاجتماعي
٦٩	البناني والعمّالة
٨٣	الدلالة والصيرفة واعمال التعهد
٨٩	الزجاج وملحقاته
٩٣	باعة السجاد والنوادر والتحف
٩٥	الفرانون
٩٩	التكسب بالتعليم والموالد والشعر
١٠٧	الوقود والاضاءة والتنوير
١١٥	المكاييل والموازين

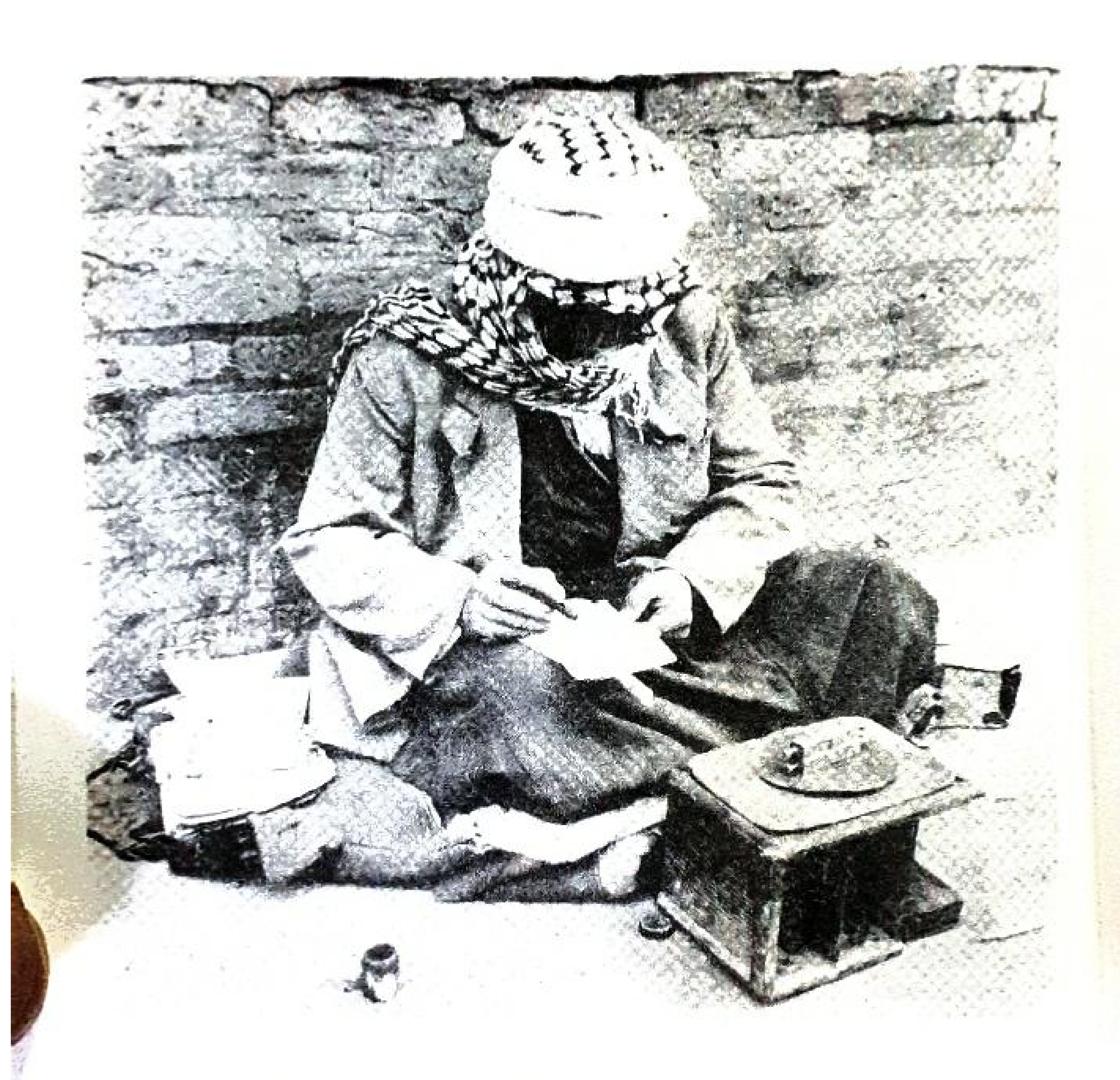
صفحة

١١٧ الحرف التهريجية
١٢١ المكيفات
١٢٧ الصحة والتجميل ووسائل اللهو
١٣٥ المياه والالبان
١٤١ الطيوريون وشؤون البيطرة
١٤٥ الاطعمة
١٥٧ القصابة وملحقاتها
١٦١ الحمل والنقل
١٦٩ الغزل والنسيج والاقمشة وملحقاتها
١٨٧ الوراقة والتجليد والطبع والتصوير
١٩٩ المهن التي تعتمد على الزراعة
٢٠٥ الفخار واعمال الطين
٢١٧ الاحذية وملحقاتها
٢٢٣ الخوّاصة وحاكة الليف
٢٢٩ باعة الارصفة

(ب) الصور

١ ـ صورة فتاح فال
٢ ـ صورة دولاب الهواء
٣ ـ صورة صناعة الصفر

٤ ـ صورة چايچي
٥ ـ صورة چالغي بغداد
٦ ـ صورة عمال البناء
٧ ـ صورة الاطرقچية
٨ ـ صورة الكتاتيب
٩ ـ صورة باعة شمع العسل
١٠ ـ صورة السمك المسگوف
١١ ـ صورة العربانة
١٢ ـ صورة البلام
١٣ ـ صورة الحمال
١٤ ـ صورة « الكفه »
١٥ ـ صورة « الچومه »
١٦ ـ صورة المصور الجوال
١٧ ـ صورة كتاب العرائض
١٨ ـ صورة صناعة الكيزان
١٩ ـ صورة « البساتيگ »
٢٠ ـ صورة « التنگ »
٢١ ـ صورة صناعة التنانير
٢٢ ـ صورة أسرة جريد النخل
٢٣ ـ صورة بائع الجرزات



فتاح الفال يمارس مهنته على احد ارصفة الشوارع في بغداد انظر صحيفة ٢١

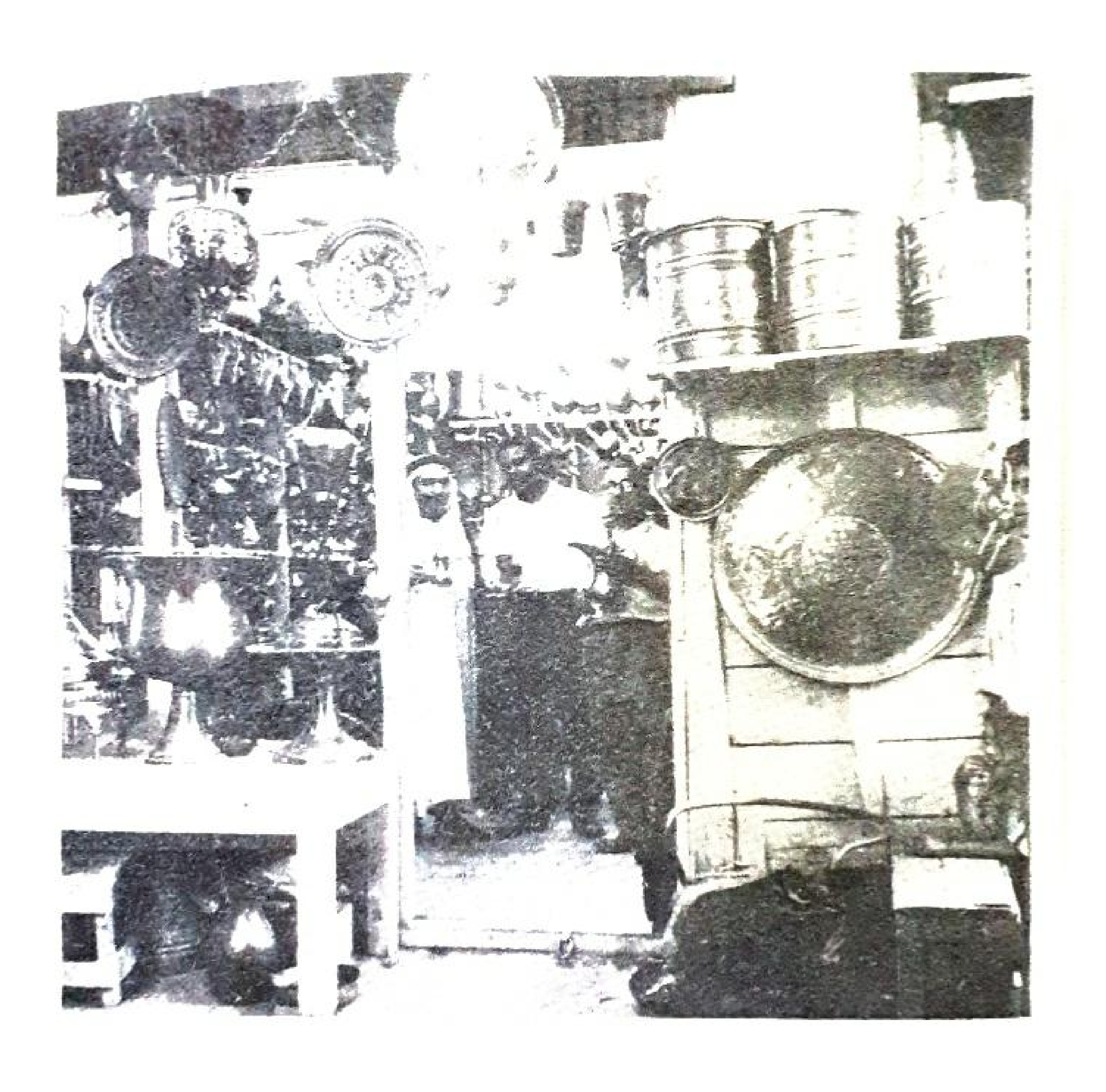
جميع الصور ما عدا : ٢ و ٦ و ٩ و ١٤ و ١٥ و ١٧ و ١٨ و ٢٣

من تصوير السيد نزار السامرائي



دولاب الهواء انظر صحيفة ٢٥





معروضات مختلفة من صناعة الصفر في سوق الصفافير انظر صحيفة ٣٦



« چايچي » أثناء العمل انظر صحيفة ٦٢

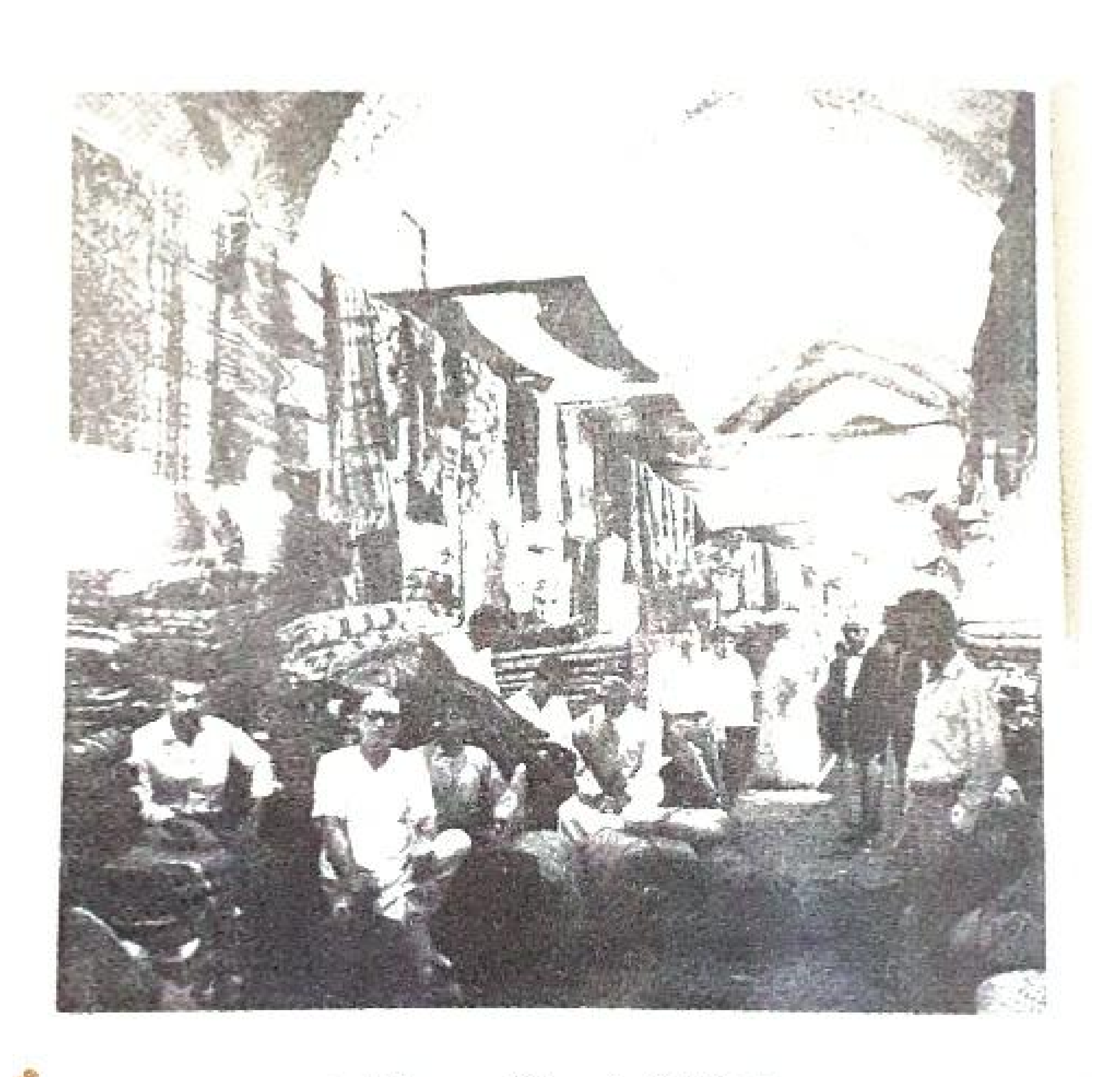


چالغي بغداد ، أنظر صحيفة ٦٦

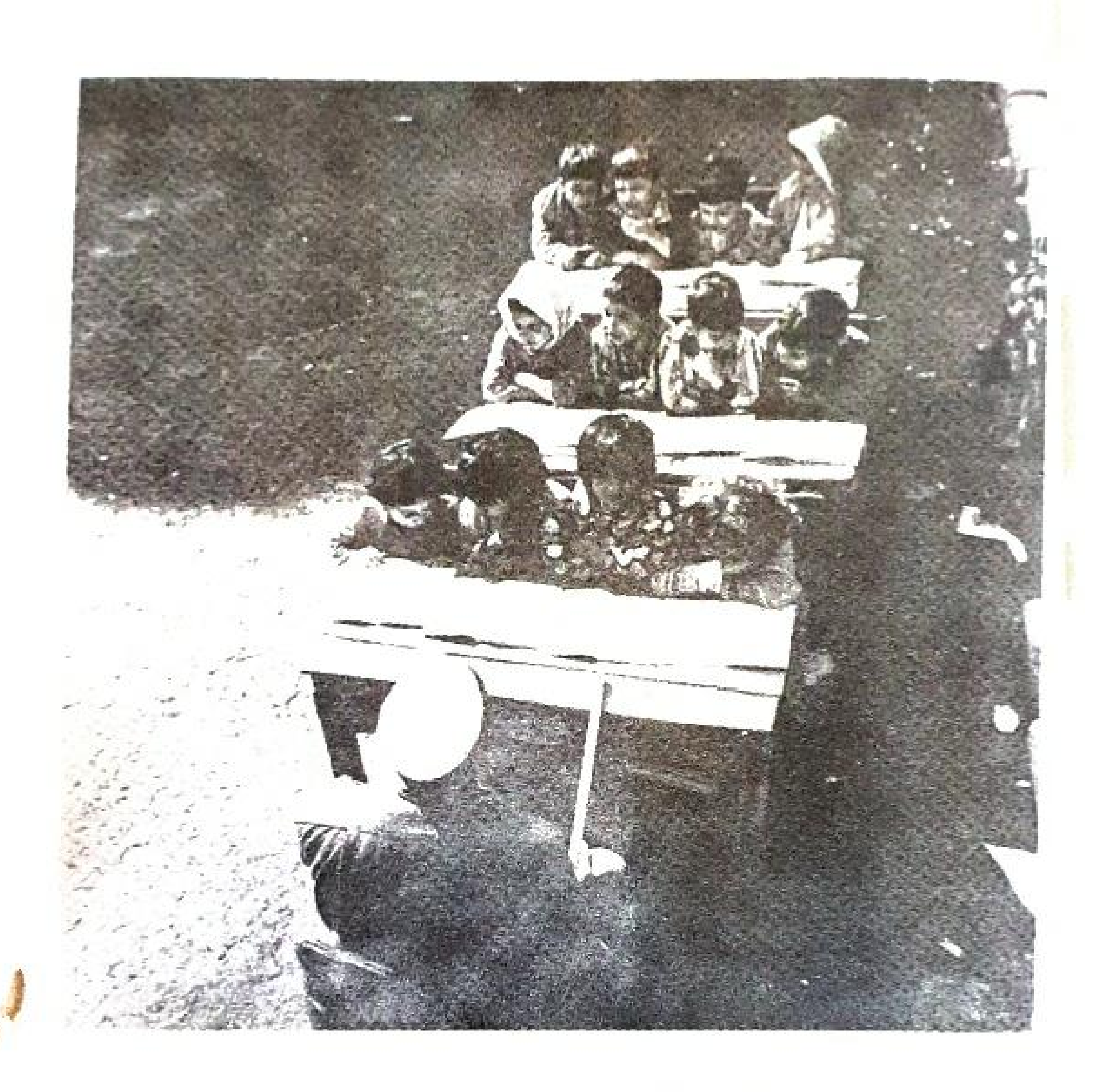
عامل يقوم بعمل اللبن ، انظر صحيفة ٦٩



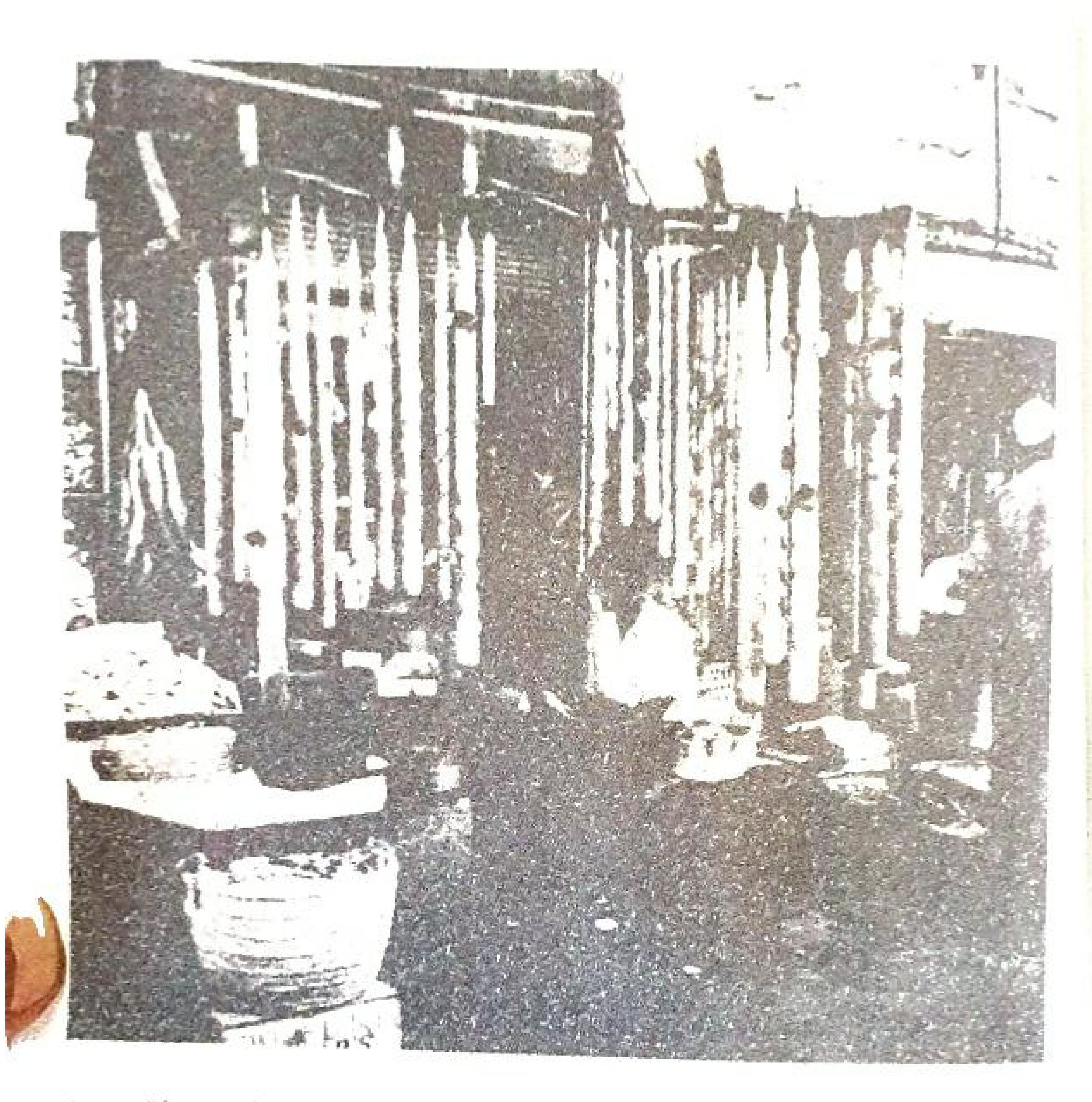
انظر صحيفة ٦٩
عاملان يقومان بالب



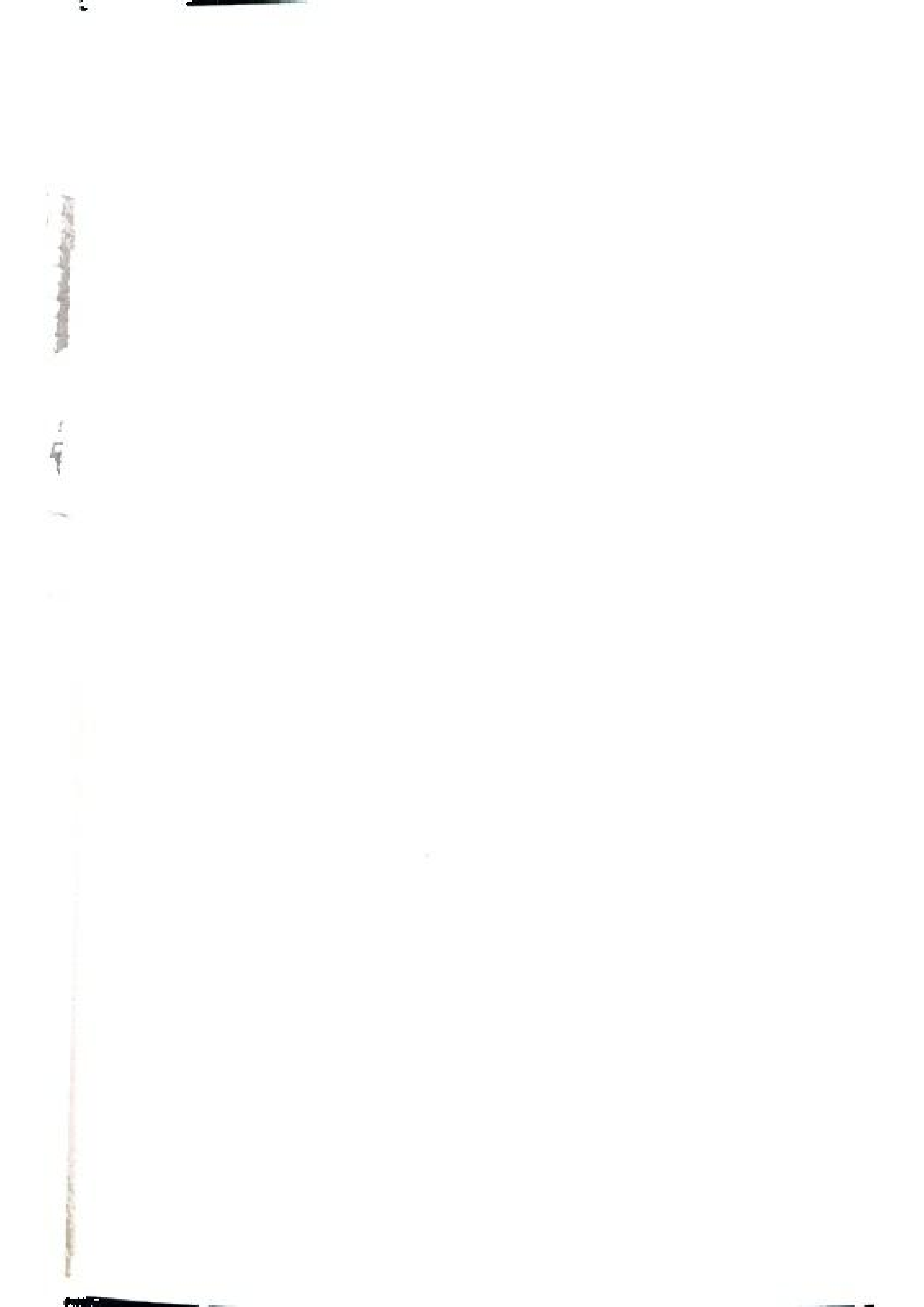
سوق الاطرقجية ، انظر صحيفة ٩٣

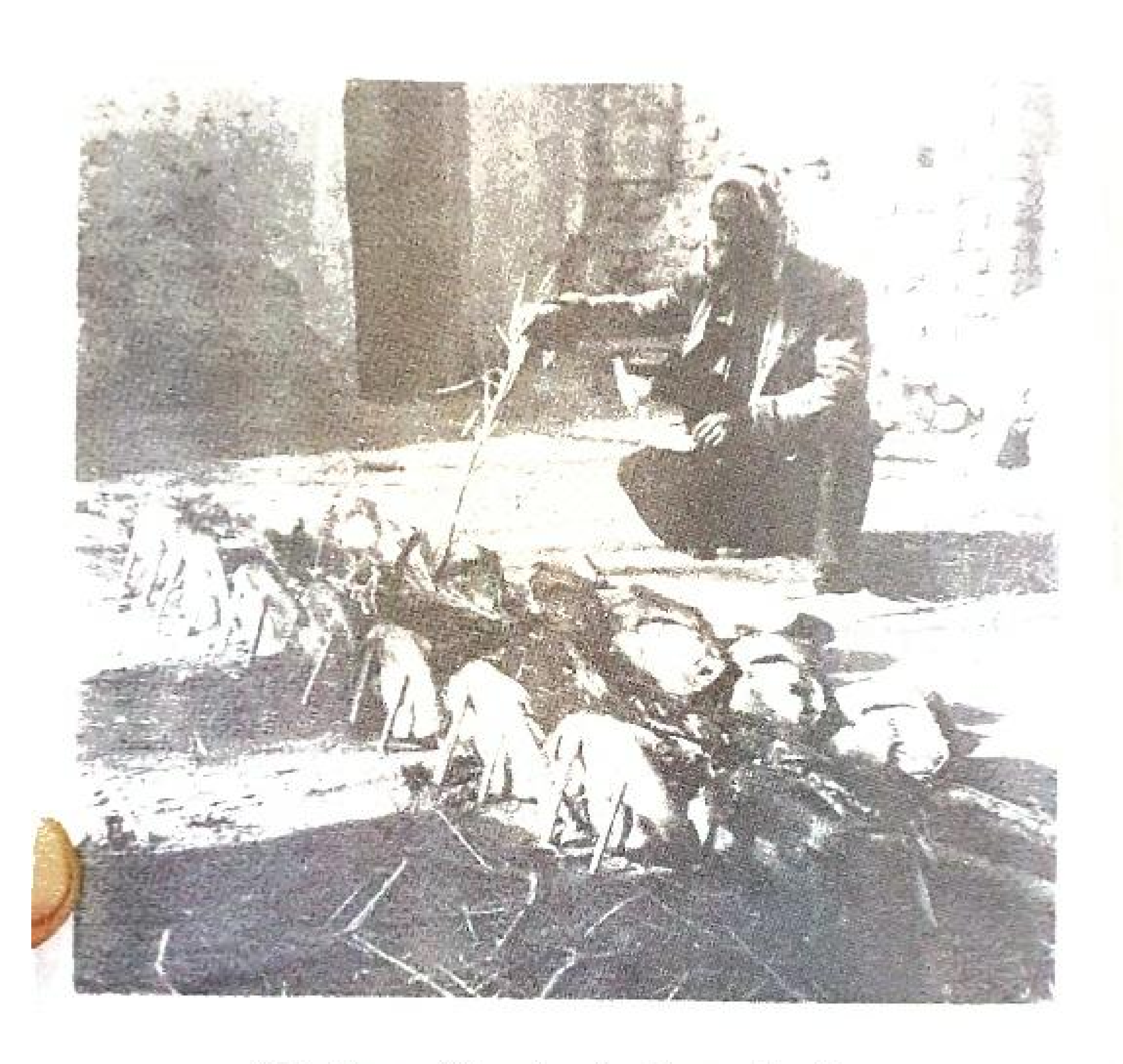


الكتاتيب ـ ملا أثناء قيامه بتعليم الأولاد ، أنظر صحيفة ١٠٢

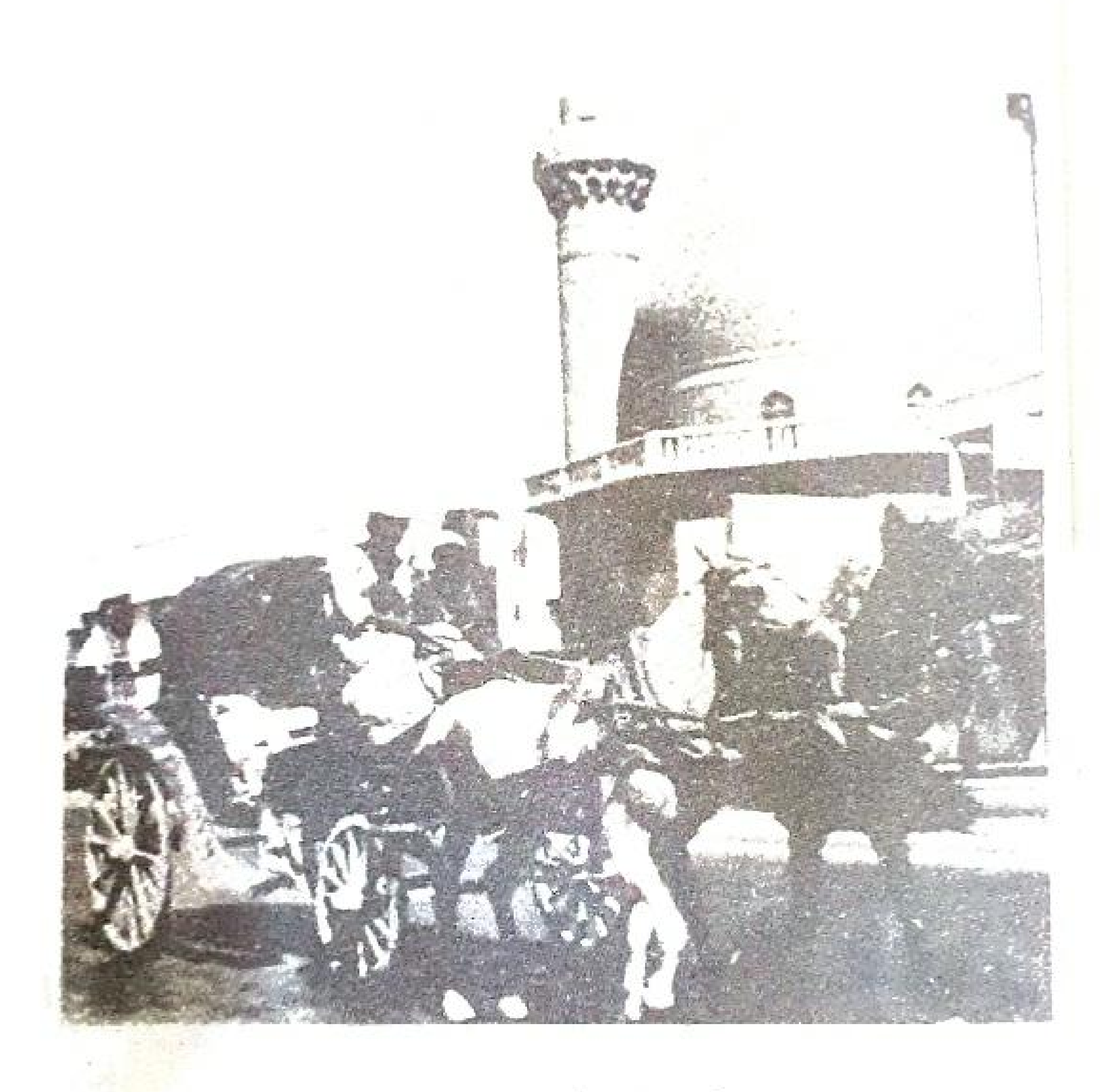


باعة شمع العسل – وترى الشموع مدلاة في واجهة المحل ، انظر صحيفة ١٠٨





بائع يقوم بسقف السمك ، أنظر صحيفة ١٤٨



العربانة ، انظر صحيفة ١٦١





مجموعة من البلام ، انظر صحيفة ١٦٢





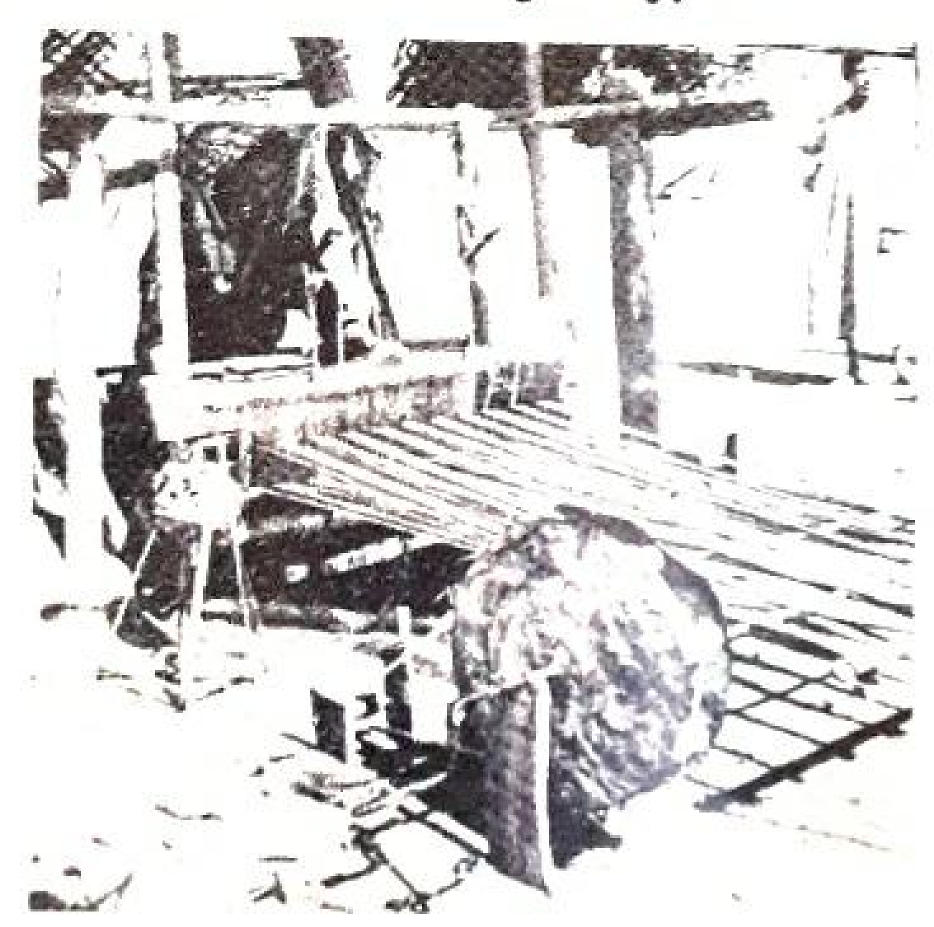
حمال ، أنظر صحيفة ١٦٣

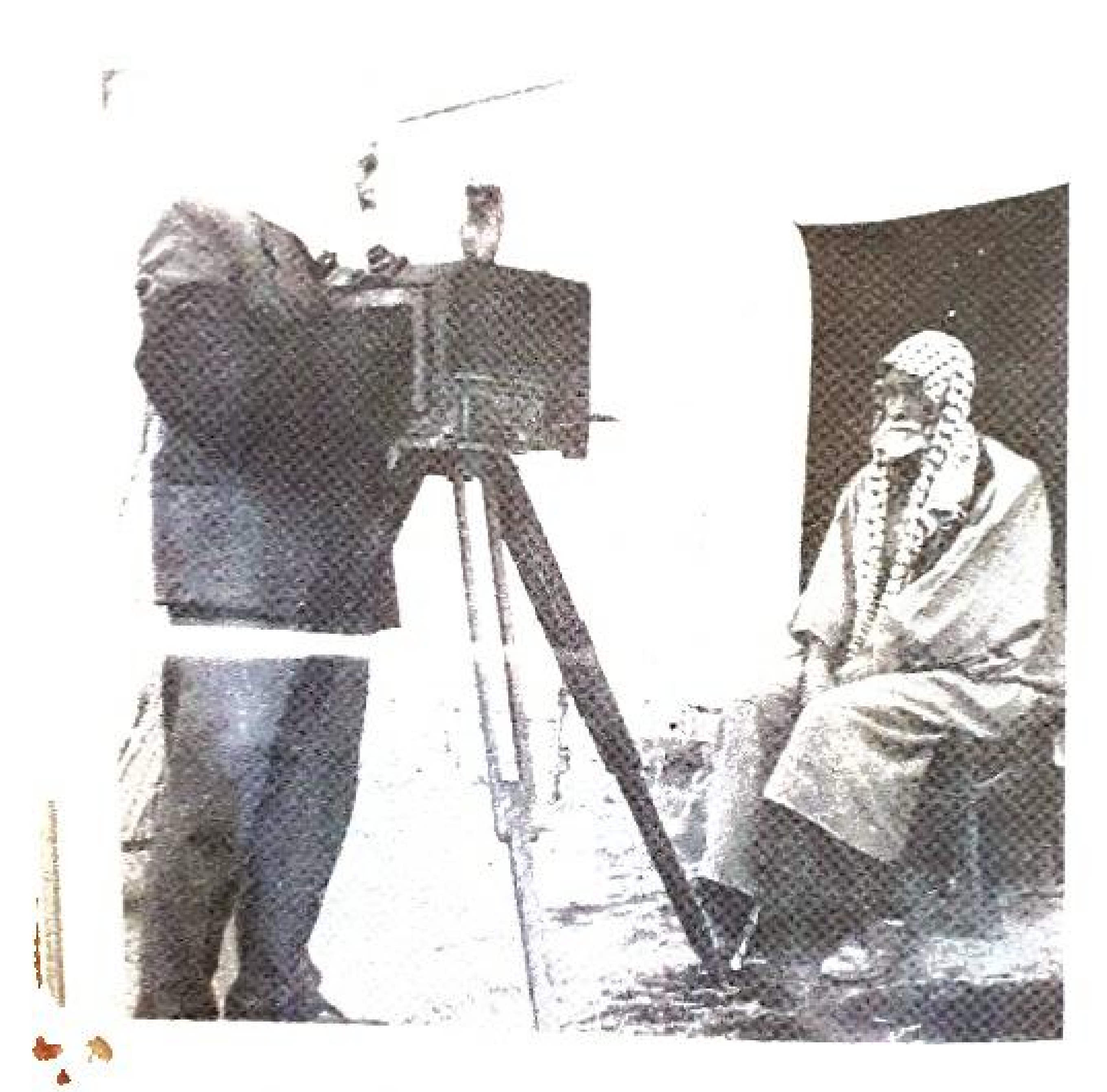


« الـكفه » من وسائط النقل ، أنظر صحيفة ١٦٥

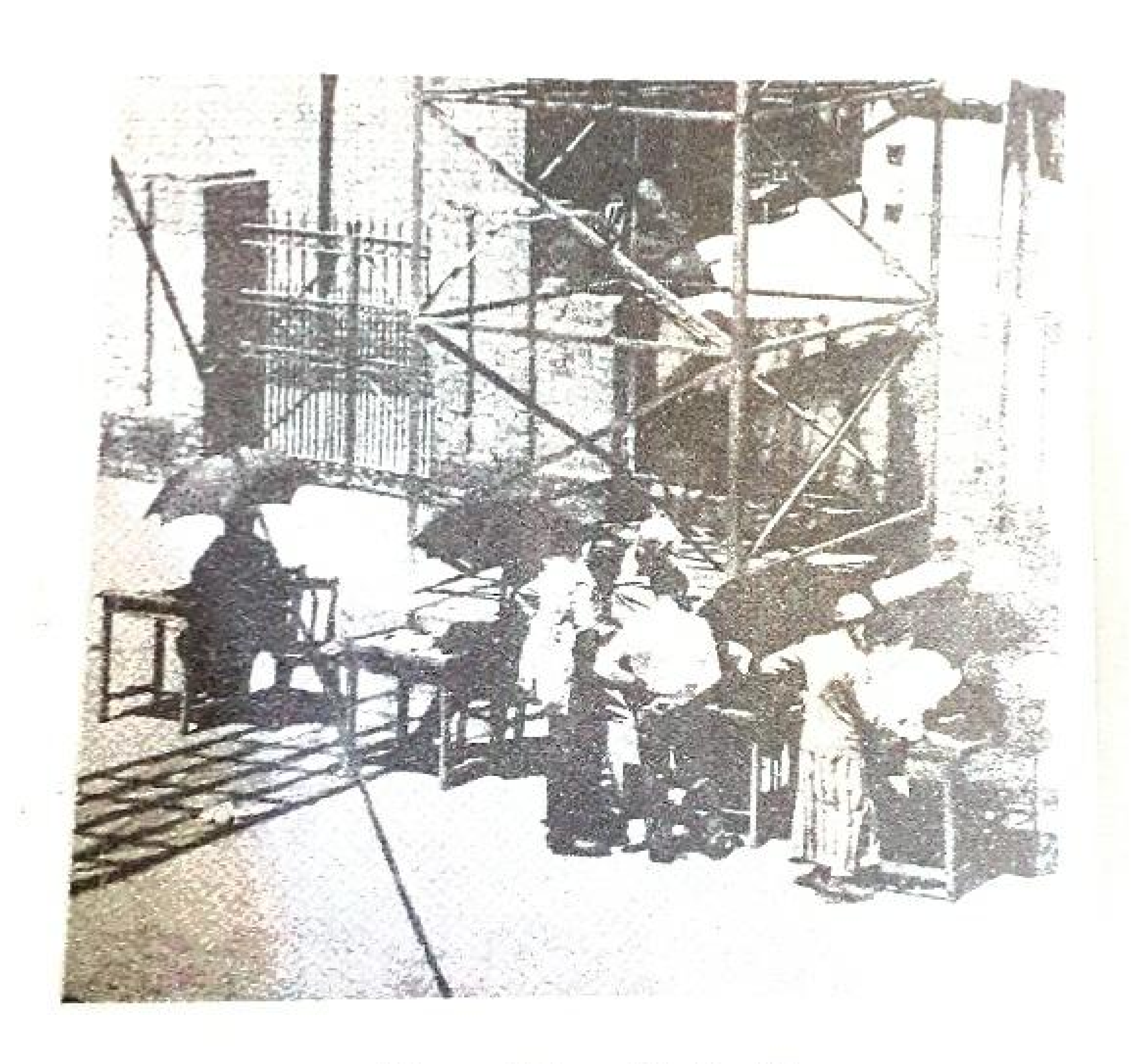


« الجومة » من وسائط الحياكة اليدوية ، أنظر صحيفة ١٧٣





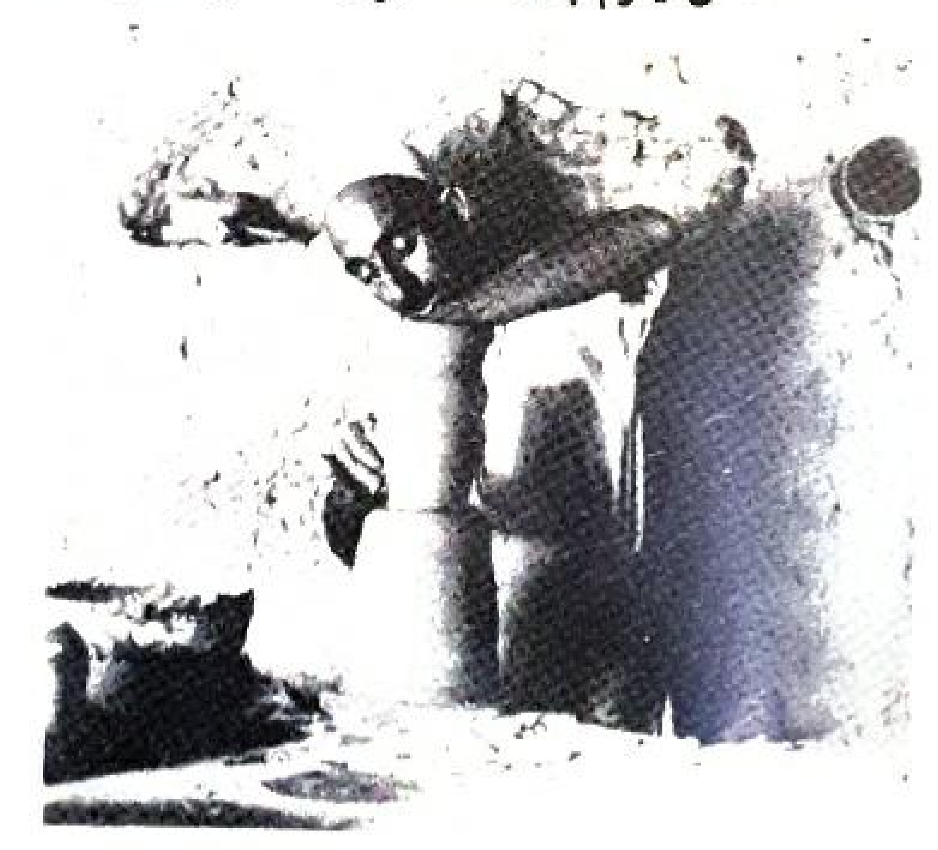
مصور متجول يمارس عمله ، أنظر صحيفه ١٩٥



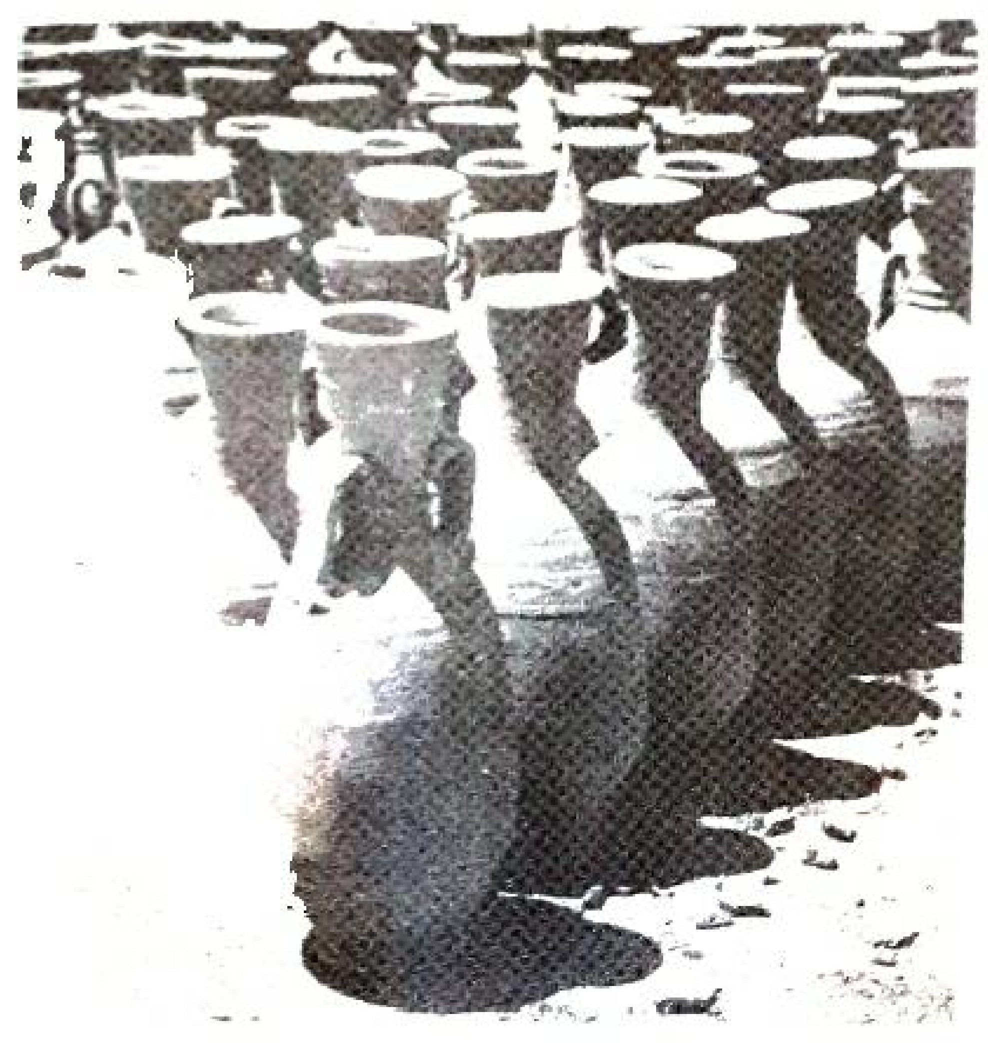
كتاب العرائض ، انظر صحيفة ١٨٩



عامل يقوم بصناعة الكيزان ، انظر صحيفة ٢٠٥



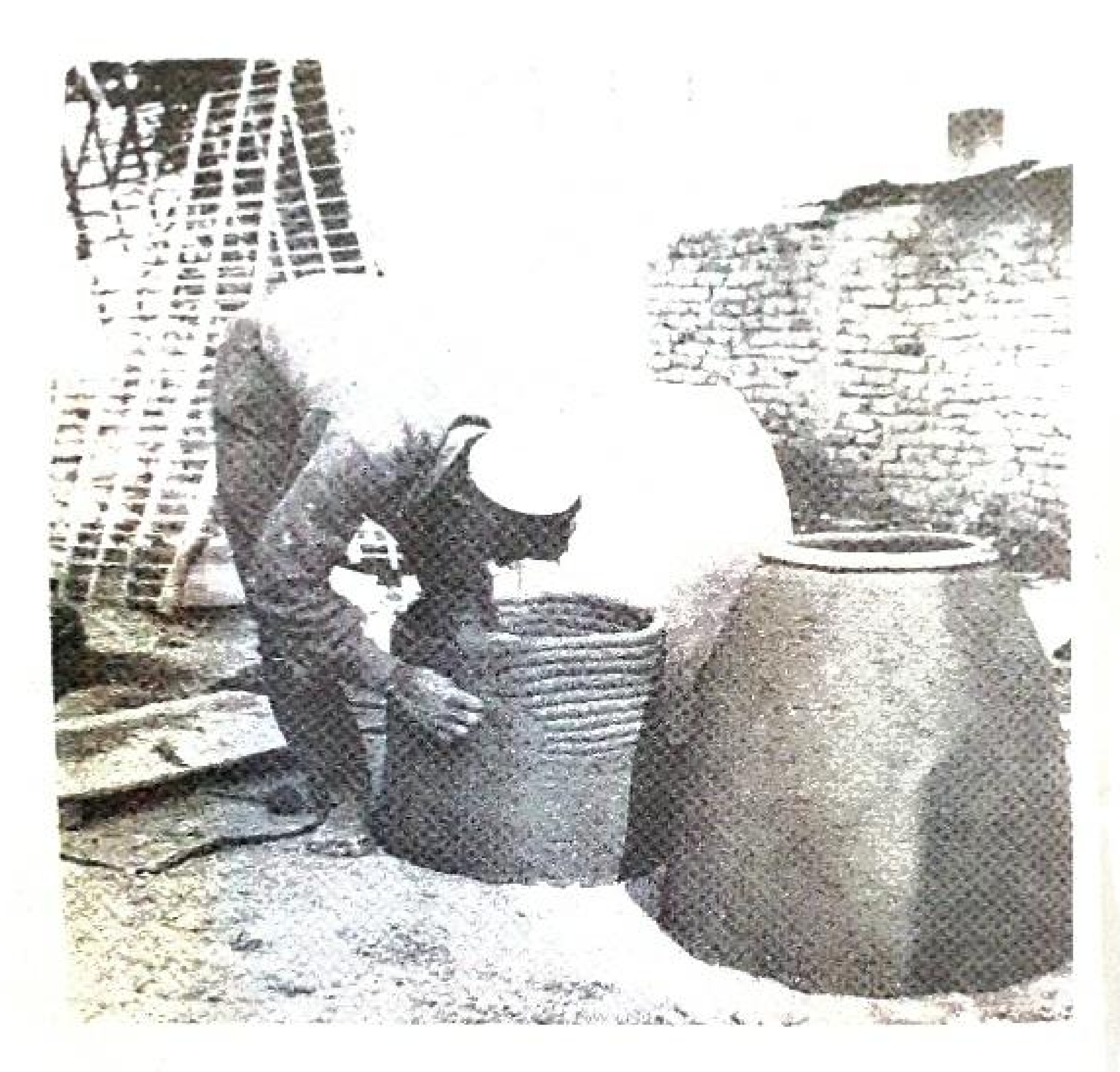




مجموعة من التنك ، أنظر صحيفة ٢٠٨

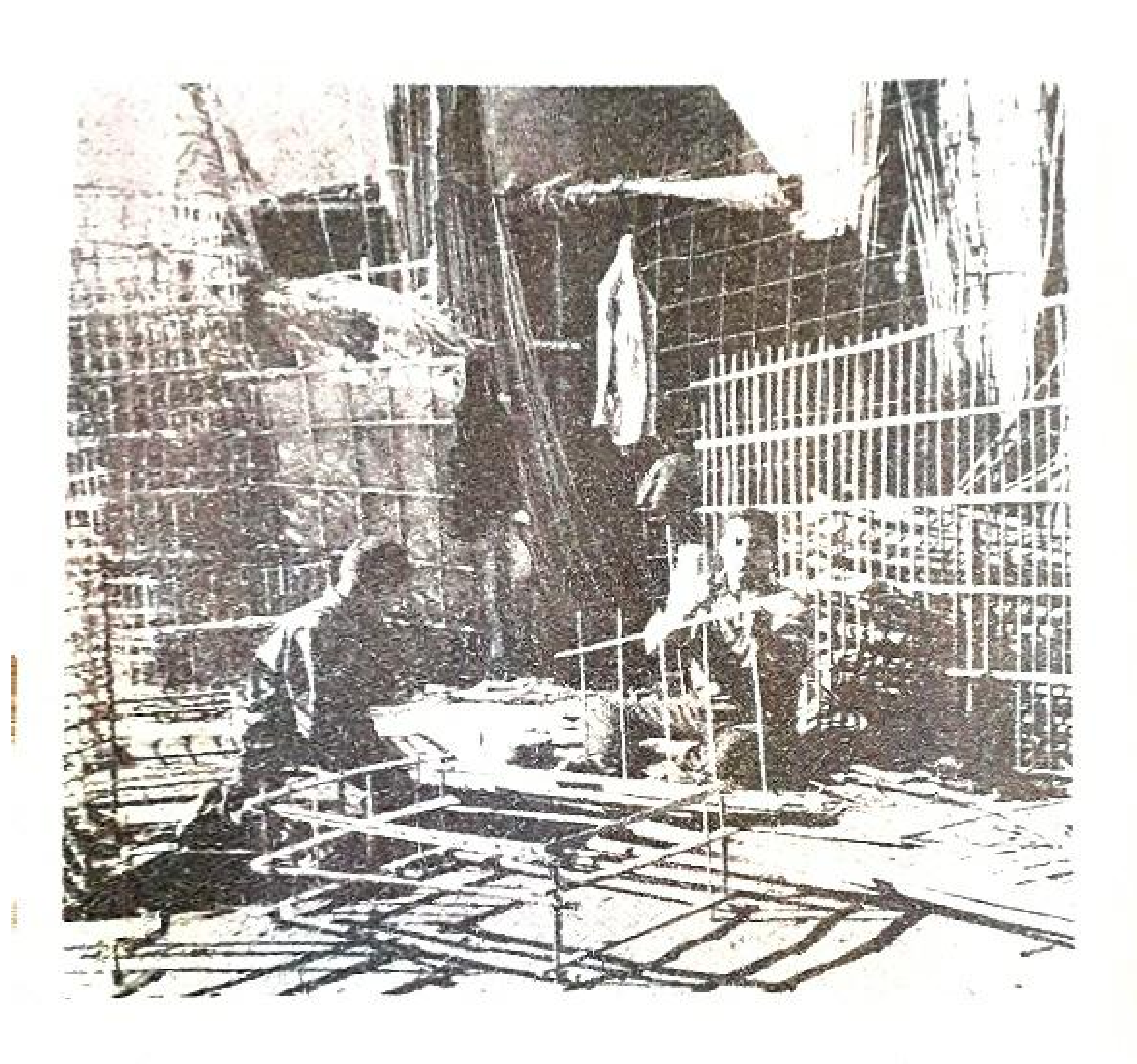
ـة من الفخاريات « البساتيك » ، أنظر صحيفة ٢٠٧





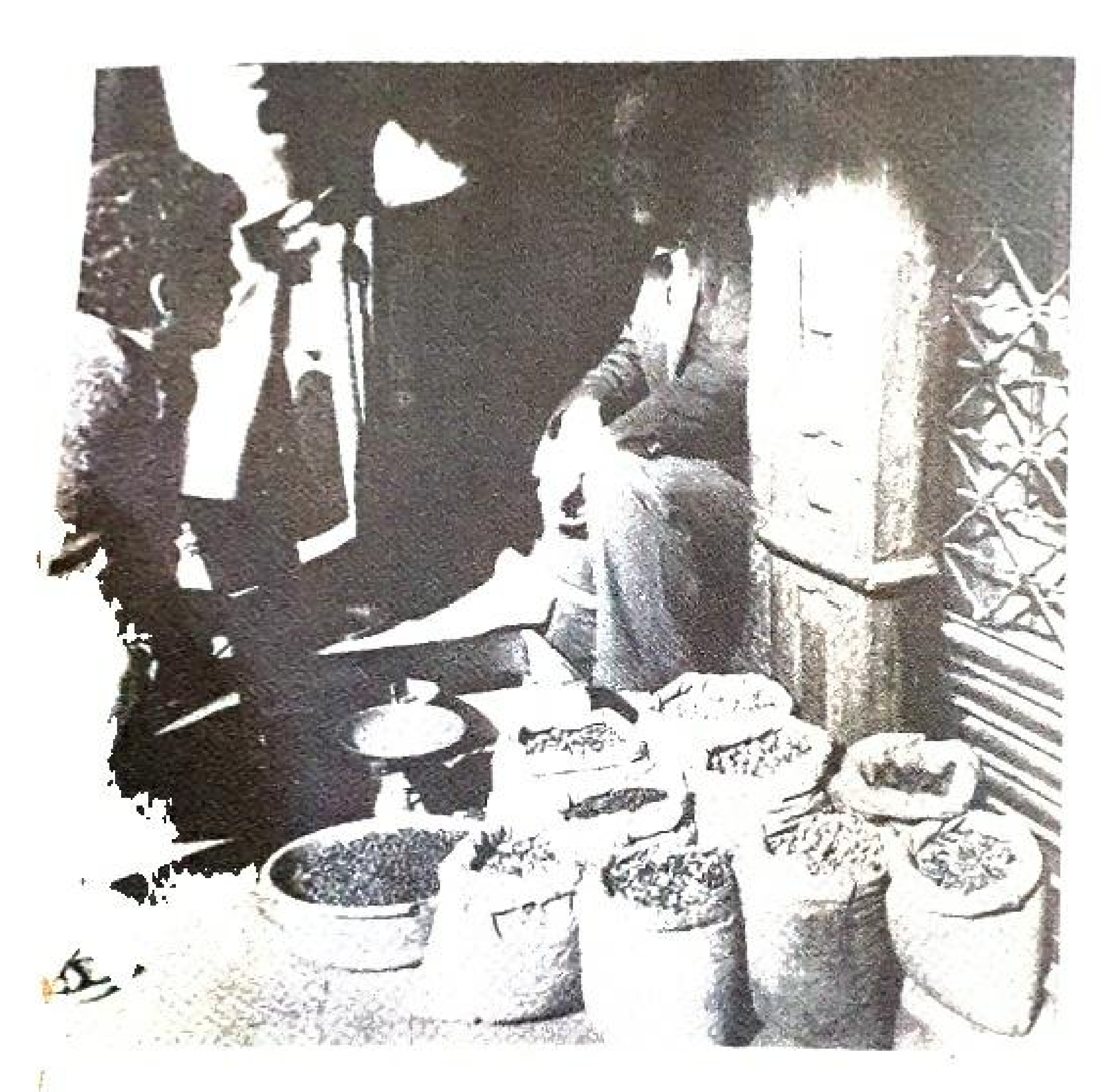
عامل يقوم بصنع التنانير ، انظر صحيفة ٢١٣





أسرَّة من جريد النخل أثناء عملها ، انظر صحيفة ٢٢٥





بائع الجرزات ، انظر صحيفة ٢٣٠

ومن المهم في هذا المؤلف أنه استوعب جمهرة كبيرة من الألفاظ والمفردات العامية الاصطلاحية التي آل فريق عظيم منها إلى الإنقراض والخروج عن نطاق التداول ...

وفي هذا خدمة للفلكلور اللغوي ظاهرة الفائدة في مباحث تأصيل الألفاظ وتخريجها..

والصناعات هي ماكان من نوع النجارة والخفافة، مما يستعان تعاطيه وممارسته بالآلات والأدوات ويكون تلقيه عن دراسة عملية.

أما الحرف فهي ما يتعاطاه المتكسبون من وسائل البيع والشراء من نحو البقالة والعطارة والتجول بالسلع وغير ذلك مما لا يحتاج فيه لآلات وادوات وأعمال هندسية وميكانيكية